XIII. Uluslararasi Sosyal Bilimlerdeçağdaş Araştirmalar Kongresi

XIII. International Congress of Contemporary Studies in Social Sciences

المؤتمر العلمي الدولي الثالث عشر للدراسات المعاصرة في العلوم الاجتماعية

Rimar Congress

2025

Rimar Academy
Publishing House

المؤتمر العلمي الدولي الثالث عشر للدراسات المعاصرة في العلوم الاجتماعية

FULL TEXT BOOK
كتاب الوقائع
Tam Metin Kitabı

Yayınevi:	**دار النشر:**	Rimar Academy
Editör:	**المحرر:**	Dr. Osman TURK https://orcid.org/0000-0002-9379-6225
Yayın Koordinatörü:	**تنسيق النشر:**	ALAA NSREENY
ISBN:	**نظام الترميز الدولى لترقيم الكتاب:**	978-625-96965-7-7
DOI :	**رقم معرف الكائن الرقمي:**	http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13
Baskı:	**تاريخ الطباعة:**	20 / 09 / 2025
kongre Tarihi:	**تاريخ المؤتمر:**	23-24-25 / 07 / 2025
Sayfalar:	**عدد الصفحات:**	131
URL:	**رابط النشر:**	www.rimaracademy.com
No Sertifikası Matbaa:	**رقم شهادة المطبعة:**	47843

مقدمة

عُقد مؤتمر ريمار الدولي الثالث عشر برعاية جامعة إسطنبول جيديك، الرابطة الدولية للتعليم والبحث الأكاديمي، بالتعاون مع أكاديمية ريمار التركية، بتاريخ 23-24-25 يوليو / تموز 2025 في مدينة إسطنبول.

وهدف المؤتمر إلى تقديم رؤى وتصورات علمية جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي فرضتها القضايا المستحدثة في المجتمع الإنساني المعاصر، وهذا لا يتحقق إلا في إطار علاقة تشابكية تفاعلية يقودها عقل الفريق البحثي الذي تحاول إدارة المؤتمر المساهمة في صناعته.

تم إعداد كتاب وقائع المؤتمر بهدف نقل الإنتاج العلمي إلى المستقبل كمساهمة مستدامة ومثرية.

تجاوز إجمالي عدد المشاركين في المؤتمر 60 باحث من الدّول الآتية: (الجزائر - المغرب- ليبيا - الكويت - العراق - السودان - سلطنة عمان) وبلغت نسبة المشاركين من خارج تركيا 90 بالمئة.

حيث تم قبول 37 منهم بعد تقييم دقيق من قبل اللجنة العلمية للمؤتمر، وشارك 16 منهم حضورياً، في حين شارك 21 آخرون عن بعد.

وقد تم قبول 6 أبحاث للنشر في كتاب الوقائع، وباقي الباحثين توجهوا للنشر في المجلة.

وأخيراً نتوجه بالشكر والامتنان لجميع الأكاديميين والباحثين على مساهماتهم القيمة في هذا المؤتمر.

رئيس التحرير

Dr. Osman TURK

الفهرس

1 **University of Kufa: Origins and Development (1987-2024) (Historical Study)**
Baneeno Ouda Abed Almawashee

23 **Historical Overview of The Role of The Calculator in Public Life in Andalusia from Opening to The Age of Sects**
Afrah Thajeel Issa

43 **The Impact of Blended Learning Based on Artificial Intelligence Applications on Developing Practical Skills and Engagement in Science Learning Among Middle School Students**
Anwar Hasan Gaafar

75 **The Semantic Effect of Word Variation in Similar Quranic Verses in Wording: A Study of Verses 22-23 Of Surah Az-Zukhruf**
Jumana Khalid Mohammed

90 **Energy Security and International Hegemony: An Analytical Study of Power Line Control Strategies**
Rasha Suhail Mohammed Zidan

113 **Cyber Hedging and Strategic Effectiveness: China as a Model**
Sarmad Zaki Al-Jadir
Zahraa Hassan Kadhim

132 **Military, Economic, and Social Institutions in The Eyalet of Algiers During The Ottoman Era Between Independence and Subordination to The Ottoman State, 1518-1830 AD**
El-Amir Boughedada
Ali Ayada

جامعة الكوفة النشأة والتطور (1987-2024) (دراسة تاريخية)

University of Kufa: Origins and Development (1987-2024) (Historical Study)

Baneeno Ouda Abed Almawashee [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

The University of Kufa was established on December 23, 1987, by a decision of the Iraqi Ministry of Higher Education and Scientific Research, as an independent public university in the city of Kufa, Najaf Governorate. It began with three colleges: Medicine, Education for Girls, and Arts, and gradually expanded to include 22 colleges by 2024, covering a variety of scientific and humanities fields. The university faced political challenges during the former regime. Associated colleges were abolished in 1991, only to be reinstated the same year by political decision. This reflects its flexibility and ability to adapt to changing political conditions over the decades. The University of Kufa has sought to keep pace with scientific and technological developments, establishing numerous colleges and academic departments to meet the needs of the labor market, such as the Colleges of Engineering, Pharmacy, Dentistry, and Computer Science. A Deanship of Postgraduate Studies was also established in 2017 to promote scientific research and advanced specializations in global rankings. The university has achieved remarkable progress, ranking third in Iraq in the Times Higher Education World University Rankings for 2024 and 2815th globally, reflecting the quality of its education and scientific research. The University of Kufa seeks to enhance its academic standing by opening up to society and the labor market, organizing scientific conferences and seminars, and developing postgraduate programs, thus contributing to the achievement of sustainable development goals in Iraq.

Keywords: *University of Kufa, Established, Development, College, Journal, Center, Conferences, Classifications, Seminars, Departments, Units*.

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-1

[1] M.M, General Secretariat of the Central Library, University of Kufa, Iraq
baneeno.almawashee@uokufa.edu.iq

الملخص:

تأسست جامعة الكوفة في 23 كانون الأول 1987، بموجب قرار من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، لتكون جامعة حكومية مستقلة في مدينة الكوفة بمحافظة النجف. بدأت بثلاث كليات هي: الطب، التربية للبنات، والآداب، ثم توسعت تدريجيًا لتضم 22 كلية بحلول عام 2024، شملت مجالات علمية وإنسانية متنوعة. مرت الجامعة بتحديات سياسية خلال فترة النظام السابق، حيث تم إلغاء الكليات المرتبطة بها في عام 1991، ثم أعيدت في نفس العام بقرار سياسي، مما يعكس مرونتها وقدرتها على التكيف مع الظروف السياسية المتغيرة على مدار العقود، سعت جامعة الكوفة إلى مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية، فاستحدثت العديد من الكليات والأقسام العلمية لتلبية احتياجات سوق العمل، مثل كليات الهندسة، والصيدلة، وطب الأسنان، وعلوم الحاسوب، كما أنشأت عمادة للدراسات العليا في عام (2017م)، لتعزيز البحث العلمي والتخصصات المتقدمة في مجال التصنيفات العالمية، حققت الجامعة تقدماً ملحوظاً، حيث احتلت المرتبة الثالثة على مستوى العراق في تصنيف التايمز العالمي لعام (2024م)، والمرتبة 2815 عالمياً، مما يعكس جودة التعليم والبحث العلمي فيها. تسعى جامعة الكوفة إلى تعزيز مكانتها الأكاديمية من خلال الانفتاح على المجتمع وسوق العمل، وتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية، وتطوير برامج الدراسات العليا، مما يساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في العراق.

الكلمات المفتاحية: جامعة - الكوفة - أسست - التطور.كلية - مجلة - مركز - مؤتمرات - تصنيفات - ندوات - شعب - وحدات.

المقدمــة:

يعد التعليم الجامعي قمة السلم التعليمي واحد الركائز الأساسية لتحقيق التقدم والنهضة في المجتمعات البشرية، حيث تبوأ مكانة مرموقة بين مراحل التعليم؛ نظراً لوظائفه المتعددة ومسؤولياته الجسيمة.

وقد حظي هذا النوع من التعليم باهتمام كبير من الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، لما له من دور حيوي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إضافة إلى مساهمته الفاعلة في خدمة المجتمع والبيئة المحلية. وفي ظل التحولات المعاصرة والتحديات المستقبلية، أضحى تطوير التعليم الجامعي ضرورة ملحة، تستوجب إعادة النظر في أهدافه ومناهجه وكفاءته في إعداد الكوادر القادرة على الإبداع والتغيير.

وانطلاقاً من هذه الأهمية، تبرز جامعة الكوفة كإحدى المؤسسات الأكاديمية الرائدة في العراق، فهي تمثل امتداداً حضارياً لمدينة الكوفة ذات التاريخ العريق، والتي عرفت منذ القدم كمركز للعلم والمعرفة والثقافة.

تأسست جامعة الكوفة رسمياً في (27 كانون الأول 1987م)، إلا أن فكرة إنشائها بدأت في عام (1967م)، كمشروع أكاديمي لإنشاء جامعة أهلية. ورغم ما واجهته الجامعة من تحديات ومعوقات منذ تأسيسها وحتى عام (2003م)، فقد استطاعت أن تتغلب على الصعوبات، وتواصل مسيرتها بخطى ثابتة، حتى أصبحت صرحاً علمياً بارزاً يساهم بفاعلية في تطوير المجتمع وتلبية احتياجاته المتجددة .

المحور الأول: التأسيس

تعود فكرة تأسيس جامعة حديثة في النجف إلى عام (1946م)، عندما تنبه بعض المفكرين إلى إيجاد جامعة تجمع ما بين الدراسات الجامعية والدراسات الحوزوية، إلا أن هذه الفكرة واجهت معارضة من قبل المحافظين في النجف، وعند تأسيس كلية الفقه عام (1958م)، استبشر النجفيون بأنها ستكون البداية لتأسيس جامعة الكوفة، وكان هدفها هو إدخال عنصر التنظيم على الدراسة العلمية، وعند حلول عام (1968م)، عادت فكرة تأسيس جامعة الكوفة من جديد من قبل هيئة علمية مؤلفة من جامعيين وحوزويين على أن تكون جامعة الكوفة جامعة أهلية، كما حددت البقعة الجغرافية التي ستقام عليها جامعة الكوفة وهي بقعة واسعة تمدد من (كري سعده)، باتجاه مدينة النجف، وتم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ المشروع إلا أن المشروع ألغي بقرار حكومي، وتم الاستحواذ على المبالغ المخصصة للجامعة.(1)

وفي عام (1974م)، عادت من جديد فكرة تأسيس جامعة الكوفة، وتبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هذه الفكرة، عندما صدر قرار بتأسيس كلية الزراعة لكي تكون النواة الأولى لتأسيس جامعة الكوفة إلا أن مشروع تأسيس كلية الزراعة لم ينفذ أساسا.

عند حلول عام (1987م)، صدر قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (951)، بتأسيس جامعة الكوفة، وضمت الجامعة كليتين هما كلية الفقه وكلية الطب في الكوفة، وكما ألغيت جامعة الكوفة في عام (1991م)، نتيجة إخفاق الانتفاضة الشعبانية وصدور المرسوم الجمهوري، إلا أن جامعة الكوفة عادت إلى عملها بعد عدة أشهر، وبعد عام (2003م) أصدرت جامعة الكوفة بياناً للجامعات العراقية كافة أوضحت فيه سياسة الجامعة الجديدة بعد سقوط النظام المباد، وقد جاء فيه عدة أمور منها:

1- إقامة المعاهدات الثقافية.

2- التوسع في الندوات العلمية المشتركة.

3- تبادل الأساتذة.

4- تبادل المطبوعات.

5- نشر البحوث في المجلات الجامعية المعتمدة علمياً.

6- التواصل المعرفي الرصين.

وقام الدكتور حسن عيسى الحكيم بجملة من الإجراءات التي باركتها أو وافقت عليها وزارة التعليم العالي وهذه الإجراءات هي:

1- دمج الدراسة المسائية بالدراسة النهارية.

2- قبول طلاب النجف في الجامعات العراقية، في كليات جامعة الكوفة إلى حين موعد الامتحانات النهائية.

3- العمل على إخراج القطعات العسكرية العراقية والأجنبية من مباني الجامعة.

4- الاستعانة بالمعهد التقني في النجف باستضافة طلبة كلية الهندسة ريثما يتم ترميم الكلية.

5- التعاون مع مديرية تربية النجف على أشغال بعض قاعات مدارسها لامتحان طلبة جامعة الكوفة.

6- أشغال كلية التربية للبنات لرئاسة الجامعة إلى حين ترميم مبنى الجامعة.

كما سعى الدكتور حسن الحكيم خلال فترة توليه رئاسة جامعة الكوفة إلى جملة من الإجراءات نتيجة الأوضاع السائدة آنذاك هي:

1- إبعاد الجامعة عن التيارات السياسية والدينية والتعاون معها في المجالات العلمية.

2- إعادة كلية الفقه بعد انقطاع اثنتي عشر سنة.

3- الشروع ببناء الجامعة بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والإدارة المدنية والعسكرية في النجف.

4- تحويل قسم القانون في كلية الإدارة والاقتصاد إلى كلية القانون.

5- حضور رئيس الجامعة مؤتمرات اتحاد الجامعات العربية في الأردن ولبنان ومصر والجزائر.(2)

وقد تولى رئاسة جامعة الكوفة منذ تأسيسها عام (1987م)، حتى عام (2024م)، عدة أساتذة وهم:

جدول يوضح رؤساء جامعة الكوفة خلال (1987-2024م).(3)

الاسـم	الاختصـاص	الفـترة
الدكتور يحيى توفيق الراوي	جيولوجيا	(1987-1991م)
الدكتور ظافر سليمان داوود	طب جراحة عامة	(1991-1994م)
الدكتور يحيى توفيق الراوي	جيولوجيا	(1994-1995م)
الدكتور خليل إبراهيم الطيف	طب بيطري	(1995-2001م)
الدكتور نبيل الراوي	هندسة كهرباء	(2001-2003م)
الدكتور حسن عيسى الحكيم	تاريخ	(2003-2006م)
الدكتور عبد الرزاق عبد الجليل العيسى	كيمياء حياتيه	(2006-2011م)

الدكتور عقيل عبد ياسين حسين الكوفي	وراثة طبية	(2011-2017م)
الدكتور مهدي محمد رضا عبد الصاحب السهلاوي	كيمياء	(2017م)
لدكتور محسن عبد الحسين عبد الأمير الظالمي	طب امراض جلدية	(2017-2019م)
الدكتور ياسر لفته حسون العكيلي	طب امراض اذن وانف وحنجرة	(2019-2024م)
الدكتور علاء ناجي المولى	لغة عربية	(2024م) إلى الوقت الحالي

المحور الثاني

الهيكل التنظيمي لجامعة الكوفة

تتمتع جامعة الكوفة بهيكلية إدارية تنظيمية متكاملة تتماشى مع متطلبات إدارة المؤسسات الأكاديمية الحديثة، والهدف منه هو ضمان كفاءة الأداء الأكاديمي والإداري، وتطورت الهيكلية التنظيمية لجامعة الكوفة خلال هذه الفترة، ولم تحصل الباحثة على معلومات تتعلق بالهيكلية التنظيمية القديمة للجامعة لعدة أسباب منها الظروف السياسية والحروب وأيضا لعدم توفر الأرشفة إلكترونية في الفترات الماضية، وفيما يلي يتم توضيح التقسيمات الإدارية لجامعة الكوفة وهي:

مجلس الجامعة

1- رئيس الجامعة:

ويأتي في قمة الهرم الإداري للجامعة، يقع رئيس الجامعة، وهو المسؤول الأعلى على إدارة الجامعة وممثلها رسمياً، ويشرف على تنفيذ السياسات العامة والاستراتيجية، ويكون تابع بشكل مباشر لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ومجلس الجامعة يتكون من رئيس جامعة، عمداء كليات، ومدراء المراكز والوحدات، وهو الجهة المخولة بخصوص اتخاذ كافة القرارات الاستراتيجية المتعلقة بالشؤون الأكاديمية والمالية والإدارية، ويضم مجلس الجامعة في عضويته أيضا شعبة أمانة مجلس الجامعة، وشعبة شؤون الترقيات العلمية ولجنة الترقيات العلمية. كما يضم في عضويته عدة أقسام هي:

- قسم ضمان الجودة والأداء الجامعي، ويتكون من (شعبة الاعتماد، شعبة تقويم الأداء المؤسسي أو الأكاديمي، شعبة ضمان الجودة).

- قسم شؤون الأقسام الداخلية (شعبة الشؤون القانونية والإدارية، شعبة إسكان الطلبة، شعبة البحث الاجتماعي شعبة الصيانة والخدمات، شعبة الحسابات والمخازن وإدارة المجتمع).

- قسم التدقيق والرقابة الداخلية (شعبة التدقيق السابق للصرف، شعبة تدقيق البيانات المالية والسجلات، شعبة تدقيق العقود، شعبة الرقابة الإدارية).

- قسم النشاطات الطلابية (شعبة النشاطات الرياضية، شعبة النشاطات الفنية، شعبة النشاطات الكشفية، شعبة النشاطات الثقافية، شعبة العمل التطوعي).

- قسم المتابعة الجامعية (شعبة الاستعلامات والحراسات الليلية، شعبة الباجات والتخاويل، شعبة الكاميرات).

- مركز التعليم المستمر (شعبة الشؤون الإدارية، شعبة التدريب، شعبة التطوير).

- مكتب التصاريح الأمنية (شعبة التصاريح الأمنية، شعبة المعلومات، شعبة السلامة والأمن، شعبة الصادر والوارد).

- قسم الإعلام والاتصال الحكومي (شعبة الإعلام، شعبة العلاقات العامة).

- شعبة العقود الحكومية.

- شعبة شؤون المواطنين.

- شعبة البريد المركزي.

- شعبة شؤون المرأة .

2- مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية:

المساعد العلمي لرئيس الجامعة، ومهمته الإشراف على الأمور العلمية والبحثية وشؤون الدراسات العليا والمناهج وغيرها من المهام، ويضم في عضويته عدة أقسام وشعب وهي:

- قسم البعثات والعلاقات الثقافية (شعبة الدارسين في الخارج، شعبة العلاقات الثقافية).
- قسم الدراسات والتخطيط (شعبة الإحصاء، شعبة التخطيط، شعبة البيانات والمعلوماتية).
- قسم الشؤون العلمية (الشعبة العلمية، شعبة تسويق النتاجات العلمية، وحدة البرنامج الحكومي).
- قسم التسجيل وشؤون الطلبة (شعبة التسجيل والقبول، شعبة الخريجين والتصديقات، شعبة الوثائق والشهادات، شعبة متابعة شؤون الطلبة).
- قسم شؤون الدراسات العليا (شعبة القبول والتسجيل، شعبة الوثائق والشهادات والأوامر الجامعية، شعبة متابعة شؤون الطلبة).
- شعبة الحاضنات التكنولوجية والنظام البيئي.
- شعبة التأهيل والتوظيف والمتابعة.
- شعبة التصنيفات العالمية.
- شعبة السلامة والأمن الكيمياوي والبايولوجي والإشعاعي.
- شعبة الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي.
- شعبة حقوق الإنسان.

3- مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية:

المساعد الإداري ومهمته متابعة الأمور الإدارية والمالية كالموارد البشرية والمشتريات والتجهيزات وأيضا الإشراف على الأمور القانونية وغيرها من المهام الإدارية، ويضم في عضويته عدة أقسام وشعب وهي:

- قسم الشؤون الإدارية والمالية (شعبة شؤون الموظفين، شعبة التوظيف والملاك، شعبة شؤون التدريسين، شعبة التقاعد، شعبة الموازنة والتخطيط المالي، شعبة السجلات، شعبة الحسابات الاستثمارية، شعبة صندوق التعليم العالي، شعبة المخازن والتجهيزات، شعبة الرواتب).؛
- قسم الإعمار والمشاريع (شعبة تخطيط المشاريع، شعبة تنفيذ المشاريع، شعبة متابعة المشاريع).

- قسم شؤون الديوان (شعبة الآليات والنقل، شعبة الصيانة والخدمات، شعبة الورش الفنية، شعبة الاتصالات والبدالة، شعبة الدفاع المدني، الشعبة الزراعية.

- قسم الشؤون القانونية (شعبة الحقوق والدعاوى، شعبة الأملاك والسكن الجامعي، شعبة الاستشارات القانونية، شعبة العقود الدراسية والكفالات).

- قسم المطبعة (شعبة الشؤون الإدارية، الشعبة الفنية، الشعبة الإنتاجية).(4)

4- الكـليات:

تتبع كل كلية إلى عميد، يساعده معاون أو أكثر (معاون علمي، معاون إداري)، ويرتبط بكل كلية مجلس خاص بها يُعنى بشؤونها الأكاديمية، واحتوت جامعة الكوفة على إحدى وعشرين كلية وهي:

كلية الفقه:

تأسست كلية الفقه عام (1958م)، وارتبطت بالجامعة المستنصرية عام (1977م)، وعند تأسيس جامعة الكوفة عام (1987م)، التحقت بها كلية الفقه وبالفعل أحداث عام (1991م) المتمثلة بإخفاق الانتفاضة الشعبانية كما ذكرنا في محور التأسيس أغلقت كلية الفقه، ثم أعيد افتتاحها بعد سقوط النظام البائد عام (2003م)، وتهدف كلية الفقه إلى إقامة تفاعل وانسجام وتواصل معرفي يجمع ما بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية في الوقت ذاته، وهذا يصب في إعداد جيل واعي متعمق في المعرفة الدينية المنهجية بمرتكزاتها الإنسانية أي إعداد مدرسين متخصصين وباحثين وخطباء قادرين على مواجهة مشاكل العصر مقتدين بمدرسة أهل البيت (عليهم السلام). وتتكون كلية الفقه من عدة أقسام وهي:

- قسم علوم القرآن الكريم.
- قسم الفقه وأصوله.
- قسم اللغة العربية.
- قسم العقيدة والفكر الإسلامي.
- قسم علوم الحديث الشريف.

افتتحت هذه الأقسام للدراسة الصباحية، كما افتتح فيما بعد قسم علوم القرآن الكريم للدراسة المسائية أيضا أضافتا للتعليم الموازي هذا بالنسبة للدراسة الأولية أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد افتتح قسمين هما علوم القرآن والحديث الشريف والفقه وأصوله لدراستي الماجستير والدكتوراه.(5)

كلية الطب:

تأسست كلية الطب عام (1977م)، وأيضا التحقت بجامعة المستنصرية، ثم أعيدت إلى الكوفة عام (1980م)، وبتأسيس جامعة الكوفة ألحقت كلية الطب بها، وتسعى الكلية إلى تخريج أطباء وعلماء وباحثين في مختلف التخصصات الطبية من أجل تقديم أفضل الخدمات الصحية للمجتمع كما تحرص على تطوير مناهجها العلمية وتحديث برامجها السريرية ومواكبة التطورات الطبية الحديثة في العالم (6)، وتتكون كلية الطب من إحدى عشر قسم ومنها: علم وظائف الأعضاء (الفسلجة)، الأدوية والعلاجات، والأحياء المجهرية، والطب الباطني وطب الأطفال، وطب وجراحة العيون. هذا أضافتا إلى التعليم الموازي والدراسات العليا بأقسامها الماجستير والدبلوم العالي والدكتوراه.(7)

كلية التربية للبنات:

تأسست كلية التربية للبنات عام (1987م)، وتهدف الكلية إلى إعداد كادر تدريسي تربوي نسوي متخصص في العلوم الإنسانية والعلمية لغرض الارتقاء بالواقع التعليمي في المجتمع وبنائه وفق أسس علمية صحيحة لمواجهة مشكلات العصر من خلال الاعتماد على مناهج علمية متطورة تحاكي التطور العالمي، وتلبي ما يحتاج إليه سوق العمل، وتتكون كلية التربية للبنات من عدة أقسام هي: علم الحياة، الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، الحاسبات، الرياضة، الجغرافية، التاريخ، اللغة العربية، علم النفس، اللغة الإنكليزية للدراسة الصباحية وبعض الأقسام فتحت الدراسة المسائية هذا بالنسبة للدراسات الأولية أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت كلية التربية للبنات دراسات عليا لبعض أقسامها.(8)

كلية الآداب:

تأسست كلية الآداب عام (1989م)، وهدفها هو توظيف العلوم الإنسانية في خدمة المجتمع من خلال إعداد الدراسات والبحوث وتخريج طلبة متخصصين في علومها وتطوير هذه العلوم والمعارف لكي تسهم في حل المشكلات التي تقف عائقاً أمام خطط التنمية المعاصرة، وتتكون كلية الآداب من عدة أقسام هي: اللغة العربية، التاريخ، الجغرافية، الفلسفة، اللغة الإنكليزية، المجتمع المدني، الإعلام، للدراسات الأولية وافتتح قسم اللغة الإنكليزية الدراسة المسائية، بالإضافة إلى الدراسات العليا بقسميها الماجستير والدكتوراه.

كلية الإدارة والاقتصاد :

تأسست كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة الكوفة عام (1993م)، وتهدف إلى إثراء طلابها بالمعرفة العلمية والمنهجية لغرض تأهيلهم من أجل قيادة الدوائر الحكومية والمؤسسات في وضع الخطط الاستراتيجية والبرامج المالية والإدارية والاقتصادية والسياحية وإجراءات تنفيذها بما يتناسب مع الواقع آخذين بعين الاعتبار الأوضاع السائدة في البلاد، وتتكون كلية الإدارة والاقتصاد من أقسام عدة هي: الاقتصاد، إدارة الأعمال، المحاسبة، العلوم المالية والمصرفية، السياحة للدراسة الصباحية والمسائية والتعليم الموازي هذا بالنسبة للدراسة الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت كلية الإدارة والاقتصاد دراسة الماجستير والدبلوم العلي والدكتوراه لبعض أقسامها.(9)

كلية العلوم:

تأسست كلية العلوم عام (1993م)، وهدفها وإقامة المعرفة المنهجية والعلمية وتطويرها من أجل الارتقاء بها بإعداد كوادر متخصصة ذات كفاءات عالية، وتتمتع بالخبرات واسعة تؤهلهم لتولي توظيف التكنولوجيا الحديثة بما يتناسب مع سوق العمل، ويصب في خدمة المجتمع. وتتكون كلية العلوم من أقسام هي: علوم الحياة، الكيمياء، الفيزياء، التحليلات المرضية، وعلو بيئة وتلوث، وعلوم أرض للدراسة الصباحية والمسائية والتعليم الموازي أيضا هذا بالنسبة للدراسة الأولية، كما افتتحت أيضا برامج للدراسات العليا لبعض الأقسام بما فيها الماجستير والدكتوراه.(10)

كلية الهندسة:

تأسست كلية الهندسة في جامعة الكوفة عام (1993م)، وهدفها إعداد مهندسين متخصصين قادرين على تولي المسؤولية الأخلاقية والمهنية وتوظيف خبراتهم في شتى الاختصاصات الهندسية كلٍّ حسب تخصصه لتطبيق العلوم الهندسية في حقل العمل، وتهدف كلية الهندسة إلى تطوير خبراتها باستمرار بما يتناسب مع التطور العلمي السائد في

العالم وما يحتاج إليه مجتمعنا أما أقسام كلية الهندسة هي قسم الهندسة المدنية، والميكانيكية، والكهربائية، وقسم هندسة المواد والمنشآت، والموارد المائية، والاتصالات وغيرها من الأقسام الهندسية للدراسية الصباحية وبعضها للدراسة المسائية وأيضا للتعليم الموازي هذا بالنسبة للدراسة الأولية أما فيما يتعلق بالدراسات العليا، فقد افتتحت كلية الهندسة دراسة الماجستير لكل أقسامها.(11)

كلية الزراعة:

تأسست كلية الزراعة عام (1997م)، والهدف من تأسيسها هو إعداد الملاكات متخصصة في العلوم الزراعية وتطبيقاتها الميدانية وإكسابهم خبرات علمية بما يتناسب مع عملهم في ضوء التطور العلمي واستعمال التقنيات الحديثة في الإنتاج الزراعي، وتتكون كلية الزراعة من عدة أقسام هي: البستنة وهندسة الحدائق، وقاية النباتات، الإنتاج الحيواني، علوم الأغذية، علوم التربة التربية ومصادر المياه، وفتحت كل أقسامها للدراسة الصباحية والمسائية هذا بالنسبة للدراسة الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت برنامجها لدراسة الماجستير وبعض أقسامها لدراسة الدكتوراه.(12)

كلية الصيدلة:

تأسست كلية الصيدلة عام (1999م)، وتهدف إلى إعداد كوادر من الصيادلة ذو خبرات عالية ومتمكنة وكفؤة قادرة أو تستطيع أن تقدم أفضل الخدمات المطلوبة منها، ونشر ثقافة الاستخدام الصحيح للدواء من خلال إقامة الندوات التثقيفية وإصدار النشرات لزيادة الوعي الصحي وتجنب الوقوع بالأخطاء الطبية ومواكبة ما هو سائد من تطور صحي عالمي، وتتكون كلية الصيدلة من أقسام عدة وهي: فرع الكيمياء الصيدلانية، فرع العلوم المختبرية السريرية، فرع الأدوية والسموم، فرع العقاقير والنباتات الطبية للدراسة الصباحية وللتعليم الموازي فقط هذا بالنسبة للدراسات الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت كلية الصيدلة دراسة الماجستير والدكتوراه لبعض أقسامها.(13)

كلية القانون :

تأسست كلية القانون عام (2004م)، وهدفها هو تخريج ملاكات قانونية تتمتع بوعي قانوني كافي لغرض قيادة العمل القانوني في دوائر الدولة كافة وتولي السلطة لمستحقيها بشكل عادل وفرض القوانين وتوجيه العقوبات للمخالفين وحل قضايا المجتمع المختلفة في كل النواحي الحياة المختلفة، وأيضا هدفها هو نشر الثقافة القانونية بين أبناء المجتمع. وتتكون كلية القانون من قسمين هما: القانون العام والقانون الخاص هذا بالنسبة للدراسة الأولية أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد افتتحت كلية القانون دراسة الماجستير للقانون بقسميه والدكتوراه لقسم القانون العام فقط (14).

كلية طب الأسنان:

تأسست كلية طب الأسنان عام (2006م)، وهدفها هو إعداد أطباء أسنان مؤهلين في تقديم أفضل الخدمات الطبية لمجتمعهم، وإنشاء مراكز تخصصية في طب الأسنان وتطوير خبرات خريجيها في مجال تخصصهم، وتكونت كلية طب الأسنان من أقسام عدة منها قسم العلوم الأساسية، ومعالجة الأسنان، وطب وأمراض الأنف وغيرها هذا الحال بالنسبة للدراسية الأولية ولنظام التعليم الموازي أيضا، أما بالنسبة للدراسات العليا، فلم تشهد كلية طب الأسنان فتح برنامج للدراسات العليا فيها.(15)

كلية التمريض:

تأسست كلية التمريض بجامعة الكوفة عام (2006م)، وهدفها هو إعداد ملاكات علمية متخصصة بعلوم التمريض وصحة المجتمع وتدريبهم وتطوير مهاراتهم لغرض أداء دورهم ونشر الوعي الصحي بين طبقات المجتمع المختلفة، وتكونت كلية التمريض من ستة أقسام ومنها قسم أساسيات التمريض وقسم الصحة النفسية، وقسم صحة المجتمع وغيرها، هذا بالنسبة للدراسة الأولية الصباحي والمسائي وكذلك الحال للتعليم الموازي. أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت كلية التمريض دراسة الماجستير والدكتوراه لقسم علوم التمريض فقط.

كلية الطب البيطري:

تأسست عام (2008م)، وتهدف بفروعها العلمية كافة إلى إعداد أطباء بيطرين مؤهلين للعمل على تحسين الثروة الحيوانية ومتمكنين من أخذ الإجراءات اللازمة لما يتطلبه الواقع الصحي، وتكونت كلية الطب البيطري من خمسة أقسام منها أدوية وسموم بيطرية، أحياء مجهرية، أمراض حيوان، هذا الحال بالنسبة للدراسة الأولية صباحي والتعليم الموازي أيضا، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت كلية الطب البيطري دراسة الماجستير لكل أقسامها.(16)

كلية علوم الحاسوب والرياضيات:

تأسست الكلية عام (2008م)، وتهدف إلى مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية والبرامج الحديثة في تخصص الرياضيات والحاسوب، وتهدف أيضا إلى رفد المجتمع بالباحثين والخبراء ونشر ثقافة التفكير المنطقي، وتكونت الكلية من قسمين فقط هما الحاسوب والرياضيات للدراسة الصباحية والتعليم الموازي أما بالنسبة للدراسة المسائية اختصرت فقط على علوم الحاسوب هذا الحال بالنسبة للدراسة الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت الكلية دراسة الماجستير والدبلوم العالي والدكتوراه أيضا.

كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة:

تأسست الكلية عام (2008م)، وتهدف إلى ترسيخ الأسس الحديثة للتربية البدنية ونشر مفاهيم علمية وفق علومها والاعتماد على مناهج علمية متطورة ونشر ثقافة ممارسة الأنشطة الرياضية المختلفة، وتتكون الكلية من ثلاثة أقسام هي العلوم النظرية، والألعاب الفرقية، والألعاب الفردية للدراسة الصباحية والمسائية هذا بالنسبة للدراسة الأولية أما الحال بالنسبة للدراسات العليا، فقد افتتحت دراسة الماجستير والدكتوراه لقسم التربية البدنية وعلوم الرياضة.

كلية التربية الأساسية:

تأسست الكلية عام (2009م)، ويكمن هدفها في إعداد معلمين جامعيين في تخصصات محددة واعتماد مناهج علمية تساعد على الارتقاء بالواقع التعليمي ومواكبة التطور العلمي، وتكونت كلية التربية الأساسية من أربعة أقسام هي قسم اللغة العربية، والتربية الإسلامية، ولرياض الأطفال والرياضيات للدراسة الصباحية والمسائية هذا بالنسبة للدراسة الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد فتحت دراسة الماجستير لقسم اللغة العربية والدراسات القرآنية، والدكتوراه لقسم اللغة العربية أيضا.(17)

كلية التربية:

تأسست الكلية في عام (2009م)، وتهدف إلى إعداد جيل متعلم ومثقف له دور فاعل في الارتقاء بالواقع التربوي والتعليمي واعتماد مناهج تعليمية متطورة واستخدام أساليب تدريس حديثة تواكب التطور العلمي السائد بالمجتمعات

المعاصرة الأخرى، وتتكون كلية التربية من خمسة أقسام منها قسم علوم الحاسوب، والتربية الفنية، واللغة الإنكليزية وغيرها للدراسة الصباحية والمسائية والتعليم الموازي هذا بالنسبة للدراسة الأولية أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد افتتحت دراسة الماجستير لقسمين فقط.

كلية التخطيط العمراني:

تأسست الكلية عام (2011م)، وتهدف إلى إعداد ملاكات علمية متخصصة في التخطيط العمراني وأن يكون له دور فاعل وبارز في وضع خطط وبرامج تنفيذية لغرض القيام بالمشاريع العمرانية وفق أسس حديثة ومتطورة، وتكونت من ثلاثة أقسام وهي: قسم التخطيط البيئي، والتخطيط الحضري، والتخطيط الإقليمي، للدراسة الصباحية فقط هذا بالنسبة للدراسة الأولية، أما بالنسبة للدراسات العليا، فقد افتتحت دراسة الماجستير والدكتوراه لبعض أقسامها.

كلية الآثار:

تأسست الكلية عام (2011م)، وتهدف إلى عقد الاتفاقيات العلمية مع كليات الآثار العربية والعالمية لغرض تبادل الخبرات العلمية واعتمادها أساليب وطرق ومناهج علمية حديثة ومتطورة، وتكونت من ثلاثة أقسام هي قسم الآثار العراقية القديمة، والآثار الإسلامية، والمخطوطات والوثائق التاريخية، للدراسة الأولية فقط.

كلية العلوم السياسية:

تأسست الكلية عام (2013م)، وكانت تابعة قبل هذا التاريخ لكلية القانون، وتسعى إلى تخريج نخبة من ذوي الفكر السياسي وتنمية مهاراتهم وإعدادهم من أجل تحدي ومواجهة مشكلات العصر المختلفة وإيجاد الحلول المناسبة لها، وتكونت من قسم واحد فقط هو قسم العلوم السياسية للدراسة الصباحية والتعليم الموازي هذا بالنسبة للدراسة الأولية كما افتتحت دراسة الماجستير أيضا.

كلية اللغات:

تأسست الكلية عام (2014م)، وهدفها إعداد كادر متمكن، ويجيد لغات عدة ولغرض خلق تفاعل وتواصل علمي مع البلدان الأخرى، وتكونت من أربعة أقسام هي: اللغة الإنكليزية، واللغة الفرنسية، واللغة الفارسية، واللغة التركية، للدراسة الصباحية فقط.(18)

5- المـراكـز البحـثية:

- مركز دراسات الكوفة:

-تأسس مركز دراسات الكوفة عام (1992م)، بموجب قرار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ويعتبر واحدا أقدم المراكز البحثية في العراق، وأصدر المركز مجلة بعنوان (حضارة الكوفة)، عام (1997م)، ويهدف المركز إلى نشر العلوم والمعارف والآداب التي لها صلة بتاريخ العراق وحضارته، كما نشر العديد من البحوث العلمية الصادرة عن مجلته المحكمة مجلة مركز دراسات الكوفة، وعقد العديد من المؤتمرات والندوات العلمية.(19)

- مركز التكنلوجيا الجيوماتكس:

تأسس المركز في عام (2012م)، تحت مسمى (مركز التحسس النائي)، ثم تغير اسمه في عام (2022م)، بمركز التكنلوجيا الجيوماتكس، ويتكون من قسمين هما: قسم تطبيقات المياه والبيئة وقسم تطبيقات الهندسة والآثار

بالإضافة إلى ستة وحدات وهدف المركز هو وضع أسس رصينة لتقنيات الجيوماتكس في النظم المكانية والرقمية كنظم تحديد المواقع والاستشعار عن بعد وغيرها.

- مركز البحث والتأهيل المعلوماتي:

تأسس المركز في عام (2010م)، ويضم مركز الحاسبة الإلكترونية فضلاً عن دوره في إقامة الدورات التدريبية وأنشأ المركز وحدات بحثية متخصصة في تقنيات المعلومات لتقدم الخدمات والاستشارات الفنية للمؤسسات على المستوى المحلي وأيضا الدولي من خلال عقد الاتفاقيات العلمية وتبادل الخبرات.

- مركز التعليم المستمر:

تأسس المركز عام (1987م)، ووظيفته هي تزويد مؤسسات الدولة وسوق العمل بملاكات مؤهلة ومدربة، وتمتلك خبرات عالية تصب في خدمة المجتمع كما يعمل مركز التعليم المستمر على إقامة الندوات العلمية والورش لكافة التخصصات.(20)

6- المكتبة المركزية:

تأسست المكتبة المركزية عام (1987 م)، وتتكون من عدة شعب هي: شعبة الإجراءات الفنية، شعبة خدمات المستفيدين، شعبة النظم الآلية، شعبة الشؤون الإدارية، تهدف المكتبة إلى تطوير خدماتها وتوفير مصادر معرفية للمستفيدين ودعم البحث العلمي واستخدام التقنيات الحديثة وأيضا توفير بيئة دراسية مناسبة للطلاب.(21)

المـحور الثـالـث

تطـور جامعة الكوفة

منذ تأسيسها في عام (1987م)، شهدت جامعة الكوفة تطوراً ملحوظاً في مختلف الجوانب الأكاديمية والعلمية، ولعل من أبرز مظاهر هذا التطور هو حرصها المستمر على تنظيم المؤتمرات العلمية بمختلف التخصصات. فقد بدأت الجامعة بخطوات متواضعة في عقد اللقاءات العلمية والندوات على مستوى الكليات، ثم تطورت تدريجياً إلى تنظيم مؤتمرات محلية، إقليمية دولية تعكس طموح الجامعة في تعزيز البحث العلمي وتبادل الخبرات الأكاديمية. وقد أصبحت جامعة الكوفة اليوم واحدة من أبرز المؤسسات العلمية في العراق من حيث استمراريتها في إقامة المؤتمرات النوعية التي تسهم في إثراء المعرفة، وتشجيع الابتكار وتعزيز مكانتها الأكاديمية على الصعيدين المحلي والدولي أضافتا للمؤتمرات تقيم جامعة الكوفة بالعديد من الدورات بمختلف الاختصاصات وأيضا الندوات والورش العلمية والتثقيفية وغيرها.

حيث يسهم أساتذة كليات جامعة الكوفة بعقدها على مستوى جامعة الكوفة وأيضا على مستوى الجامعات العراقية والجامعات الدولية بما فيها جامعات عربية وأجنبية.

1- المؤتـمرات:

شهدت جامعة الكوفة انعقاد عدد من المؤتمرات العلمية المتنوعة، والتي تعد مؤشراً مهما على مدى تطورها الأكاديمي والبحثي. فكل مؤتمر تنظمه الجامعة يعكس مدى انخراطها في القضايا العلمية الحديثة وحرصها على تعزيز مكانتها بين الجامعات الرائدة محلياً ودولياً.

بدأت جامعة الكوفة بعقد مؤتمراتها منذ عام (1992م)، وفي هذا العام عقد المؤتمر العلمي الأول (الكوفة في التاريخ)، والمؤتمر الثقافي والمؤتمر السنوي للدراسات ومؤتمر حصار النجف والمؤتمر العلمي الأول للجامعة والمؤتمر الجغرافي الوطني الأول والمؤتمر الجغرافي القطري الثالث والمؤتمر العلمي الأول كل هذه المؤتمرات عقدت للفترة ما بي (1992-1999م)، وغيرها من المؤتمرات التي عقدت للفترة ذاتها.

وخلال (2000-2024م)، عقدت مجموعة من المؤتمرات أيضا منها المؤتمر القطري الأول للغة العربية وآدابها في عام (2000م)، والمؤتمر القطري الأول للهندسة الميكانيكية والمعادن وهندسة المواد والمؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الصيدلانية والمؤتمر الدولي العلمي الثالث عشر لمشاريع تخرج الطلبة والمؤتمر الطلابي السنوي التاسع والمؤتمر السنوي لطلبة الدراسات العليا وغيرها العديد من المؤتمرات حتى الوقت الحالي، وهذا يدل على مدى التطور الذي وصلت إليه جامعة الكوفة.(22)

2- المـجلات:

تعد مجلات جامعة الكوفة العلمية منبراً أكاديميا مهماً لنشر البحوث والدراسات في مختلف التخصصات، حيث تسهم في دعم الحركة العلمية والبحثية داخل العراق وخارجه.

تصدر جامعة الكوفة عدداً من المجلات المحكمة التي تغطي مجالات متنوعة مثل العلوم الإنسانية، والعلوم الصرفة، والهندسة، والطب، والحقوق، وغيرها وتلتزم هذه المجلات بمعايير النشر العلمي الرصين، مما يجعلها مرجعاً موثوقاً للباحثين والأكاديميين، وتأتي هذه الجهود ضمن رؤية الجامعة في تعزيز البحث العلمي وخدمة المجتمع الأكاديمي أضف إلى ذلك فإن جامعة الكوفة نشرت عدداً كبيراً من البحوث العلمية والإنسانية من خلال مجلاتها التالية.

جدول يوضح فيه مجلات جامعة الكوفة [23]

ت	اسـم المجـلة	سنة الاستحداث
.1	مجـلة الكـوفـة الطبية	(1989م)
.2	مجلة اللغة العربية وآدابها	(2001م)
.3	مجلة البحوث الجغرافية	(2001م)
.4	مجلة مركز دراسات الكوفة	(2004م)
.5	مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية	(2004م)
.6	مجلة كلية الفقه	(2005م)
.7	مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية	(2007م)
.8	مجلة آداب الكوفة	(2008م)
.9	مجلة الكوفة الهندسية	(2008م)

.10	مجلة الكوفة للعلم الزراعية	(2009م)
.11	مجلة الكوفة للفيزياء	(2009م)
.12	مجلة جامعة الكوفة لعلوم الحياة	(2009م)
.13	مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية	(2009م)
.14	مجلة الكوفة للرياضيات والحاسبات	(2010م)
.15	مجلة الكوفة للعلوم الطبية البيطرية	(2010م)
.16	مجلة الكوفة لعلوم الكيمياء	(2010م)
.17	مجلة الكوفة لعلوم التمريض	(2011م)
.18	مجلة الكوفة الدولية	(2012م)
.19	مجلة الكوفة لعلوم التربية البدنية	(2021م)

3- الدورات والندوات والورش العلمية:

تسعى جامعة الكوفة إلى تعزيز بيئتها الأكاديمية من خلال تنظيم مجموعة متنوعة من الدورات التدريبية، الندوات العلمية، وورش العمل المتخصصة بدأت جامعة الكوفة بإقامة دوراتها في عام (1989م)، بعنوان (دورة رعاية أبناء الشهداء وعوائلهم). والدورة الثانية والدورة الثالثة وأيضا عقدت ندواتها منذ عام (1993م)، تحت عنوان (ندوة الطب في تراث الحيرة والكوفة والنجف)، و(ندوة السياحة الدينية في النجف)، و(الندوة العلمية الاستذكارية لثورة العشرين) والندوة العلمية (دور النجف في الحفاظ على سلامة اللغة العربية)، هذه كانت أولى الدورات الندوات التي عقدتها جامعة الكوفة اضافتاً إلى ورش العمل، واستمرت جامعة الكوفة بعقدها حتى الوقت الحاضر. ت

تغطي هذه الفعاليات مجالات متعددة تشمل ريادة الأعمال، البحث العلمي، الطاقة المتجددة، الصحة، وتكنولوجيا المعلومات. على سبيل المثال، نظمت كلية الهندسة ندوة بعنوان (مبادرة ريادة ودورها في تطوير المشاريع)، خلال أسبوع الريادة العالمي، بهدف تعزيز ثقافة ريادة الأعمال بين الطلاب. كما أطلقت جامعة الكوفة مبادرة علمية لتطوير المهارات البحثية لطلبة الدراسات العليا، شملت دورات تدريبية وورش عمل لتعزيز قدراتهم في أدوات البحث العلمي. تُظهر هذه الأنشطة التزام الجامعة بتطوير مهارات منتسبيها وتعزيز مكانتها الأكاديمية.

كما أقامت جامعة الكوفة العديد من المواسم الثقافية والمهرجانات منها المهرجان العلمي الكبير بمناسبة مرور 1400 عام على تأسيس مدينة الكوفة في عام (1996م)، وتم تأسيس عدد من المنتديات للجامعة منها منتدى عام (1990م). استمرت جامعة الكوفة في مختلف أنشطتها حتى الوقت الحالي.(24)

4- كرسي اليونسكو:

أنشأ كرسي اليونسكو في عام (2015م)، حيث سبقت جامعة الكوفة غيرها من الجامعات العراقية في إنشاء الكرسي وهو متخصص بتطوير دراسات الحوار بين الأديان في العالم الإسلامي، ويقوم على تقديم المعرفة الأكاديمية في الحقول الإنسانية وتحديداً الدراسات المتعلقة بالأديان والمذاهب وتشجيع التعايش السلمي وثقافة الحوار واحترام حقوق الإنسان اضافتاً لكل؛ مما سبق يسعى إلى تطوير مهارات كل من الأساتذة والباحثين والطلبة من خلال الاعتماد على

مناهج علمية متطورة كما يسعى إلى تعزيز أواصر النسيج الاجتماعي في العراق بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، وتم إنشاء موقع إلكتروني للكرسي لنشر المطبوعات وتنظيم عمل المؤتمرات والندوات العلمية والورش وغيرها من الأنشطة العلمية من خلال التعاون مع منظمة اليونسكو .(25)

5- التصـنيفـات:

تعد التصنيفات العالمية وسيلة تتبناها الجامعات العالمية لتقييم أدائها في مختلف المجالات الأكاديمية والبحثية وخدمة المجتمع، وتعتبر التصنيفات أداة حيوية لجذب الطلاب والتدريسين من مختلف أنحاء العالم، إذ إنها تسهم في رسم صورة واضحة عن جودة الجامعة.

دخلت جامعة الكوفة بالعديد من التصنيفات العلمية ومنها:

جدول يوضح التصنيف العالمي لجامعة الكوفة [26]

ت	التصنيف	السنة	التسلسل		
			عالمياً	عربياً	عراقياً
1	GREEN Metric	2015	240	/	1
		2016	333	/	1
		2017	198	/	1
		2018	167	/	1
		2019	199	/	2
		2020	400	/	4
		2021	390	/	8
2	QS (عالمي)	2017	710	/	2
		2018	601-650	/	2
		2019	701-750	/	2
		2020	801-1000	/	2
		2021	801-1000	/	1
		2022	1001-1200	/	2
		2023	1001-1200	/	2
3	QS (عربي)	2014	/	51	/
		2015	/	80-71	/
		2016	/	80-71	7
		2017	/	70-61	7
		2018	/	42	5
		2019	/	30	2
		2020	/	35	2

2	48	/	**2021**		
2	51	/	**2022**		
1	/	591	**2016**	**RUR**	**4**
1	/	729	**2017**		
1	/	619	**2018**		
2	/	646	**2019**		
5	/	714	**2020**		
4	/	722	**2021**		
7	/	817	**2022**		
9	/	5312	**2017**	**Webometrics**	**5**
12	/	4898	**2018**		
.	/	.	**2019**		
5	/	2864	**2020**		
3	/	2815	**2021**		
8	/	3993	**2022**		
2	/	301+	**2019**	**Time impact rankings**	**6**
1	/	401600	**2020**		
3	/	800601	**2021**		
3	/	8011000	**2022**		
3	8071	/	**2021**	**Times Arab university Rankings**	**7**
5	9071	/	**2022**		
4	/	150,1	**2023**	**World University Times rankings**	**8**
5	/	5312	**2018**	**Scimago Institutions Rankings**	**9**
9	/	5009	**2019**		
20	/	5690	**2020**		
25	/	7280	**2021**		
22	/	2772	**2022**		
19	/	6623	**2023**		

6- الاتـفاقـيات الـدولـية:

عقدت جامعة الكوفة مجموعة من الاتفاقيات الدولية، وسنعرض بعض هذه الاتفاقيات منها (مذكرة تفاهم) مع جامعة المنيا المصرية عام (2005م)، و(اتفاقية تعاون ثقافي مبدئي) مع جامعة الملكة أروى اليمنية عام (2009م)، و(مذكرة تفاهم) مع جامعة دي بول الأمريكية عام (2010م)، و(رسالة تعاون علمي) مع جامعة المصطفى الإيرانية عام (2012م)، و(رسالة تفاهم) مع جامعة وين ستيت الأمريكية عام (2012م)، و(رسالة تعاون) مع جامعة أمير كبير الإيرانية عام (2013م)، و(مذكرة تفاهم) مع جامعة الكاثوليك الفرنسية (2014م) و(رسالة نوايا) مع جامعة روكلو

التكنولوجية عام (2014م)، و(اتفاقية تعاون) مع منظمة اليونسكو عام (2015م)، و(مذكرة تفاهم) مع جامعة الخوارزمي في طهران عام (2016م)، و(اتفاق اطاري) مع جامعة بولونيا الإيطالية عام (2018م)، و(برنامج تعاون دولي) مع منظمة بشكل للحلول التعليمية عام (2019م)، و(اتفاقية تعاون) مع جامعة فاخينينجن الهولندية) عام (2021م) .(27)

7- بـراءات الاختراع:

من مظاهر التطور التي وصلت لها جامعة الكوفة هي براءات الاختراع، وتعتبر براءات الاختراع من المؤشرات الحيوية على تقدم البحث العلمي والابتكار في المؤسسات الأكاديمية وتعبر على مستوى الإبداع والجهود البحثية التي تبذلها الجامعات في مختلف المجالات، وقد شجعت جامعة الكوفة براءات الاختراع، وأولتها اهتماماً كبيراً؛ لأنها تعزز من دور الجامعة في التنمية المستدامة وخدمة المجتمع، فقد وفرت كل ما يسهم من التحفيز على الإبداع في سبيل تحقيق براءات الاختراع من بيئة مناسبة ومستلزمات في مختلف التخصصات، وهذا كل بالتالي يصب في نقطة مدى التطور الذي وصلت إليه جامعة الكوفة من بين الجامعات العراقية .(28)

8- مسـار بـولونـيا:

مسار بولونيا هو عملية متعددة الأهداف تهتم بوضع إطار يجعل المؤهلات في التعليم العالي متماثلة في شهادتها والمعلومات المتوفرة فيها، وتسير مسار المقارنة في الدرجات الجامعية في دول الاتحاد الأوربي، وتمكن من تبني معايير متماثلة في الجودة، وتساعد التعليم العالي في توظيف الطالب والمنافسة العالمية يهدف مسار بولونيا إلى تحسين الشفافية العلمية وترصين سمعة الجامعات والنظام التعليمي العراقي دولياً وتحسين جودة التعليم واستخدام أدوات ذات شفافية متعددة الأبعاد وإنشاء نظام للوحدات الدراسية مشابه للنظام الأوربي وتصميم مناهج جديدة تلبي احتياجات سوق العمل، وتسهم في إيجاد فرص عمل للخريجين وتقليص الفجوة بين قطاع التعليم وسوق العمل.

وقد اعتمدت جامعة الكوفة مسار بولونيا، وطبقته عام (2023م)، في كل من كلية الهندسة وكلية العلوم وكلية علوم الحاسوب والرياضيات، وفي عام (2024م)، تم تطبيق مسار بولونيا في كل من كلية الإدارة والاقتصاد وكلية الطب البيطري وكلية الزراعة.(29)

9- تـوسـع جـامعـة الكـوفـة:

اضافتاً لكل؛ مما سبق فإن جامعة الكوفة استمرت في التوسع منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر، فعلى سبيل المثال كان لتأسيس عمادة كلية الدراسات العليا عام (2017م)، الأثر الكبير في تعزيز برامج الماجستير والدكتوراه في مختلف التخصصات، ووضعت الجامعة لذلك خطط استراتيجية لغرض التوسع الأفقي والعمودي عن طريق زيادة عدد الكليات والأقسام وتحديث المناهج الدراسية.(30)

أسست جامعة الكوفة وحدة بحوث الليزر عام (2011م) في كلية الطب، وفتحت أبوابها لاستقبال المراجعين، وتعتبر وحدة بحوث الليزر وحدة علاجية وبحثية، وتعنى بتخصصات الجراحة التجميلية والأمراض الجلدية، واستقبلت

الوحدة طلبة الدراسات العليا (البورد العراقي والعربي) وتستقبل بشكل دوري طلبة المرحلة الأولى المقبولين في كلية الطب لغرض تعريفهم بخصائص أجهزة الليزر ضمن برامج التعلم الطبي.

أنجزت الوحدة عشرات البحوث العلمية، وقد أقرت هذه البحوث في محاضر اجتماعات الوحدة، ونشر قسم منها في المجلات العلمية المتخصصة الرصينة.

كما أسست جامعة الكوفة وحدة بحوث النانو تكنولوجي والمواد المتقدمة في عام (2012م)، وعد تأسيسها خطوة متقدمة في طريق البحث العلمي لثلاثة أغراض رئيسية هي: الغرض الأول تعليمي والثاني بحثي والغرض الثالث صناعي، وتهدف الوحدة إلى تأهيل ملاكات متخصصة في تقنية النانو نظراً وتطبيقاً لتوظيف التكنولوجيا على النحو الذي يؤدي إلى الإبداع والابتكار، مع التركيز على التطبيقات الصناعية لتقنية النانو في المشاريع الاستراتيجية في العراق وتحديداً المشاريع المتصلة بالعلاجات الطبية والصناعات النفطية والبتروكيميائية من خلال التعاون مع المؤسسات والدوائر والشركات التي تهتم بتقنيات النانو محلياً ودولياً والعمل على التنسيق معها في التسويق العلمي والتجاري.(31)

10- التحـديات والآفاق المستقــبليـة:

رغم كل النجاحات التي حققتها جامعة الكوفة، إلا أنها واجهت تحديات مستمرة منها التحديات الأمنية؛ بسبب الظروف السياسية المضطربة في العراق، بالإضافة إلى نقص التمويل، وهجرة الكفاءات العلمية إلى خارج البلاد وأيضا حاجتها إلى تحديث البنية التحتية وتطوير برامجها الأكاديمية لغرض مواكبة متطلبات سوق العمل كما سعت إلى تعزيز التعاون مع الجامعات والمؤسسات البحثية العالمية، وعلى الرغم من كل تلك التحديات إلا أن جامعة الكوفة استطاعت من خلال امتلاكها إمكانيات كبيرة ومتطورة خاصتاً مع زيادة الاهتمام الحكومي بالتعليم العالي وبرامج التعاون الدولي، خصوصاً بعد عام (2003م)، أن تحتل مركزاً وصرحاً علمياً واسعاً.(32)

الـخاتــمة

إنّ دراسة مسيرة جامعة الكوفة منذ تأسيسها عام 1987 حتى عام 2024 تكشف عن تجربة أكاديمية فريدة في بيئة عراقية واجهت تحديات سياسية وأمنية واقتصادية معقدة. فقد تمكنت الجامعة، رغم تلك التحديات، من إثبات حضورها العلمي من خلال التوسع المستمر في الكليات والأقسام، وتطوير البنية التحتية التعليمية، وتعزيز برامج البحث العلمي والدراسات العليا، لقد عكست مراحل تطور الجامعة ديناميكية واضحة في التعامل مع متغيرات الواقع الأكاديمي والاجتماعي، مما جعل منها أنموذجا وطنياً للجامعات العراقية الساعية إلى الريادة. كما شكل دخول الجامعة في التصنيفات العالمية مؤشراً على نضجها المؤسسي ورؤيتها المستقبلية الطموحة.

وعليه، فإن تجربة جامعة الكوفة تبرز أهمية الاستثمار في التعليم العالي كركيزة أساسية لبناء الدولة والنهوض بالمجتمع، وتستدعي المزيد من الدعم والتوثيق الأكاديمي لاستشراف مستقبل التعليم الجامعي في العراق.

وإن الجامعة مرة كما ذكرنا سابقاً بعدة معوقات ونجاحات منذ تأسيسها حتى الوقت الحالي، لكنها على الرغم من كل ذلك استطاعت وحافظت في الوقت نفسه على أداء دوراً كبيراً لتكون صرحاً علمياً مهماً في العراق، فإنها تمثل نموذجاً حياً للتحدي والإصرار، على الرغم من كل تلك التحديات والمعوقات التي واجهتها، سواء كانت سياسية أو اجتماعية، ولغرض استمرارها في التقدم والنجاح خلال مسيرتها العلمية تحتاج إلى المزيد من الدعم والتكاتف والتعاون مع جميع

الجهات المعنية، لغرض الاستمرار في أداء أهدافها بجودة عالية، وهذا يصب تلقائياً في تطوير المجتمع النجفي بشكل خاص والمجتمع العراقي بشكل عام.

هوامش البحث

1. عبد الستار شنين الجنابي، النجف في الوثائق السرية (جامعة الكوفة الأهلية دراسة وثائقية مع نشر لكل الوثائق الخاصة بها)، ج1، ط 1، (بغداد: دار الكتب والوثائق،2010)، ص 33 ص 35 ص 36؛ علي إسماعيل عبد السنافي، التعليم العالي في العراق التأسيس والتطور (العراق: د. م، د.ت)، ص 37- ص 42؛ عبد الجليل الزوبعي وآخرون، احتياجات التعليم العالي في العراق من الكوادر العلمية للسنوات العشر القادمة، (بغداد: مركز البحوث التربوية والنفسية، 1972)، ص 15.

2. حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج 16، ط 1، (قم: مطبعة شريعت، 1368ه)، ص 405- ص 406- 408؛ صادق نصر الله، التعليم العالي في العراق إلى أين؟؟؟ رؤيا وحلول (بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية، 2020) ص 28؛ حسن عيسى الحكيم، الكوفة من الجامع إلى الجامعة، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الفقه عام 1988؛ هاشم فوزي العبادي ويوسف حجيم الطائي، التعليم الجامعي من منظور إداري قراءات وبحوث، ط 1، (عمان: اليازوري للطباعة والنشر،2011)، ص 25 ص 26.

3. الجدول من إعداد الباحثة بالرجوع إلى حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق؛ عبد الأمير كاظم زاهد وهاشم حسين ناصر المحنك، علماء جامعة الكوفة (رتبة الأستاذية) مج1، ط 1، (النجف الأشرف: دار انباء للطباعة والنشر، 2017)، ص 7- ص 16 - ص 20 - ص 23.

4. متوفر على الرابط // uokufa.edu.iq التحسس

5. علي خضير حجي، كلية الفقه في النجف الأشرف أدوار وأطوار، ج 2، الموسوعة التاريخية والوثائقية لكلية الفقه في النجف الأشرف، (كربلاء: دار التوحيد للطباعة والنشر،2024)، ص 17- ص 18.

6. مؤلف مجهول، جامعة الكوفة فكرتها أهدافها ومنهاجها، (بغداد: مطبعة الأزهر، 1968)، ص 39؛ كلية الطب، دليل كلية طب الكوفة 2023-2024، (الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2024)، ص2.

7. https: //med.uokufa.edu.iq متوفر على الرابط.

8. https//:eduwomen.uokufa.edu.iq متوفر على الرابط .

9. جامعة الكوفة، دليل جامعة الكوفة 2022-2023، (الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2023)، ص 14 ص 15 ص 16 ص 17؛ حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق.

10. كلية العلوم، دليل كلية العلوم 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024)، ص 11.

11. كلية الهندسة، دليل كلية الهندسة 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024)، ص 2.

12. https//:agr.uokufa.edu.iq/en/deans-word متوفر على الرابط .
13. كلية الصيدلة، دليل كلية الصيدلة 2024 -2025 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2025)، ص 4.
14. كلية القانون، دليل كلية القانون 2004، (جامعة الكوفة: د.ت، 2004)، ص 4.
15. كلية طب الأسنان، دليل كلية طب الأسنان 2024-2025(جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2024-2025)، ص 4.
16. كلية الطب البيطري، دليل كلية البيطري 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024)، ص 2؛ متوفر على الرابط.https://nurs.uokufa.edu.iq
17. جامعة الكوفة، دليل جامعة الكوفة، المصدر السابق ص 34 ص 36 ص 38.
18. المصدر نفسه، ص 40 ص 42 ص 44 ص 46.
19. حسين لفته حافظ، (مقابلة شخصية) دكتور في النقد والبلاغة، جامعة الكوفة، الأحد (7/ نيسان/ 2024).
20. جامعة الكوفة، دليل جامعة الكوفة، المصدر السابق، ص 56 ص 58.
21. عقيل حسن النجم، (مقابلة شخصية) دكتور في الجغرافية، جامعة الكوفة، الخميس (12/حزيران/2025).
22. حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ص 416 ص 417 ص 418، اضافتاً لما حصلت عليه الباحثة من معلومات من أرشيف رئاسة جامعة الكوفة.
23. الجدول من إعداد الباحثة من خلال الاعتماد على ما حصلت عليه من معلومات من أرشيف رئاسة جامعة الكوفة.
24. حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ص 418.
25. علاء شطنان، (مقابلة شخصية)، دكتور في اللغة الفرنسية، جامعة الكوفة، الاثنين (19/أيار/2025).
26. الجدول مقتبس من دليل جامعة الكوفة، المصدر السابق، ص 50 ص 51؛ فلاح خلف الربيعي، التربية والتعليم العالي في العراق خلال العام الدراسي (2022-2023)، (العراق: الجامعة المستنصرية،2023)، ص 19 ص 20.
27. أرشيف رئاسة جامعة الكوفة.
28. دليل براءات الاختراع، متوفر على الرابط https: //uokufa.edu.iq
29. دليل اعتماد مسار بولونيا في الجامعات العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023.
30. عبد الرزاق عبد الجليل عيسى، واقع وتحديات التعليم العالي في العراق، التعليم العالي في العراق مقاربات نقدية ورؤى استشرافية، إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2020، ص 34 .
31. دليل جامعة الكوفة، المصدر السابق، ص 59 ص 60.
32. صادق نص الله، المصدر السابق، ص 46- ص 47؛ حامد خلف أحمد، إصلاح التعليم العالي في العراق التعليم والتعلم وإدارة التغيير، ط 1، (د. مكان: د. مط، 2012)، ص 13؛ حميد نعمة الصالحي، واقع التعليم في العراق بعد انحسار جائحة كورونا، (بغداد: إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط، 2022)، ص 4- ص 5.

المـصادر:

أولا: الكـتب العـربية:

حامد خلف أحمد، إصلاح التعليم العالي في العراق التعليم والتعلم وإدارة التغيير، ط 1، (د. مكان: د. مط، 2012).

حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج 16، ط 1، (قم: مطبعة شريعت، 1368 هـ).

حميد نعمة الصالحي، واقع التعليم في العراق بعد انحسار جائحة كورونا، (بغداد: إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط، 2022).

صادق نصر الله، التعليم العالي في العراق إلى أين؟؟؟ رؤيا وحلول (بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية، 2020).

عبد الأمير كاظم زاهد وهاشم حسين ناصر المحنك، علماء جامعة الكوفة (رتبة الأستاذية) مج1، ط 1، (النجف الأشرف: دار انباء للطباعة والنشر، 2017).

عبد الجليل الزوبعي وآخرون، احتياجات التعليم العالي في العراق من الكوادر العلمية للسنوات العشر القادمة، (بغداد: مركز البحوث التربوية والنفسية، 1972).

عبد الرزاق عبد الجليل عيسى، واقع وتحديات التعليم العالي في العراق، التعليم العالي في العراق مقاربات نقدية ورؤى استشرافية، (د. مكان: إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2020).

عبد الستار شنين الجنابي، النجف في الوثائق السرية (جامعة الكوفة الأهلية دراسة وثائقية مع نشر لكل الوثائق الخاصة بها)، ج1، ط 1، (بغداد: دار الكتب والوثائق،2010).

علي إسماعيل عبد السنافي، التعليم العالي في العراق التأسيس والتطور (العراق: د. م، د.ت).

علي خضير حجي، كلية الفقه في النجف الأشرف أدوار وأطوار، ج 2، الموسوعة التاريخية والوثائقية لكلية الفقه في النجف الأشرف، (كربلاء: دار التوحيد للطباعة والنشر،2024).

فلاح خلف الربيعي، التربية والتعليم العالي في العراق خلال العام الدراسي (2022-2023)، (العراق: الجامعة المستنصرية،2023).

مؤلف مجهول، جامعة الكوفة فكرتها أهدافها ومنهاجها، (بغداد: مطبعة الأزهر، 1968).

هاشم فوزي العبادي ويوسف حجيم الطائي، التعليم الجامعي من منظور إداري قراءات وبحوث، ط 1، (عمان: اليازوري للطباعة والنشر،2011).

ثانياً: الإصدارات الجامعية:

جامعة الكوفة، دليل جامعة الكوفة 2022-2023، (الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2023).

كلية الطب، دليل كلية طب الكوفة 2023-2024، (الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2024).

كلية العلوم، دليل كلية العلوم 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024).

كلية الهندسة، دليل كلية الهندسة 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024).

كلية الصيدلة، دليل كلية الصيدلة 2024 -2025 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2025).

كلية القانون، دليل كلية القانون 2004، (جامعة الكوفة: د.ت، 2004).

كلية طب الأسنان، دليل كلية طب الأسنان 2024-2025(جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة، 2024-2025) .

كلية الطب البيطري، دليل كلية البيطري 2023-2024 (جامعة الكوفة: مطبعة جامعة الكوفة،2024).

دليل اعتماد مسار بولونيا في الجامعات العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023.

ثالثاً: المقابلات الشخصية:

حسين لفته حافظ، (مقابلة شخصية) دكتور في النقد والبلاغة، جامعة الكوفة، الأحد (7/ نيسان/ 2024).

علاء شطنان، (مقابلة شخصية)، دكتور في اللغة الفرنسية، جامعة الكوفة، الاثنين (19/أيار/2025).

عقيل حسن النجم، (مقابلة شخصية) دكتور في الجغرافية، جامعة الكوفة، الخميس (12/حزيران/2025).

رابعاً: مصادر من أرشيف رئاسة جامعة الكوفة.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

https://uokufa.edu.iq

https://med.uokufa.edu.iq

https://eduwomen.uokufa.edu.iq

https://agr.uokufa.edu.iq/en/deans-word

https://nurs.uokufa.edu.iq

نظرة تاريخية لدور المحتسب في الحياة العامة في الأندلس منذ الفتح حتى عصر الطوائف

Historical Overview of The Role of The Calculator in Public Life in Andalusia from Opening to The Age of Sects

Afrah Thajeel Issa [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

The research first deals with the early beginnings of the Hisbah system and its development as an ancient Islamic system of an administrative and regulatory nature that developed with the development of Islamic civilization, until it had rules and laws that were applied to all aspects of life, and because it is directly related to people's lives, monitoring markets, taking care of the health of the community, preventing everything that leads to harm to public health, violating the law and holding perpetrators accountable, all this is through an employee called the Accountant because of the prestige and authority he has in deterring and punishing the perpetrators of misdeeds and violations with the help of his assistants. Therefore, I dealt with the qualities that must be available for the person in charge of this job, and just as there were conditions for the person in charge of the Hisbah, the Accountant put some qualities that must be available in his assistants, then I touched on giving a look at the tasks of the Accountant in different aspects of life in Andalusia, including the religious, educational, economic, social, health, and the most prominent Accountant in Andalusia during that historical period.

Keywords: *Accountant, Hisbah, Andalusia, Censorship*.

الملخص:

يتناول البحث في البداية البدايات الأولى لنظام الحسبة وتطوره، باعتباره نظام إسلامي قديم ذا طبيعة إدارية رقابية تطور بتطور الحضارة الإسلامية ، حتى أصبح له قواعد وقوانين تم تطبيقها على جميع نواحي الحياة، ولاتصالها المباشر بحياة الناس ومراقبة الأسواق والعناية بصحة المجتمع ومنع كل ما يؤدي إلى الإضرار بالصحة العامة، ومخالفة الشرع ومحاسبة مرتكبيه، كل هذا يكون عن طريق موظف أطلق عليه المحتسب لما يمتلكه من هيبة وسلطة في زجر ومعاقبة مرتكبي السيئات والمخالفات بمساعدة معاونيه لذلك تناولت الصفات الواجب توفرها للقائم بهذه الوظيفة، ومثلما كان هناك شروط لمتولي الحسبة كذلك وضع المحتسب بعض الصفات الواجب توفرها في معاونيه، ثم تطرقت إلى إعطاء نظرة على مهام المحتسب في جوانب الحياة المختلفة في الأندلس منها الجانب الديني، والتعليمي، والاقتصادي والاجتماعي، والصحي ،وأبرز متولي الحسبة في الأندلس خلال تلك الفترة التاريخية .

الكلمات المفتاحية: المحتسب، الحسبة ،الأندلس ، الرقابة.

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-2

[1] Researcher, College of Science, University of Baghdad, Iraq afrah.th@sc.uobaghdad.edu.iq

المقدمة:

اهتم الإسلام ومنذ البداية بتنظيم أمور الحياة العامة المعاشية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها؛ مما يضمن للناس حياة مستقرة آمنة، ولأن أهم جانب يتبين من خلاله أخلاق الناس ومدى التزامهم بمبادئ الدين وتطبيق تعاليمه هي عمليات البيع والشراء، إذ أن هناك الكثير من المعاملات التي تخرج عن تعاليم الشرع الصحيحة، لذا وجد من يقوم بهذا العمل وفق ما يحدده الشرع والسنة النبوية، عن طريق نظام إسلامي أطلق عليه نظام الحسبة ومتوليها المحتسب، تطور هذا النظام شيئا فشيئا حتى توضحت معلمه، وأصبحت علما خاصا له قوانينه وأحكامه، وقد اختلفت من قطر إلى آخر حسب ما تقتضيه أمور الحياة.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوع دور المحتسب في الحياة العامة في الأندلس، باعتبارها وظيفة دينية رقابية تشمل جميع نواحي الحياة ،لإصلاح العمق الاجتماعي في عقيدته وأخلاقه وسلوكه، وتعطينا صورة رائعة، وجانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية.

الهدف من البحث

- تسليط الضوء على الدور المهم الذي يقوم به المحتسب في جميع مجالات الحياة.
- أهمية الحسبة وأثر تطبيقها في مختلف جوانب الحياة

منهج البحث

المنهج المتبع في جمع المادة العلمية لهذا البحث، هو المنهج التاريخي القائم على الرصد والجمع للمادة العلمية ووصفها.

الدراسات السابقة

أما الدراسات فهي كثيرة ومتنوعة الجوانب في هذا المجال منها القديم ومنها الحديث، إلا أنه ليس كل ما موجود نستفد منه، وقد تختلف هذه الدراسات من حيث الزمان والمكان، إلا أنني استفدت من تلك الدراسات في رصد وجمع ما يغني بحثي من المعلومات، ومن تلك الدراسات القيمة:

-آداب الحسبة، لأبو عبد الله محمد السقطي،، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة ارنست لورو، باريس، 1931م.

- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، محمد بن أحمد ابن عبدون، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مج 8 1955م.

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري،، نشره: السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة،1946م.

نشأة نظام الحسبة وتطوره

إذا تتبعنا الأصل التاريخي والبدايات الأولى للحسبة، نجد أن الكثير من الباحثين يرجعون الأصول التاريخية لهذا الموضوع إلى عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، فقد جاء الإسلام بتشريعات عظيمة لإصلاح حياة الناس في جميع أمور الحياة العامة مستندين في ذلك إلى الآيات القرآنية التي تدعوا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله

تعالى: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون) (1)، وحياة الرسول (ص) القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان الرسول (ص) يمارس هذا العمل بنفسه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن الرسول (ص) مر على كومة من الطعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام فأجابه: أصابته السماء يا رسول الله، قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشى فليس مني) (2).

وعندما أصبحت الدولة الإسلامية مستقلة، وليا الرسول (ص) سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية سوق مكة بعد فتحها، لكنه لم يبقى إلا فترة قصيرة جدا (3)، وعمر بن الخطاب على سوق المدينة (4)، وفي خلافة عثمان توسع سوق المدينة، وازدادت معاملات البيع والشراء، فأصبح من الضروري وجود من يراقب هذه الأعمال ومنع الغش،فجعل على سوق المدينة الحارث بن الحكم، وحدد له عن كل يوم درهمين (5)، وبهذا يكون ذلك أول عمل رسمي للمحتسب يعين له راتب، إذ يقول الكتاني: (وكانت هذه الولاية في عهد الرسول (ص) تعرف بالحسبة ومتوليها بالمحتسب).(6)

وبذلك فإن الأصول التاريخية للحسبة ترجع إلى عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين هذا من حيث أعمالها ومظاهرها، وليس من جهة أنها وظيفة تتميز بجهاز إداري منظم.

أما في عهد الدولة الأموية عرفت الحسبة (بولاية السوق) والقائم عليها (بعامل السوق)، ويعين عامل السوق من قبل الخليفة أو والي المصر، وقد ذكرت هذه الوظيفة في عهد الوليد بن عبد الملك (86- 96هـ) ويزيد بن عبد الملك (101-105هـ).(7)

وستمر نظام المراقبة والحسبة طوال فترة العهد الراشدي، والأموي، إلا أنه لم يلقب صاحبه بلقب المحتسب، ففي العهد العباسي برز هذا اللقب، وعين على سوق البصرة زياد بن أبيه وذلك في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (8)، ومهدت وظيفة عامل السوق لي ظهور وظيفة المحتسب خلال العصر العباسي، حيث ظهر أول تنظيم للحسبة كجهاز مستقل بذاته له مكوناته الخاصة حيث أصبح نظاما قضائيا له خصائصه ومهامه المحددة، ويشترط في متوليه من الشروط ما يكون على القاضي أو أشد.(9)

أما في الأندلس وبالتحديد عهد الولاة، لا يمكن إعطاء صورة واضحة عن هذه الخطة لاضطراب الأوضاع وعدم استتباب الأمن والاستقرار في تلك الفترة، كما أن المصادر لم تشر إلى متولي الحسبة في تلك الفترة ،وإنما توجد فقط إشارات إلى لفظ المحتسب، ففي ولاية عقبة بن الحجاج السلولي، وفي ذكر القاضي المهدي بن مسلم إذ جاء في العهد الذي كتبه إليه عند توليه (هذا عهدي إليك، وأمري إياك ،وإسنادي إليك ما أسنده ، وتفويضي إليك ما فوضت، فإن تعمل به مؤثرا لرضا الله وطاعته قائما بالحسبة) (10) من ذلك نلاحظ أن القاضي كان يجمع في عمله بين القضاء والحسبة، (11) وليس كوظيفة مستقلة.

أما في عهد الإمارة الأموية في الأندلس كان يسمى المحتسب (بصاحب السوق) ويجب أن يعين من الأندلسيين لمعرفته أحوال البلاد، ويعينه الحاكم وأجرته من بيت المال(12) .

ففي عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم أصبحت ولاية السوق مستقلة حيث يقول ابن سعيد في ذلك : ((أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردها وصير لوليها ثلاثين ديناراً في الشهر) (13) ،يزداد اهتمام الدولة العامرية بتنظيم الخطط الشرعية، وكان النصيب الأوفر لولاية السوق وذلك في عهد المنصور بن أبي عامر (14).

وستمر اعتناء الأندلسيين بالحسبة حتى أصبحت علما خاصا له قوانينه وأحكامه، ويذكر المقري في ذلك بأن لهم في أوضاع الاحتساب قوانين وأحكام خاصة، يتم تداولها ودراستها، مثلما تتدراس أحكام الفقه؛ لأنها تطبق على جميع المبتدعات وتتوسع إلى ما يطول ذكره (15). وهي نظام عرفه الأندلس منذ أيام الأمويين، وكانت قبلهم تضاف إلى أعمال الوالي أو القاضي مباشرة.(16)

تعريف الحسبة لغة واصطلاحا:

الحسبة لغة: - بكسر الحاء وتسكين السين، اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداء، والاحتساب مأخوذ من الحسبة .(17)

الحسبة اصطلاحا: وهي إلى جانب كونها وظيفة دينية فهي مدنية أيضا فكان خير من عرفها الماوردي في الأحكام السلطانية حيث قال الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله.(18)

الشروط أو المؤهلات الواجب توفرها في المحتسب

وضع الفقهاء لمتولي الحسبة شروط يجب توفرها في شخص المحتسب لاتساع أختصاصته وتشعب مهامه، وارتباطها بالأمور الشرعية ليقوم بعمله على أتم وجه، وكذلك مراعاة المعاملة المباشرة بين المحتسب والناس بمختلف أصنافهم وباختلاف أخلاقهم.

يقول ابن خلدون في ذلك :((يعين لذلك من يراه أهلا له) (19). اختصر الماوردي الشروط الواجب توفرها في المحتسب ذلك بأن يكون عاقلا، حراً، مسلماً، عادلًا، قادراً. (20). أما السقطي فقد حدد الصفات الواجب توفرها في المحتسب وهي أن يكون من الفقهاء، عارفاً أحكام الشريعة الإسلامية ليكون على علم ودراية بما يأمر به وما ينهى عنه، وأن يكون غنيا، حتى لا يأكل أموال الناس بالباطل، والمهونة لأنه لا يهاب إلا من كان له مال وحسب (21). وأن يكون من أهل العلم والعدالة والفطنة، ذا مهابة ونزاهة، حليم متيقظ، وأن يكون فهماً عرفاً بجزيئيات الأمور لا يميل ولا يرتشي فتسقط هيبته، ويستخف به وأن يمحض نفسه، ويترك شهوته ويتبع الفرض، ويحكم بالسنة، وأن يستعمل اللين بغير ضعف والشدة في غير عنف (22).

أعوان المحتسب

نظرا لكثرة واجبات المحتسب التي يباشرها، فإنه لا يستطيع أن يقوم بتلك الأعمال لوحده فلا بد من وجود معاونيين له يساعدونه في أداء مهامه، لذاك جرت العادة في الأندلس أن يتخذ له أعوان يساعدونه في ضبط الأسواق، ويكون هؤلاء العمال تحت إشراف المحتسب لمتابعة نشاطهم، وقد أوضح السقطي أنه على المحتسب أن يأخذ احتياطه حيال أعوانه فعليه أن يتفقدهم ولا يعين أحد منهم لشغل معين كوزن الخبز على الخيارين خوفا من رشوتهم (23).

ومثلما وضع الفقهاء شروط واجب توفرها في متولي الحسبة، كذلك وضع المحتسب نصب عينه بعض الصفات الواجب توفرها في أعوانه عند اختيارهم على أن يكونوا مهرة يختارهم من بين ثقات أهل السوق ووجوه أرباب الصنائع ليطلعوا المحتسب على كل ما خفي من أسرار أصحاب الحرف والتجار، ويعرفون بالعرفاء.(24)

وبين لنا المقري من خلال كتابه نفح الطيب صورة واضحة عن الحسبة في الأندلس وهو أن العادة فيه أي المحتسب يتفقد السوق بنفسه، وبجانبه أعوانه، كما أن ميزانه يكون بيد أحد أعوانه ليزن به الخبز، الآن وزن الخبز

عندهم معروف الربع من الدرهم رغيف على وزن معروف، وكذلك السعر، وللحفاظ على مصلحة الرعية، يرسل المحتسب أحد الأشخاص ليبتاع له من السوق، فمثلا اللحم مسعر تكون عليه ورقة بسعره، ولإجراء الجزار أن يبيع بأعلى أو أقل من سعره الذي حدده المحتسب في ورقته، ولكون المحتسب حاذقا في تلك الأمور فلا يخفى عليه غشهم، فإن المحتسب يرسل ليه صبي أو جارية لكي يشتري أحدهما منه، بعد ذلك يقوم المحتسب باختبار الوزن. فإن وجد نقص في الوزن، عوقب بالضرب والتجريس، ويحصل ذلك في الأسواق ليكون عبرة لغيره، وأن استمر بذلك ولم يتب ينفى من البلد.(25)

دور المحتسب في مجلات الحياة

تعددت مهام المحتسب، وزادت في المشرق والغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس بتطور الحياة العامة، سواء كانت الدينية والاجتماعية أو التعليمية أو الاقتصادية أو السياسية، إلا أن مهمته الأساسية في جميع نواحي الحياة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبحث عن المنكرات التي يفعلها الناس، ويأمر بالمعروف الذي يتركه الناس.

1. الجانب الديني:

المعروف أن الحسبة وظيفة دينية قبل أن تكون وضيقة حكومية، فمن واجب المحتسب هو تطبيق أحكام الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحماية دين الله تعالى بضمان تطبيقه في حياة الناس العامة والخاصة وصيانته من التبديل والتحريف والتعطيل، حيث وكل للمحتسب في هذا الجانب حث الناس على أداء الصلوات الخمس في مواقيتها ومعاقبة من لم يصلي بالضرب أو الحبس لا بالقتل (26)، لأنه الصلاة عامود الإسلام وأعظم مناسكه حيث قال الله -سبحانه- وتعالى مبينا فضلها والعناية بها: (أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (27)، كما شدد الرسول (ص) في المحافظة على الصلاة والالتزام بأوقاتها ولبيان فضلها قال (ص): (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد) في الحديث أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة المفرد بسبعة وعشرين درجة.(28)

فإذا نودي للصلاة وجب على المحتسب أن يمنع الناس من الصلاة في الحوانيت والدور والمساطب وجميع ما يأخذه حجز أو شقاق، وينهى عن ذلك فإن لم ينتهوا أدبوا ، ويضم الناس يوم الجمعة عن الطرق والأفنية إلى الجامع، ثم إلى رحابه إلا أن يضيق فناؤه.(29)

ومنع الناس من البيع والشراء يوم الجمعة بعد النداء للصلاة وهو حرام على كل من تجب عليه الصلاة دون من لا تجب عليه من عبد أو صبي أو مريض أو مسافر، فيحق للناس البيع والشراء يوم الجمعة قبل النداء لها، وبعد الفراغ منها، إلا أنه يمنع الناس من البيع، ويفسخ البيع في تلك الساعة، أي بعد النداء للصلاة إذ قال ابن عبد الرؤوف (ويتفقد الحمامات عند اجتماع الناس إلى الصلاة وكذلك الفنادق، ويخرج من وجد فيها إلى الصلاة، ويعاقبون أن عادوا (30).

ومن واجبات المحتسب أيضا في هذا الجانب النظر في شؤون الوعاظ إذ لا يمكن لأحد من التصدي لهذه المهمة الشريفة إلا إذا كان مشهور بالتقوى والصلاح والخير والفضيلة وله معرفة بالعلوم الشرعية واللسانية، وكذلك له معرفة وعلم بأخبار سلف الأمة الصالح كما يتميز بفصاحة اللسان (31)، كذلك من واجب المحتسب وضع الجزاء على كل من يتطاول على مقام الرسول (ص) بسب الرسول (ص) ،والنقص من قدره بتكذيب أحاديثه (ص) أو رواية أحاديث تنسب إليه افتراء على النبي (ص) يحق قتله ولا تقبل توبته، ويؤول ميراثه إلى المسلمين (32)، كما ينظر المحتسب في إخراج زكاة الفطر، وقد أورد عبد الرؤوف الأصناف التي لا تجزئ إخراج الفطر لا منها وهي (القمح والشعير والتمر والسلت والزبيب والأقط والعدس والذرة، والأرز واندخن، رواه ابن قاسم ومطرف عن مالك قال: (ولا يجزئ إخراج الفطر عن شي سوى

هذه الأصناف العشر ومناتهم بأمسكها، أو إمساك زكاة ماله طولب بها، وحرض عليه في إخراجها(33)، كذلك الإشراف على الأحباس وهي الأوقاف وبمنع من يقوم بتغير شكلها أو ما وضعت له، فمن واجب المحتسب يمنع من أراد أن يدخل شيئا من منافعه، أو يوسع فيها على نفسه--- فينفذ ذلك كله، ويذرع لئلا يستأثر بها أحد، أو يدخل منها شيئا من منافعه (34).

2. الجانب التعليمي:

اتسع مفهوم الحسبة في مجال التعليم ليشمل الكثير من تفاصيل الحياة العلمية والتعليمية، فمن الواجبات التي تقع على عاتق المحتسب التأكد أن التعليم يكون في دكاكين بعيدة عن المساجد لتنزيهها عن حركة الأطفال ولعدم نظافتهم حيث يرى السقطي أن معلمي الصبيان يجب أن يكونوا بالشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت (35)، وفي ذلك يقول ابن عبدون: (المساجد هي بيوت الله وموضع الذكر والعبادة مشهورة بالطهارة، ويجب أن لا يؤدي فيها الصبيان، فإنهم يتحفظون النجاسات بأرجلهم ولا ثيابهم فإن كان ولا بد، ففي السقائف (36)، كما يقوم المحتسب بالمباشرة بنفسه بزيارة المدارس والاطلاع والتأكد من سلامة البنايات ومراقبة مراعاة قواعد الشريعة الإسلامية في التعليم ومراعاة القوانين المتبعة في تأديب الصبيان كما يحضر سير الدروس والاطلاع على منهج الدراسة وكتبها (37)، إذ يقول ابن رشد: ولا يضرب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة في ضرب على الأفخاذ والآلية وأسفل الرجلين، لأن هذه مواضع يخشى من الضرب فيها مرض. (38).

وحدد المجالات التي يعاقب عليها الصبي منها الهروب وعدم الحفظ والفحش في الكلام، وأساءت الأدب والقيام بالألعاب المحرمة كاللعب بالقمار وغيرها من الأفعال الشائنة (39)، وأن يراعي وقت غذائهم وراحتهم، ولا يسمح له باستخدامهم في قضاء حوائجه وأشغاله (40)، لم يقتصر دور المحتسب على ما تقدم من أمور طالبي العلم والمتعلمين، بل تخطاه إلى النظر في أمور المعلمين والمشايخ من خلال فحص مستوياتهم ومؤهلاتهم العلمية (41)، كما دعي بعض الفقهاء إلى ضرورة المحافظة على للمصنفات من التحريف والانتحال منهم قاضي القضاة في الأندلس محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (ت 527هـ/ 1133م) في رسالته التي تحدث فيها عن الحسبة، المنشورة ضمن كتاب (ثلاث رسائل في الحسبة والمحتسب)، بأن لا يباع من اليهودي والنصراني أي كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم؛ لأنهم يترجمون الكتب، وينسبونها إلى أهلهم وأسلافهم وهي في الحقيقة من تأليف المسلمين (42)، وهناك العديد من كتب الحسبة التي تناولت هذا الموضوع في بعض أبوابها نذكر منها الرتبة في طلب الحسبة للماوردي، حيث ذكر هذا الموضوع في بعض أبواب الكتاب، ففي الباب الثامن والأربعون في الحسبة على الوعاظ، أما الباب السادس والأربعون للحسبة على مؤدبي الصبيان، بينما الباب التاسع والأربعون تناول فيه الحسبة على المنجمين، وكذلك كتاب الرسائل، والباب الخامس والستون في الحسبة على القرايين (43)، أما عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة حيث خصص باب واحد عن الحسبة العلمية وهو الباب الثامن والثلاثين في الحسبة على معلمي الصبيان (44)، وابن رفعت الذي كان أول من نبه وتأثر بما كتبه الماوردي في كتابه عن الحسبة استفاد منه، فقد قسم (كتابه الرتبة في الحسبة) إلى أبواب، وتناول في ثلاثة منها الحسبة العلمية، ففي الباب السادس والأربعين في الحسبة على معلمي الصبيان، وجعل الباب الثامن والأربعين في الحسبة على الوعاظ، أما الباب التاسع والأربعين، فقد كان في الحسبة على المنجمين وكتاب الرسائل (45)، وابن بسام في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة الذي استفاد كثيرا من كتاب الشيزري،

وابن الأخوة وقد قسم كتابه إلى مائة وثمانية عشر بابا تناول في الباب الخامس والسبعون الحسبة على مؤدبي الصبيان، ومعلمات البنات.(46)

3. الجانب الاقتصادي:

يعد المجال الاقتصادي الشريان الرئيسي للحياة لذلك أولت كتب الحسبة أهمية كبيرة بهذا الجانب، وشددت في معاقبة ومحاسبة مرتكبي الغش والتدليس سواء ما يتعلق بالتجار أو الصناع أو السوق، وكما ذكرنا سابقا أنه على الرغم من أن وظيفة الحسبة قد عرفت منذ فترة مبكرة في الأندلس، إلا أنه لم يستخدم لفظ المحتسب إلا في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حيث كانوا يطلقون على المحتسب قبل تلك الفترة لفظ (حاكم السوق) أو (وإلى السوق) (47).

ففي هذا الجانب يكون عمل المحتسب تنظيم الأسواق والاهتمام بكل ما يخدم وينفع الناس وأبعاد الضرر عنهم عن طريق إحكام سيطرته بمساعدة معاونيه على الصناع والصناعة والمعاملات وبخاصة الإشراف على الموازين والمكايل وصحتها ونسبها ومنع الغش والتدليس فيها لحماية المستهلك وتوفير مقومات الحياة الكريمة له في معاشه (48)، فقد أوردت كتب الحسبة العديد من الصناعات والصناع وحيلهم وغشهم في الأعمال والصناعات حيث يقول السقطي: (وينبغي للمحتسب أن يتفقد أمورهم وصنائعهم من مطال الناس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيلهم للناس عن أشغالهم وأضرارهم بهم (49).

واجبات المحتسب في الأسواق كثيرة فمثلا على الخياط أن لا يحيط بفرد خيط، ولا يخيط كامل؛ لأنه يتمكن من شدة لطوله، فتكون الخياطة به محلولة (50)، أما بالنسبة للطحانين، فقد حرم عليهم خلط جديد الحنطة بقديمها، ولا رديئها بجيدها؛ لأنه تدليس وخداع للناس (51)، أما العطارون فالغش في العطور كثيرة فمثلا غشوا المسك بأخلاط أخرى تبلغ ثلاثة أرباع الكمية، بينما المسك الحقيقي يساوي الربع فقط، ويبيعونه على أنه مسك خالص وأما طريقة معرفة غشه، فتظهر عندما يقوم المحتسب أو من ينوب عنه بفتح نافذة المسك فيشمها، فإن كانت الرائحة حادة فهو خالص، وإن كانت فاترة فهو مغشوش (52)، وغيرها الكثير من الصناعات التي يتم مراقبتها من قبل المحتسب ومعاونيه ونظرا لكثرة الحرف والصناعات والأعمال في الأسواق توجب على المحتسب تعين نائب عنه لكل مهنة أو حرفة يسمى (بالعريف) وأن يكون من أهل الصلاح والعفة والثقة، ومن أهل الخبرة التامة بصناعة أهل الحرفة ليكون عارفا بكل أسرار الحرفة وكاشفا لكل أشكال الغش والتدليس، ويكون على صلة مباشرة بالمحتسب ليطلعه على أخبار السوق وما يدخل للسوق من سلع وما تستقر عليه الأسعار والكشف عن أحوال النقد (53)، إضافة إلى ما سبق من معلومات عن واجبات المحتسب تجاه أهل الحرف والصناعات لم يقتصر على ما تقدم، بل عمل على تنظيم وترتيب الأسواق من خلال جعل لكل صناعة أو حرفة موضعها في الأسواق.(54)

ولم يقتصر عمل المحتسب على مراقبة الأوزان والمكاييل والصناع وغيرها من الأمور التي يتوجب على المحتسب القيام بها، وإنما تعداه ليدخل في أدق التفاصيل، فقد أوردت كتب الحسبة العديد من الإشارات التي يتوجب على المحتسب القيام بها تجاه أهل المهن والحرف وتطبيقها لمنع الضرر ومضايقة المارة، ومنها يأمر المحتسب الفرانين والخبازين برفع سقائف أفرانهم، ويجعلون فيها منافس واسعة لخروج الدخان، ويأمرهم بإصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة من اللبان المحترق والشرر المتطايرة والرماد المتناثر لئلا يلصق في أسفل الخبز منه شيء (55)،

وأن يكون للسوق فريزين يمشي عليهما الناس في الشتاء عندما لم تكن أرضية السوق مبلطة، كما يمنع التجار في الأسواق من إخراج مصاطب دكاكينهم عن سمت السقائف الأصلي وذلك لعدم مضايقة المارة في الأسواق.(56)

وتميز المحتسب بالقوة والصلابة في عهد الدولة الأموية في الأندلس في محاربة الفساد، وذلك من خلال ما حدث في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن من مجاعة عظيمة (57)، كثر فيها التطاول من الفسدة، وكثرة الشكوى إلى الأمير فولى السوق إبراهيم بن حسين بن عاصم، فأعطاه الصلاحية في اتخذ قراره، وأذن له بالتنفيذ في القطع والصلب من غير مؤامرة منه، ولا استئذان حيث كان إبراهيم يقعد في موضع في السوق، فإذا أوتي بل بائع أو التاجر الفاسد قال له دون وصيتك، ثم يأتي بالشيوخ ليشهدهم على ما كتب في الوصية، ثم يقوم بصلبه ونحره جزاء لفعلته الشنعاء في محاربة الناس في قوتهم، فكان لديه من المصل بين عدد كبير (58)، أما في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350هـ - 366م) فقد كان من المحتسبين البارزين في دولة بني أمية أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق، فقد عهد إليه الخليفة الحكم المستنصر بتوسيع الطرقات لتسهل السير على المارة من ذلك توسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة (59)، لضيقها عن مخترق الناس، وهد الحوانيت المتحيفة لعرضها لمضيقة لسبيلها ليفسح الطريق، ولا يضيق بالواردين والصادرين نظرا منه لمصلحة كافة المسلمين (60)، أما في عهد الدولة العامرية، فقد اهتم المنصور بن أبي عمر بشؤون دولته وسياسة رعيته، وأهتم بولاية السوق اهتماما كبيرا، فقد عهد بولاية السوق إلى من يستأهل هذا المنصب، فقد كان لا يعهد بهذا المنصب إلا لكبار الفقهاء والعلماء، أي بمنزلة القضاء والمشاورين، ومن هؤلاء المحتسبين أحمد ابن يونس الجذامي (61)، وابن المركزي (62) وغيرهم. ولا بد من الذكر أن الحاجب المنصور يعد من أبرز المحتسبين، فقد كان شديد العقب بأصحاب الجرائم والمنكرات حيث أوقع بصاحب المنكر أشد ما يوقعه صاحب السوق من القصاص والعقاب، حتى لو كان من المقربين إليه.(63)

4. الجانب الاجتماعي:

تتضمن الحسبة في هذا الجانب الحفاظ ومراقبة كل ما من شأنه أن يحافظ على سكينة المجتمع وحفظ النظام العام لقيمه وآدابه وفق الشريعة الإسلامية وإبعاد كل ما يؤدي إلى الإضرار بالمجتمع وتخريبه وتدميره من خلال محاربة الآفات المضرة بالمجتمع ومعاقبة كل من يقوم بعمل سيئ والمحافظة على صحة المجتمع.

فقد أوردت كتب الحسبة العديد من واجبات المحتسب في هذا الجانب، والتي تتمثل بحماية المجتمع من الفوضى الأخلاقية ، فقد وضع آداب للولائم والنهي عن أدوات اللهو، كما وضع آداب للجنائز بأن نهى النساء من الصراخ العالي والاجتماع فيه (64). ولما عرف عن أهل الأندلس تمسكهم بالكتاب والسنة، غير أن مجالسهم لم تخلو من شرب الخمر والغناء، وقد تبارى أهل الأندلس حتى الفقراء، فكان لمعلم بن يحي مولى بني زهرة جارية، رغم أنه كان يسكن بيتا طوله اثنا عشر ذراعا في مثلها (65)، وكذلك من الظواهر التي ظهرت في الأندلس، ومن واجب المحتسب الحد منها ظاهرة السرقة وقطع الطرق، فقد انتشرت هذه الظاهرة بكثرة بين الطبقات المهمشة، والتي وجدت من تلك الظاهرة سبيلا وما يؤكد ذلك قول المقري: (بلاد الأندلس لها دروب تغلق بإغلاق بعد العتمة، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واغيائهم في أمور التلصص) (66). هنا يأتي دور المحتسب للحد من هذه الآفة الخطرة، فقد أوردت كتب الحسبة عدد من الحلول للحد من هذه الظاهرة، وذلك بأن يتم حراسة القرى من قبل الجند عند خلاء القرى ولا سيما زمن الصيف ولتفادي هذه الظاهرة وجدت كتب الحسبة من الأحسن إخراج الشباب إلى العمل والإبقاء على الشيوخ في القرى، وإذا وقعت سرقة أو جريمة، فيؤخذ كل من له ابن عازب، ويتم تأديبه وتغريم الشيوخ على ذلك وذلك من باب التخويف، وفي

حال لم يجدي ذلك نفعا، واستمر الحال على ما هو عليه فهنا يأتي الحل الأخير وهو إقامة الحد المتمثل في القطع والصلب.(67)

وهناك الكثير من مؤلفي كتب الحسبة في الأندلس الذين تناولوا هذا الجانب في كتبهم منهم محمد ابن عبدون التجيبي الإشبيلي حيث خصص جزء من كتابه تحدث فيه عن المباني وإصلاح الطرقات ومنع رمي الأوساخ فيها حيث وجه بأن يأمر أهل الأرباض بحماية الطرق من رمى الزبل والأقذار والأوساخ فيها، وإصلاح الطرق المتعكرة التي تؤدي إلى تجمع الماء والطين، كما أمر بأن لا يطرح الزبل داخل المدينة، ويجب أن يرمى في أماكن معدة لهذا الغرض (68)، ومن واجباته أيضا منع الباعة والمعالجين من الجلوس للسلع في الطرق الضيقة وكما يمنع المحتسب المضايقات في الطرق، ومنع الحمالين من الإكثار في الحمل، ويمنع وضع الأساطين في الشوارع كما يمنع وقوف الدواب في الأسواق حتى لا تضيق على الطرق على المارة (69)، ويجب أن يكون لبيع الحطب موقف خاص بهم ولا يترك أحد منهم يمشي في الأسواق لأنهم يؤذون المارة، ويمزقون ثيابهم، وإذا وجد أحد يمشي بالحطب في الأسواق أدب من قبل المحتسب، وكذلك بائعو الجير.(70)

5. الجانب الصحي:

أولت كتب الحسبة عناية خاصة بالمجال الصحي لما يعتري هذا الجانب من مخاطر تهدد صحة وسلامة المجتمع، فمن واجبات المحتسب في هذا المجال المحافظة على سلامة وصحة الناس والمجتمع ،وذلك بأن يأمر بتغطية الروايا(الأواني التي تحوي الماء) وكذلك يأمر أصحاب الأفران بأن يرفعوا سقائف أفرانهم لضمان تهويتها والمحافظة على العجين والخبز من التلوث (71)، ومراقبة الطباخين فيأمرهم بتغطية أوانيهم وحفظها من الذباب وغسلها بالماء الحار والأشنان، وان لا يطبخوا لحوم الماعز مع لحوم الضأن، ولا لحوم الإبل مع لحوم البقر، لئلا يأكلها من كان فيه علة، فتكون سببا في نكسته (72)، وتفقد الحمامات بأن يأمر ضامن الحمام بنظافتها وكنسها وغسلها بالماء الطاهر غير ماء الغسالة، وان يفعل ذلك كل يوم مرتين (73)، إلى جانب مراقبة المحتسب لغذاء الناس والحفاظ على نظافته، فهو أيضا يحرص على صحتهم ومعالجتهم ،إذ تعتبر مهنة الطب والصيدلة من المهن الصعبة والدقيقة التي يتولاها المحتسب بالمراقبة والرعاية وذلك لكون هذه الجانب يتطلب علم ودراية، حتى يتمكن من الوقوف على مختلف أنواع الغش والتدليس الذي يرتاد هذه المجال، وقد تميز المحتسب في الأندلس بالوعي والخبرة بهذا الإشكال ، فقد وجد منهم من له خبرة بالطب وتركيب الأدوية ووصف العلاج لمختلف الأمراض إلى درجة يضاهون الأطباء ذوي الاختصاص في ذلك ، أما في حال لم يكن له علم بهذا المجال يعين أعوان له، يكونوا أمناء وعلى معرفة بالطب وما يتعلق به.

ويشرف على العطارين والصيادلة، فيمتحن عناصر الصيدلة من عنبر وكافور وزعفران وعود، فقد أوضحت كتب الحسبة الأندلسية أسئلة للمعاجن والمركبات والأشربة وحيل التجار في خلطها وبيعها (74)، ويراقب من يقوم بالتطبيب من الكحالين والجراحين وغيرهم (75)، وأفرد الشيزري بابا في الحسبة على الصيادلة، وغشهم في تركيب الأدوية، ويبين الطرق والوسائل التي تكشف غشهم، حيث قال إنه يجب على المحتسب أن يعضهم ويقومهم وينذرهم بالعقوبة والتعزير، وعليه أن يختبر عقاقيرهم في كل أسبوع للتأكد من سلامتها بالفحوص والتجارب الطبية (76)، كما عبر السقطي عن ذلك الأمر، فقد بين مدى وعيه كمحتسب بهذا المجال، إذ استعراض في ذلك العديد من أوجه الغش في صناعة الأدوية والمواد المستعملة للعلاج، فقد أفرد فصل كامل تحدث فيه عن العطارين والصيادلة، فقد ذكر ((أولا ء عملهم

أوسع الأعمال وأمورهم مختلفة الأحوال فالكشف عنهم صعب المرام، وغش مفسديهم لا يكاد يحصر، ولا يرام) (77)، كما من واجب المحتسب امتحان الأطباء، ولم يمارس المهنة إلا من كان أهلا لذلك، وأن يأخذ عليهم عهد (القسم الطبي) بأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، وأن لا يفشوا الأسرار، ولا ينتهكوا الأستار، وأن يتأنوا في تشخيص ووصف العلاج للحالات المرضية الصعبة أو الخطرة إلا بعد مشاورة كبار الأطباء المجربين (78). لذلك كان المحتسب حريصا أن لا يمتهن مهنة الطب والصيدلة لا بمميزات أهمها الاختصاص بهذا المجال والمعرفة به، وتوفر العدالة والأمانة في الطبيب والصيدلي.

أبرز متولي الحسبة في تلك الفترة:

1. فطيس بن سلمان الكاتب.(79)
2. قرعوس بن العباس بن فرعوس الثقفي من أهل قرطبة (ت 220هـ).(80)
3. الفقيه أبو عبد الله محمد بن خالد بن مرتيل القرطبي (ت 220).(81)
4. حسين بن عاصم (ت 263هـ).(82)
5. سعيد بن محمد بن سليم الحاجب الوزير (ت 302هـ).(83)
6. محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سلام (ت 305هـ) (84).
7. الفقيه يحي بن سعيد بن حسان (85).
8. محمد بن عبد الله الخروبي (86).
9. 9القاضي أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحي(87).
10. أحمد بن يونس الجذامي ويعرف بالحراني(88).
11. ابن المارعزي صاحب ابن أبي عامر (89).
12. أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرعيني القرطبي المعروف بابن المشاط (90)

الخاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع تبين لنا بعض النقاط:

1- تعتبر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المهمات، ومن أخص صفات المؤمنين الصادقين، لذلك اعتنت الشريعة الإسلامية بهذه الشعيرة، وجعلتها من أسما الوظائف الدينية لذلك كان من الضروري وجود نظام يحرص ويعمل على تطبيقها، فنشأ ما يسمى نظام الاحتساب فالحسبة إذن وظيفة دينية قبل أن تكون حكومية.

2- تأخر ظهور منصب المحتسب في الأندلس إلى عهد عبد الرحمن بن الحكم.

3- أطلق على المحتسب في البداية بالأندلس بصاحب السوق، ويعين من أهل الأندلس لمعرفته بأحوال البلاد.

4- يمكن القول إن المحتسب كان شخصية محورية في الحياة العامة في الأندلس حيث لعب دوراً حيويا في جميع مجالات الحياة، فلم يقتصر دوره على مراقبة الأسواق والأسعار فقط، بل امتد ليشمل مجالات متعددة كالأخلاق العامة والصحة والنظافة والبناء؛ مما يعكس مرونة هذا المنصب وتطوره تبعا لاحتياجات المجتمع الأندلسي.

5- أهمية شخصية المحتسب وكفاءته العلمية والأخلاقية - لما لها من أثر مباشر في فعالياته ومدى التزام الناس بأوامره ونواهيه.

6- الأثر الاجتماعي للحسبة في الأندلس، وكيف ساهمت في خلق بيئة تحترم القانون، وتؤمن بمبدأ المصلحة العامة.

هوامش المصادر والمراجع:

1- سورة العمران، آية، ص 104.

2- الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (ت 405 هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى على، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2،ط 1990،1م، 0 ص 11.

3- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ج 2، 1960م،ص 621.

4- الكتاني، محمد بن عبد الحي (ت 328هـ)، التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط 2،ج 1، د.ت، ص 241.

5- الغزالي، أبي حامد الطوسي (ت 505هـ)،إحياء علوم الدين، دار الثقافة، الجزائر، ط 1،ج 1991،3م،ص 59.

6- الكتاني، م، ن، ج 1، ص 241.

7- التتر، عبد الرحمن نصر هاشم، ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة،2015م، ص 28-29.

8- الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2،ج 1،2008 م، ص 313-315.

9- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب،

10- دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1،ج 6، ص 293.

11- الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1989،2م،ص 38 – 40.

12- المصدر السابق، ص 39 -40.

13- ابن عبدون، محمد بن أحمد، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، مج 2، ص 27 – 38.

14- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ج 1955،1م، ص 46.

15- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ط 4، مؤسسة الخانجي، القاهرة،1997م،ص 535-536.

16- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1014هـ)، نفح الطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان،ج 1، 1900م،ص 219.

17- عبد القادر، ربوح، نظام الحسبة في المغرب والأندلس (الماهية التطور التاريخي الأدوار)، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، العدد الثالث عشر،2015م،ص 81.

18- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711 هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط 3،ص 315.

19- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، ص 349.

20- ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 732- 808هـ)، العبر وديوان المبتداء والخبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1،ص 281.

21- الماوردي، م،ن، ص 39.

22- السقطي، أبو عبد الله محمد، آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة ارنست لورو، باريس، 1931م،ص 5 .

23- ابن عبدون، م ن، ص 20.

24- السقطي، م ن، ص 9.

25- السقطي، م ن، ص 9.

26- المقري، م ن، ص 218 – 219.

27- المراغي، أحمد مصطفى، الحسبة في الإسلام، تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغول، مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي، الناشر: الجزيرة، 2005م، ص 18.

28- سورة النساء، الآية 103.

29- المراغي، م ن، ص 19.

30- ابن عبد الرؤوف، أحمد ابن عبد الله (ت 424هـ)، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: فاطمة الإدريسي، الناشر: دار ابن حزم، ص 75- 76.

31- ابن عبد الرؤوف، م ن، ص 76.

32- المراغي، م ن، ص 19.

33- خلاف، محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس، مكتبة المهتدين الإسلامية، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، ط 1، 1992م، ص 395.

34- ابن عبد الرؤوف، م ن، ص 79.

35- ابن عبدون، م ن، ص 83 – 84.

36- السقطي، م ن، ص 68.

37- ابن عبدون، م ن، ص 24.

38- عبد القادر، م ن، ص 71.

39- المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: عبد الهادي التازي، الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، 2012م،ص 42.

40- عيسى، محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، الناشر: دار الفكر العربي، ط 1، 1982م،ص 40.

41- بن مرشد، عبد العزيز بن محمد، نظام الحسبة في الإسلام، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء، 92-1393هـ،ص 138.

42- التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق، علي الشنوفي، دمشق، المعهد الثقافي الفرنسي، 1967م،ص 245.

43- ابن عبدون، م.ن، ص 57.

44- الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ط 1، 2002م.

45- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره: السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة،1946م.

46- ابن الرفعة، أحمد بن محمد بن محمد بن علي (ت 710هـ)، تحقيق ودراسة: بلال بن حبشي طبري، رسالة ماجستير.

47- ابن بسام، محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.

48- الكناني، يحي بن عمر بن يوسف، كتاب أحكام السوق، صحيفة المعهد المصري، عدد 1-2، مج 1956،4م،ص 94.

49- ابن خلدون، م.ن، ص 293.

50- السقطي، م.ن، ص 62.

51- السقطي، م.ن، ص 62.

52- الشيزري، م.ن، ص 21.

53- الشيزري، م.ن، ص 48.

54- ابن بسام، م.ن، ص 296، خلاف، م.ن، ص 384.

55- ابن عبدون، م.ن، ص 37 -38.

56- الشيزري، م.ن، ص 22،24.

57- بن مرشد، م.ن، ص 145.

58- ابن حيان، أبو مروان (ت 469هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1390م، ص 225.

59- اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، ترتيب المدارك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، ج 1،1965م، ص 121، 255.

60- ابن حيان، أبو مروان، المقتبس من أخبار أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط 1، 2006م، ص 51.

61- ابن حيان، المصدر السابق، ص 51.

62- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان،1995م، ج 1، ص 17– 18.

63- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن، (ت 792هـ)، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 81.

64- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 695هـ)، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج – س – كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط 3، ج 2،1983م،ص 289.

65- ابن عبد الرؤوف، م.ن، ص 76،77.

66- بن مسيفر، سلمى بن سلمان، الحسبة في الأندلس 92 – 897هـ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1420 -1421هـ،ص 185.

67- المقري، م.ن، ج 1، ص 219.

68- ابن عبدون، م.ن، ص 17 – 18.

69- ابن عبدون، م.ن، ص 37.

70- خلاف، م. ن، ص 403.

71- ابن عبد الرؤوف، م. ن، ص 111.

72- الشيزري، م. ن، ص 22 – 24.

73- الشيزري، م. ن، ص 34.

74- الماوردي، م. ن، ص 268.

75- عباسي، يحي أبو المعاطي محمد، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس،2000م، ص 375.

76- عباسي، م. ن، ص 375.

77- الشيزري، م. ن، ص 42.

78- السقطي، م.ن، ص 41.

79- ابن بسام، م. ن، ص 340.

80- انظر: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن بكر القضاعي (ت 658هـ)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة، ط 2، 1985م، ص 365.

81- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت 403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، ج 1،1988م، ص 413.

82- ابن الفرضي، م.ن، ج 1،ص 133.

83- ابن الفرضي، م. ن، ج 2،ص 27 – 28.

84- ابن عذاري، م.ن، ج 2، ص 151.

85- ابن عذاري، م.ن، ج 2، ص 144.

86- ابن عذاري، م.ن، ج 2، ص 183.

87- ابن عذاري، م. ن، ج 2،ص 164.

88- الخشني، م.ن، ص 232 – 233.

89- ابن الآبار، م.ن، ص 17 – 18.

90- السلماني، لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، 1956م، ص 78.

91- بن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 578هـ)، عني بنشره وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر مكتبة الخانجي، ط 2، 1955م، ص 296.

المصادر الأولية:

القرآن الكريم.

ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (658هـ / 1259م) 1.

التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان،1995م، ج 1.

الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة، ط 2، 1985م- .

بن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ / 1182م)، عني بنشره وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر مكتبة الخانجي، ط 2، 1955م.

ابن بسام، محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.

التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق، علي الشنوفي، دمشق، المعهد الثقافي الفرنسي، 1967م.

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت 469هـ/ 1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1390م.

الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (ت 405 هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى على، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2،ط 1990،1م.

الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد (ت 361هـ / 971م)، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1989،2م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 732- 808هـ)، العبر وديوان المبتداء والخبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،ط 1 .

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني لسان الدين (ت 776هـ / 1374م)، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، 1956م.

السقطي، أبو عبد الله محمد، آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة ارنست لورو، باريس، 1931م.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ج 1،1955م.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره: السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة،1946م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ج 2،د.ت.

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 695هـ / 1295م)، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج – س – كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط 3، ج 2،1983م.

ابن عبد الرؤوف، أحمد ابن عبد الله (ت 424هـ)، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: فاطمة الإدريسي، الناشر: دار ابن حزم، د.ت..

ابن عبدون، محمد بن أحمد، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مج 8 1955م.

الغزالي، أبي حامد الطوسي (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار الثقافة، الجزائر، ط 1،ج 3،1991م.

ابن الفرضي، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس بن نصر الأزدي (ت 40هـ / 1013م)، تاريخ علماء الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، ج 1،1988م.

الكتاني، محمد بن عبد الحي (ت 328هـ)، التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط 2،ج 1، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711 هـ / 1311م)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط 5، د.ت.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ / 1631م)، نفح الطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 1، 1900 م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت..

المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: عبد الهادي التازي، الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، 2012م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب،

دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1،ج 6،د.ت.

النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الأندلسي، (ت 792هـ / 1389م)، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1983م.

اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، ترتيب المدارك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، ج 1،1965م.

المراجع الثانوية:

خلاف، محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس، مكتبة المهتدين الإسلامية، المؤسسة العربية الحديثة، مصر،ط 1، 1992م.

الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2،ج 1،2008 م.

عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ط 4، مؤسسة الخانجي، القاهرة،1997م.

عباسي، يحي أبو المعاطي محمد، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس،2000م.

عيسى، محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، الناشر: دار الفكر العربي، ط 1، 1982م.

المراغي، أحمد مصطفى، الحسبة في الإسلام، تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغول، مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي، الناشر: الجزيرة، 2005م.

البحوث والرسائل:

عبد القادر، ربوح، نظام الحسبة في المغرب والأندلس (الماهية التطور التاريخي الأدوار)، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، العدد الثالث عشر،2015م.

الكناني، يحي بن عمر بن يوسف، كتاب أحكام السوق، صحيفة المعهد المصري، عدد 1-2، مج 1956،4م.

التتر، عبد الرحمن نصر هاشم، ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة،2015.

ابن الرفعة، أحمد بن محمد بن محمد بن علي (ت 710هـ)، تحقيق ودراسة: بلال بن حبشي طبري، رسالة ماجستير.

بن مرشد، عبد العزيز بن محمد، نظام الحسبة في الإسلام، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء، 92- 1393هـ.

بن مسيفر، سلمى بن سلمان، الحسبة في الأندلس 92 – 897هـ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1420 -1421هـ.

الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ط 1، 2002م.

List of sources:

The Holy Qur'an.

Ibn al-Ibbar, Muhammad bin Abdullah bin Abi Bakr al-Qa'adhi al-Balansi (658 AH/1259 AD) 1

Al-Takmalah al-Salah, edited by Abd al-Salam al-Hiras, Dar al-Fikr for Printing, Lebanon, 1995, c1.

Al-Halla al-Sira'a, ed: Hussein Mouanis, Dar al-Maarif Cairo, 2nd edition, 1985.

Al-Saira, investigation: Hussein Mensan, Dar al-Ma 'raq, Cairo, 2, 1985.

Ben Bashkwal, Abu al-Qasim Khalaf bin Abdul-Malik (T578 AH/1182 A.D.).

Mr. Izzat al-Attar al-Husseini, publisher of the Khanji Library, 2, 1955.

Ibn Bassam, Mohammed bin Ahmed, End of Rank in Hisbah Application, Investigation: Mohamed Hassan Mohamed and Ahmed Farid Al Mazaidi, Publisher: Beirut Scientific Books House, Lebanon, T1, 2003

Al-Taltsani, Abi Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Kassem, masterpiece of Al-Nassir and rich memory in the preservation of rituals and change of deniers, investigation, Ali al-Shinoufi, Damascus, French Cultural Institute, 1967.

Ibn Hayyan, Abu Marwan Hayyan bin Khalaf bin Hussein Al-Qartabi (T469 AH/1076 AD), quoted from Al-Andalus News, investigation: Mahmoud Ali Makki, Publisher: Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1390 AD.

The Governor, Mohammed bin Abdullah Abu Abdallah (Ta '405 AH/1014 AD), who was reckoned with the corrections, investigated: Mustafa Attah, Dar al-Kullahi, Beirut, J2, T1,1990.

Al-Khurani, Abu Abdullah Mohammed bin al-Harith bin Asad (T361 AH/971 AH), Judges of Cordoba, Investigation: Ibrahim al-Abyari, Egyptian Book House, Cairo, T2, 1989.

Ibn Khaldoun, Abd al-Rahman (T732-808 AH), Al-Abr and Diwan Al-Nida 'and Al-Khobar, audit: Suhail Zakar, Dar Al-Thakr, Beirut,

Ibn al-Khatib, Abu Abdallah Mohammed bin Abdullah bin Said Salman Lassan al-Din (T776 AH/1374 A.D.), History of Islamic Spain or Book of Media Works, Investigation: Levi Provensal, Beirut, Dar al-MAshkaf, 1956.

AL- Soqati, Abu Abdallah Mohammed, Hisbah Literature, Investigation: Levi Provensal, Ernst Lauro Press, Paris, 1931.

Ibn Sa 'id, Aboul-Hasan Ali bin Musa (t. 685H), Morocco in Haleh Morocco, investigation: Shawqi Dayf, Dar al-Ma' raq, Cairo, 3, J1, 1955.

AL- Shizri, Abd al-Rahman bin Nasr, end of rank in Hisbah application, published: Mr. Al-Baz Al-Arini, Publishing Committee Press, Cairo, 1946.

Ibn Abdulbar, Abu Yusuf bin Abdullah bin Mohammed (T463 AH), assimilation in the knowledge of the companions, investigation: Ali Mohammed Bedjaoui, Ennahda Library, Egypt, Cairo, J2, D. T.T. '

Ibn Azzari, Abu Abdallah Mohammed bin Mohammed (t.695H/1295H), statement of Morocco in Andalusian and Moroccan news, investigation and review of C. S. Colan and Levi Provensal, Beirut House of Culture, Lebanon, T3, J2, 1983.

Ibn Abd al-Ra 'uf, Ahmed Ibn Abdullah (T424H), Al-Hasbah and Al-Mu' Muqtaba ' T.J.

Ibn Abdoun, Mohammed bin Ahmed, Three seminal letters in the literature of Hisbah and Al-Muhtaba, investigation: Levy Provensal, publications of the French Scientific Institute of Eastern Antiquities, Cairo, Mej 8 1955.

Al-Ghazali, Abiy Hamid al-Toussi (T505H), Revival of Religious Sciences, Dar al-Cultul, Algeria, T1, J3, 1991.

Ibn al-Faradi, Governor Abi al-Walid Abdullah bin Mohammed bin Younis bin Nasr al-Azdi (T40H/1013 M), History of Andalusian Scholars, Khanji Library, Cairo, T2, J1, 1988.

Al-Kattani, Muhammad bin Abdul Hayi (T328H), Al-Trab ' T.T. '

Ibn Manzoor, Mohammed bin Makram bin Ali (711 H/1311 M), Arabic tongue, footnotes: Liazji and linguists' T.T.

Maqri, Shahabuddin Ahmed bin Mohammed (Ta '1041 AH/1631 AD), Nafah al-Tayeb, Ihsan Abbas, Dar Sadr, Beirut, Lebanon, J1, 1900 AD.

Mauridi, Abu al-Hasan Ali bin Mohammed bin Mohammed bin Habib, Royal Rulings, Dar al-Hadith, Cairo. T...

Al-Magrawi, Jama 'a Mosque of Shortcut and Statement between Teachers and Parents of Boys, Investigation: Abdulhadi Tazi, Publisher: Arab Library of Education for Gulf States, 2012.

Nawiri, Ahmed bin Abdulwahab bin Mohammed (t. 733H), End of the Earth in the arts of literature, National Books and Documents House , Cairo, T1, J6, D. T.T.

Al-Nabahi, Abu al-Hassan Ali bin Abdullah bin Mohammed bin Al-Hassan Al-Andalusi, (792 AH/1389 A.D.), History of the Andalusian Judges (Supreme Watch where the judiciary and the girls deserve), Investigation: New Horizon House, Beirut, 1983.

Elyhasbi, Abu Fadl Judge Ayyyad Ben Musa Al-Yhasbi (544H), Order of the Realization, Investigation: Ibn Tawit al-Tangi, J1, 1965.

Secondary references:

Disagreement, Mohammed Abdelwahab, History of the Judiciary in Andalusia, Al-Mahdin Islamic Library, Modern Arab Foundation, Egypt, 1, 1992.

Salabi, Ali Muhammad, Umayyad State, Dar al-Marefa, Beirut, Lebanon, T2 J2.2008.

Annan, Mohamed Abdallah, State of Islam in Andalusia, T4, Al Khanji Foundation, Cairo, 1997.

Abbasi, Yahya Abu al-Maaty Mohammed, agricultural property and its arising in Morocco and Andalusia, 2000.

Isa, Mohammed Abdul Hamid, History of Education in Andalusia, Publisher: Dar al-Thawr al-Arabi, 1, 1982.

Maraghi, Ahmed Mustafa, Hisbah in Islam, correction: Mohamed Abd Al-Rahman Al-Shaghul, Sharif Kindergarten Office for Scientific Research, Publisher: Al Jazeera, 2005.

Research and Messages:

Abdelkader, Rabouh, Al-Hisbah System in Morocco and Andalusia (Mahiya Historical Development Roles), Journal of Social Science Development, Issue XIII, 2015.

Al-Kanani, Yahya Ben Omar Ben Yusuf, The Book of the Rulers of the Market, Egyptian Institute Newspaper, No. 1-2, MJ 4, 1956.

Al-Thatr, Abdul Rahman Nasr Hashim, Hisbah State in the Abbasi Era and its role in the preservation of economic and public life, Master's thesis, Islamic University, Gaza, 2015

Ibn al-Rifah, Ahmad bin Mohammed bin Ali (t. 710H), Investigation and study: Bilal bin Habshi Tibre, Master's thesis.

Bin Murshid, Abdulaziz bin Mohammed, Hisbah Regime in Islam, Master's thesis, Higher Institute of the Judiciary, 921393 AH.

Bin Mesifer, Salma bin Salman, Hisbah in Andalusia 92 - 897 AH, Theses for a doctorate, Imam Mohammed bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة

The Impact of Blended Learning Based on Artificial Intelligence Applications on Developing Practical Skills and Engagement in Science Learning Among Middle School Students

Anwar Hasan Gaafar [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

The present study aimed to examine the impact of blended learning based on artificial intelligence applications on developing practical skills and engagement in Physics learning among middle school students. The research employed an experimental method using a quasi-experimental design to investigate such impact. The sample consisted of 60 female middle school students. The research instruments included a practical skills observation checklist and a Physics learning engagement scale. The study revealed several findings, the most significant of which was the positive effect of blended learning based on artificial intelligence applications on enhancing practical skills and engagement in Physics learning among middle school students. The study recommended adopting blended learning based on artificial intelligence applications to promote practical skills and engagement in Physics learning among middle school students.

Keywords: *Blended Learning, Artificial Intelligence Applications, Practical Skills, Learning Engagement.*

الملخص:

هدف البحث الحالي إلى التعرف على أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة، واستخدم البحث المنهج التجريبي بتصميمه شبه التجريبي؛ للكشف عن ذلك، واشتملت عينة البحث على (60) طالبة بالمرحلة المتوسطة، وتمثلت أداتا البحث في بطاقة ملاحظة المهارات العملية، ومقياس الانخراط في تعلم الفيزياء، وتوصل البحث لعدد من النتائج، أهمها: وجود أثر إيجابي للتعلم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة، وأوصى البحث بضرورة العمل على تبني التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-3

[1] Dr, Faculty of Remote Sensing and Geophysics, Al-karkh university of science, anwarhassan1618@kus.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التعليم المدمج – تطبيقات الذكاء الاصطناعي – المهارات العملية – الانخراط في التعلم.

مقدمة:

شهد العصر الحالي تطورات متسارعة على المستوى المعرفي والتكنولوجي في جميع مجالات الحياة اليومية، والتي أثرت تأثيرًا بالغًا على طرق التعليم والتعلم وفقًا لما يقتضيه هذا التطور، فأصبحت التكنولوجيا، وما يرتبط بها من مستحدثات تشكل مدخلاً استراتيجيًّا؛ لتطوير منظومة التعليم بكافة عناصره ومكوناته، من خلال تطوير المحتوى، والأساليب التعليمية، أو ما يرتبط بإعادة تشكيل البيئات التعليمية، ونظم إدارتها، وتقويم التعلم بها.

وتعد مادة العلوم مادة علمية ترتبط بالخبرة الإنسانية، ولها دور كبير في الحياة العصرية؛ حيث يقع العبء الأكبر عليها في تثقيف المتعلمين علميًّا، وتملكهم المهارات والاتجاهات العلمية التي تمكنهم من مساير هذا العصر ومتطلباته (عامر، 2015أ)* ؛ لذا سعت وزارة التربية من خلال المديرية العامة للمناهج بالعراق بإعداد الطلاب علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا من خلال تطوير العلوم وبرامجها المتنوعة، من خلال تطبيق الوزارة لمناهج العلوم المقسمة إلى "الكيمياء، والفيزياء، والأحياء" المطوَّرة بالمرحلة المتوسطة 2023م (المديرية العامة للمناهج، 2023).

وترتبط مناهج الفيزياء ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة، فهي علم دراسة المادة والطاقة، وكيفية تفاعلهما، وهي تهدف إلى فهم قوانين الطبيعة، وشرح الظواهر التي تحدث فيها، داخل وخارج النظام الشمسي، والحياة على كوكب الأرض وخارجها، وما يرتبط بها من المفاهيم العلمية المجردة التي تحتاج إلى محاكاة، وتعزيز، وتوضيح بنظم تقنية تقدم الدعم، وتساعد المعلم على إيصال المعرفة للمتعلم في صورة بسيطة وواضحة (زيتون، 2010؛ الحلواني، 2018).

وبالرغم من تضمين المحتوى العلمي لمناهج الفيزياء بالمرحلة المتوسطة مجالات العلوم الطبيعية، وعلوم الحياة، والأرض، والذي يحقق المعايير الوطنية، والتأكيد على أهمية تنمية المعرفة العلمية للمتعلمين، وضرورة فهمها، وتدريبهم على تطبيقها بطريقة عملية في أنشطة التعلم (المديرية العامة للمناهج، 2023).

إلا أن الواقع الفعلي غير ذلك؛ حيث إن التغييرات ما زالت لا تتعدَّى كونها تغييرات في الشكل الظاهري لمناهج الفيزياء، فالنماذج التدريسية المستخدمة من قبل المعلمين ما زالت تتَّسم بالحفظ والاسترجاع، والتقليدية، والسطحية، الأمر الذي عزز من سلبيتهم التعليمية، والاكتفاء بحفظ المعلومات، وتكرارها دون فهمها، وضعف توظيف معلميها للمستحدثات التكنولوجية في تنمية معارف، ومهارات، واتجاهات طلابها (جعفر، 2024؛ الدوري ونعمان، 2023).

ويعد تعليم الفيزياء مجالاً خصبًا لدمج التكنولوجيا في تدريسها؛ من خلال دمج تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في تدريس المحتوى؛ لتحقيق فوائد تربوية مختلفة، بما في ذلك تحسين جودة المحتوى، وبيئة التعلم، والممارسات التعليمية، ودعمها بالأنشطة التفاعلية، واستراتيجيات التقييم، من خلال إنشاء الاختبارات الإلكترونية؛ لتقييم أعمال الطلاب، والتنبؤ بأدائهم الأكاديمي من خلال تحليل البيانات، والوصول إلى استنتاجات يتمُّ من خلالها تطوير وتحسين طرق واستراتيجيات التعليم والتعلم (Almasri, 2024).

وتتعدد التطبيقات التعليمية القائمة على تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، المناسبة لتوظيفها في العملية التعليمية لتدريس العلوم عامة، والفيزياء خاصة؛ والتي تحاكي العقل البشري باستخدام أنظمة حاسوبية يمكنها ربط العلاقات، واتخاذ القرارات، وتنفيذ الأفعال بشكل مشابه للبشر؛ لتكتمل المعرفة العلمية بالمحاكاة التفاعلية لموضوعات التعلم،

(*) اعتمدت الباحثة على نظام التوثيق وفقًا لدليل الجمعية الأمريكية لعلم النفس American Psychological Association (APA-6).

ومتمثلة في روبوتات الدردشة، وأنظمة التدريس الذكية، والتعليم التكيفي، والواقع المعزز، والافتراضي، والألعاب التعليمية الذكية، والخرائط التفاعلية، والتقييم الذكي (العنزي والشيخ، 2024؛ وعبد المؤمن، 2023).

وتتوافق هذه التطبيقات مع التطورات التي شهدتها مناهج الفيزياء بالمرحلة المتوسطة في العراق، وانتقال ثقافة التقييم العالمي من التقييم القائم على المحتوى إلى التقييم القائم على الأداء، فطبيعة الأنشطة الفيزيائية العملية، يدوية، أو عملية، أو عقلية، يمكن إدراكها أو ملاحظتها، تتطلب من المتعلم الاندماج العقلي من خلال مهام التفكير والاستدعاء والاستماع، واليدوي سواء تتم هذه الأنشطة بشكل فردي أو تعاوني (أحمد، 2003).

لذا يعد الاهتمام بالمهارات العملية، وتنميتها لدى متعلمي الفيزياء هدفًا أساسيًا من أهداف تعلمها؛ حيث يمثل الأداءات التي يقوم بها المتعلم أثناء تعلم الفيزياء في المختبر، والمتعلقة بتناول الأدوات، والأجهزة، واستخدامها بطريقة صحيحة، وإجراء الأنشطة، والتدريبات العلمية بأقل جهد، وفي أقصر وقت، وبدقة، وإتقان مع مراعاة احتياطات الأمان، والسلامة، ويمكن اكتسابها وتنميتها بالمحاكاة الافتراضية عبر التطبيقات التكنولوجية القائمة على الممارسة والتدريب، والتي تحول المجرد إلى ثوابت، والارتقاء بمستوى الخبرات التعليمية، وتكون اتجاهات إيجابية للمتعلم نحو العملية التعليمية (رزوقي وآخرون، 2022).

ولربط الجانب النظري بالجانب التطبيق في تعليم الفيزياء، والذي يساعدهم على تكوين بنية معرفية سليمة مرتبطة بالواقع، وتطبيق ما تم تعلمه في حل مشاكل حياتهم اليومية، ويعد انخراط الطالب في تعلم الفيزياء أحد أهم العوامل التي تساعده على توفير الوقت والجهد الذي يبذله؛ لإنجاز مهامه وأنشطته العملية؛ من خلال حثه على المشاركة الفعالة في التعلم بتوظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي؛ لمحاكاة الأنشطة العملية في ضوء فلسفة السلامة المهنية (الحارثي، 2024).

وتعددت جوانب الانخراط في التعلم على وجه العموم، وعلى الرغم من التباين في هذه التصنيفات إلا أنها جميعًا تدور حول ثلاثة أنواع أساسية للانخراط في التعلم، وهي: الانخراط المعرفي، والانخراط الوجداني، والانخراط السلوكي في التعلم (Strambler & McKown, 2013).

وفي هذا الصدد أوضح سكنر وآخرون Skinner & et al., (2008) أن الانخراط في التعلم عامل رئيس في النجاح التعليمي، ومنبئ بالتحصيل المعرفي، والمهاري، والوجداني، وتؤكد نتائج دراسة عبد القادر (2023) أن انخراط الطلبة في تعلم الفيزياء يؤثر على كافة متغيرات تعلمها سواء كان معرفيًا، ومهاريًا، ووجدانيًا، من خلال الاندماج الكلي في بيئة التعلم التدريسية القائمة على التقنية؛ لتنفيذ مهام التعلم بها، والاستفادة من التطبيقات التكنولوجية المعاصرة بها، وهذا ما أكده أيضًا سند وآخرون Sanad & et al., (2021) أن استخدام التطبيقات التكنولوجية الحديثة، ومنها: تطبيقات الذكاء الاصطناعي، تساعد المتعلم على تنمية مهارات الانخراط في التعلم الإلكتروني.

وتأسيسًا على ما سبق: فإن الاهتمام بالمهارات العملية في الفيزياء، والقدرة على أدائها وتنمية الانخراط في تعلمها يُعد هدفًا من أهم أهداف تعلمها القائم على التفكير والتجريب، ولندرة الأبحاث التي تناولت التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي؛ لذا فإن البحث الحالي سعى لتقصي أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

الإحساس بمشكلة البحث

جاء الإحساس بالمشكلة من خلال ما تنادي به التربية العلمية لواقع تدريس مادة الفيزياء بالمرحلة المتوسطة بوجود فجوة بين الأنشطة التجريبية وتطبيقها في ميدان الدراسة العملية، وضعف الاستفادة من التطبيقات التكنولوجية الحديثة في التغلب على هذه الفجوة؛ مما يزيد من صعوبة تعلمها، وانخفاض قدرة المتعلمين على حل المشكلات العلمية والعملية مستخدمين أساليب التفكير العلمي؛ وضعف استخدام المعلمين نماذج تدريسية قائمة على دمج التطبيقات التكنولوجية في التدريس تساعد المتعلمين على تجاوز تلك الصعوبات (ظاهر، 2020؛ شبيب، 2017؛ Camarao & et al., 2024).

وفي هذا الاتجاه أشارت نتائج الدراسات والبحوث، ومنها دراسة: صالح وآخرين (2023)؛ عفيفي ونجيب (2014)؛ سرايا وصالح (2010) إلى أهمية تنمية المهارات العملية للأنشطة العملية والمعملية في الفيزياء، والتي تعمل على ربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي، والذي يساعدهم على تكوين بنية معرفية سليمة مرتبطة بالواقع، وتطبيق ما تم تعلمه في حل مشاكل حياتهم اليومية.

كما أشارت الأدبيات والدراسات والبحوث السابقة، أن انخراط الطلبة في تعلم الفيزياء سطحيًّا، ويؤثر على كافة متغيرات تعلمها سواء كان معرفيًّا، أو مهاريًّا، أو وجدانيًّا، ويرجع ذلك لضعف بيئة التعلم التدريسية، والطرق التقليدية في تنفيذ مهام التعلم بها، وضعف الاستفادة من التطبيقات التكنولوجية المعاصرة، ومنها دراسة كل من: قديس (2023)؛ عبد القادر (2023)؛ Sanad & et al., (2021).

لذلك أكدت دراسة الزهراني وآخرين (Alzahrani et al., (2022، أن تصميم أي بيئة تعليمية، ينبغي أن يتضمن من المتغيرات التكنولوجية ما يحفز الطلبة على التعلم، وينمي معارفهم، ومهاراتهم، وانفعالاتهم الوجدانية، فانخراط المتعلم في عملية التعلم يشكل عنصر حاسم ومؤثر في تنمية نواتج التعلم المتنوعة.

ويتفق هذا مع ما أفادت به نتائج عديد من الدراسات والبحوث السابقة، من أهمية دمج التكنولوجيا في تدريس العلوم عامة، والفيزياء خاصة، من خلال التطبيقات الحديثة، ومنها وأهمها تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتي أشارت دراسة العتيبي وآخرين (2022) على الدور الفعال لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير الناقد والاتجاهات العلمية لدى طالبات الصف الثاني الثانوي في مقرر الفيزياء، كما أشارت نتائج دراسة الركابي (2023) إلى أهمية توظيف معلمي الفيزياء لتطبيقات الذكاء الاصطناعي عند تدريسها بالمرحلة الثانوية لانعكاسها الإيجابي على متغيرات تعليمها، بالإضافة إلى ذلك أشارت نتائج دراسة طه وأبو سالمة (2025) إلى فاعلية تدريس منهج العلوم المطور في ضوء القضايا العلمية الاجتماعية باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية التفكير العلمي والقيم الأخلاقية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، ودراسة عموش (2024) التي أشارت إلى فاعلية التدريس باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية عمق المعرفة، والميل نحو استخدامها في تعلم العلوم لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي، كما أشارت نتائج دراسة أحطوب وخطايبة (2023) إلى فاعلية تدريس وحدة في العلوم وفق منهج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعزيز مهارات التواصل العلمي لدى طلبة الصف الثامن الأساسي.

ويؤكد أهمية تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية، ومنها: المؤتمر الدولي العربي الثاني للذكاء الاصطناعي في التعليم: والذي نظمته المنظمة العربية للتربية، والثقافة والعلوم (الألكسو) في 29-30 أكتوبر 2024، مؤتمر مستقبل تكنولوجيا التعليم (FETC 2025)، في الفترة من 14 إلى 17 يناير 2025 في أورلاندو بولاية فلوريدا؛ لاستكشاف كيف يشكل الذكاء الاصطناعي مستقبل التعليم، من خلال بيئة تعليمية مصممة

لإلهام وتحفيز الابتكار في المجال التعليمي، باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التدريس بالفصول الدراسية، تحت نماذج، واستراتيجيات دمج التكنولوجيا في التدريس؛ ممَّا يحفز المتعلمين على الانخراط في عملية التعلم، وتطوير مناهج التعلم في ضوئها، ووصول المعرفة العلمية للمتعلم في أي وقت ومكان بطرق متعددة، وبأساليب متنوعة.

وأكدت نتائج العديد من البحوث والدراسات السابقة سالفة الذكر، التي تناولت المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء على ضرورة الاهتمام بها أثناء عملية التدريس، بحيث تتوافق التطبيقات التكنولوجية المستخدمة مع تطلعات المتعلمين المستقبلية، وتنمية مهاراتهم العملية في الفيزياء؛ لتنعكس إيجابًا على مستوى انخراطهم في تعلمها؛ حيث أظهرت نتائج التجربة الاستطلاعية، والتي تمثلت في تطبيق بطاقة ملاحظة أداء الأنشطة العملية على عينة من طلبة الصف الثالث المتوسط بمدرسة أكاديمية دار العلوم الأهلية، مديرية التربية الرصافة الثانية، محافظة بغداد بالعراق، أن مستوى المهارات العملية للملاحظة، والاستنتاج، والتعميم، دون المستوى المرتقب من الطلاب؛ حيث لم يتجاوز أعلى طالب نسبة (16,3%)، (9,7%)، (6,1%) على الترتيب من الدرجة الكلية للبطاقة.

ونتيجة لندرة البحوث والدراسات السابقة العربية والأجنبية التي اهتمت بتنمية المهارات العملية للأنشطة وتجارب الفيزياء العملية، والانخراط في تعلمها لدى طلاب المرحلة المتوسطة؛ استلزم الأمر الاهتمام بتنميتهما من خلال التعرف على أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

مشكلة البحث

تحددت مشكلة البحث الحالي، في ضعف المهارات العملية للأنشطة العملية في الفيزياء: (تحضير الأدوات، والتوصيل، والملاحظة، والاستنتاج، والتعميم)، وبعض أبعاد الانخراط في تعلم الفيزياء المتمثلة في الانخراط: (المعرفي، والمهاري، والوجداني)، لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق؛ مما جعل الباحثة تتبني التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

أسئلة البحث

حاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟

<u>وانبثق منه الأسئلة الفرعية الآتية:</u>

1) ما التصوُّر المقترح للتعلم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟

2) ما صورة وحدة (التيار الكهربائي) في ضوء التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين؟

3) ما أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية لأنشطة الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق؟

4) ما أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق؟

فروض البحث

في ضوء أسئلة البحث أمكن تحديد الفروض الآتية:

1) لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (α≥0.05) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء وكل مهارة من مهاراتها.

2) لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (α≥0.05) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء وكل بُعد من أبعاده.

أهداف البحث

استهدف البحث الحالي:

1. إعداد نموذج تدريسي بالتعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية للأنشطة والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق.

2. تعرُّف أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية لأنشطة الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق.

3. تعرُّف أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق.

أهمية البحث

قد تفيد نتائج البحث الحالي كلاً من:

–مشرفي مادة الفيزياء ومعلّميها والباحثين: وذلك من خلال معرفة الخطوات الإجرائية بدليل المعلم للتعلم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، من حيث مقدرتها على تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلابه، مع تعريفهم بطرق قياس نموها من خلال بطاقة الملاحظة الوظيفية المعد بالبحث الحالي.

–الطالب: وتتمثل في مقدرته على تحقيق التعلم ذي المعنى، وربط المعرفة بالتكنولوجيا الحديثة في التعلم، ومنها تطبيقات الذكاء الاصطناعي، من خلال تنمية المهارات العملية لديه، بالإضافة إلى الانخراط في تعلم الفيزياء بصورة وظيفية.

–مخططي ومصممي مناهج الفيزياء: قد يفيد التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في إعادة تنظيم محتوى مادة الفيزياء في ضوء التقدم التكنولوجي، ووسائل الاتصال الحديثة، بما يؤدي إلى تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء.

حدود البحث

اقتصر البحث على الحدود الآتية:

1. البشرية: عينة من طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق.

2. المكانية: مدرسة أكاديمية دار العلوم الأهلية، مديرية التربية الرصافة الثانية، محافظة بغداد بالعراق.

3. الزمانية: الفصل الدراسي الثاني للعام 2024-2025م.

–الموضوعية، وتشمل: تطبيق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى عينة البحث الحالي.

–بعض المهارات العملية لأنشطة الفيزياء، والمتمثلة في: (تحضير الأدوات، والتوصيل، والملاحظة، والاستنتاج، والتعميم) لدى عينة البحث الحالي.

–الانخراط في تعلم الفيزياء، وتتمثل أبعاده في الانخراط: (المعرفي، والمهاري، والوجداني)، وإمكانية وضعها في موقف أو مشكلة أو قضية مرتبطة بمحتوى أنشطة الفيزياء.

–الوحدة الثالثة (التيار الكهربائي) من كتاب الفيزياء المقرر على الصف الثالث المتوسط الطبعة الثالثة عشرة (1446هـ/2024م)؛ حيث تتناسب موضوعاتها والأنشطة المرتبطة بها مع طبيعة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء، والانخراط في تعلمها لدى عينة البحث الحالي.

منهج البحث

تمَّ استخدام المنهج التجريبي ذات التصميم شبه التجريبي المعروف باسم التصميم القبلي البعدي باستخدام مجموعتين متكافئتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة؛ وذلك لمعرفة أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية والانخراط في تعلم الفيزياء لدى عينة البحث الحالية، وفي هذا النوع من التصميمات، تمَّ اختيار أفراد العينة بطريقة عشوائية، وتقسيمها إلى مجموعتين مجموعة تجريبية والأخرى ضابطة، وتمَّ تطبيق أدوات القياس قبليًّا على المجموعتين قبل التجربة، وبعد الانتهاء منها، ويتضح ذلك بالجدول الآتي:

جدول (1) التصميم شبه التجريبي للبحث

القياس القبلي	عينة البحث	المعالجة التجريبية	القياس البعدي
بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء	المجموعة التجريبية	تدريس وحدة (التيار الكهربائي) بالتعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي	بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء
مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء	المجموعة الضابطة	تدريس وحدة (التيار الكهربائي) في الفيزياء في ضوء التعلم بالبيئة السائدة	مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء

مصطلحات البحث

اشتمل البحث الحالي المفاهيم والمصطلحات الآتية:

التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي

عرف زيتون (2005) التعليم المدمج بأنه: "إحدى صيغ التعليم والتعلم التي يندمج فيها التعلم الإلكتروني مع التعلم الصفي التقليدي في إطار واحد، إذ توظف أدوات التعلم الإلكتروني، مثل: الصفوف الذكية، والمعامل الافتراضية، ويلتقي فيها المعلم مع الطالب وجهاً لوجه في معظم الأحيان (ص173).

وعرف تريدينيك (2017) Tredinnick تطبيقات الذكاء الاصطناعي بأنها: "تقنيات، وأساليب، وأدوات، وطرق خاصة بالحوسبة، تهتم بمحاكاة أجهزة الحاسوب للعقل البشري؛ لاتخاذ قرارٍ عقلانيٍّ مرنٍ، تقترب من القدرات والإمكانيات الطبيعية، وتشمل معالجة اللغة الطبيعية، وحل المشكلات، واتخاذ قرارات منطقية" (p38).

ويعرف التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي بأنه: التعلم التي يندمج فيها التعلم الإلكتروني مع التعلم الصفي التقليدي في إطار واحد من خلال توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي (ChatGPT, Phet Simulations, Quizizz) في تخطيط، وتنفيذ، وتقويم أنشطة التعلم؛ لتنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط.

المهارات العملية للأنشطة العملية

عرف زرنوقي (2014) المهارات العملية بأنها: "مجموعة من السلوكيات الإجرائية الفعالة التي يظهرها المتعلم خلال أنشطة الفيزياء العملية والتجريبية في شكل استجابات حركية أو عقلية؛ بحيث تتميز بالسرعة والدقة في الأداء التوصيلي لها" (ص71).

وتعرف الباحثة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء إجرائيًا بأنها: مجموعة من الأداءات التي يتمكن منها تلاميذ الصف الثالث المتوسط، والخاصة بتحضير الأدوات، والتوصيل، والملاحظة، والاستنتاج، والتعميم بطريقة صحيحة، لأنشطة موضوعات وحدة التيار الكهربائي، بأقل جهد وأقصر وقت، والتي يمكن قياس مدى اكتسابها من خلال بطاقة ملاحظة المهارات العملية المعدة لذلك.

الانخراط في تعلم الفيزياء

عرف الشرابي (2023) الانخراط في تعلم الفيزياء بأنه: مقدار مشاركة طلبة الفيزياء بكل أبعاد العملية التعليمية من مهارات معرفية وسلوكية وانفعالية في بيئة (Microsoft Teams) في تعليم وتعلم الفيزياء.

ويعرف الانخراط في تعلم الفيزياء إجرائيًا: بأنه مقدرة تلاميذ الصف الثالث المتوسط على المشاركة في مهام وأنشطة التعلم بيئة التعليم المدمج القائمة الذكاء الاصطناعي، والتفاعل المعرفي، والمهاري، والوجداني الإيجابي مع زملائهم في استخدام التعلم الإلكتروني كوسائل لتعلم الفيزياء، وتقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في المقياس المعد لذلك.

الإطار النظري للبحث

تناول الإطار النظري متغيرات البحث في ثلاثة محاور، الأول منها يتعلق بالمهارات العملية في تعليم الفيزياء، من حيث: ماهيتها، وأهميتها، وأنواعها، جوانب تعلمها، ومراحل أدائها، وتقويمها، بينما المحور الثاني يتعلق بالانخراط في تعلم الفيزياء، من حيث: ماهيته، وأهميته، وجوانبه، وأساليب واستراتيجيات تنميته، ويتعلق المحور الثالث بالتعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، من حيث: ماهية التعلم المدمج، وأهميته، تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وتوظيفها في تعليم الفيزياء، وفيما يلي عرضًا مفصلًا لتلك المحاور، وما تتضمنه من موضوعات فرعية.

أولًا – المهارات العملية في تعليم الفيزياء:

تعد المهارات بأنواعها أحد المكونات الأساسية للنواتج التربوية للتعليم بصفة عامة وتعليم الفيزياء بصفة خاصة؛ حيث إنها ترفع من قدرة المتعلم على أداء الأعمال في سهولة ويسر، وترفع من مستوى أدائه مع الاقتصاد في الوقت والجهد، وترفع من مستوى ميل واتجاه نحو التعلم في ضوء التقدم المعرفي والتكنولوجي.

وفي هذا الاتجاه أوضح أبو النصر (2020) أن المهارة: "تمثل نوع من درجات تمكن المتعلم في إنجاز المهمة المطلوبة بإتقان، وفي الوقت المحدد، مع وجود الرغبة لدى الشخص لتحقيق ذلك، بمعنى أن المهارة هي نشاط هادف يؤديه الإنسان بإتقان وسرعة ورغبة" (ص76).

وعرف عامر (2015ب) المهارات العملية بأنها: "القدرة المكتسبة التي تمكن المتعلم من إنجاز ما توكل إليه من أعمال بكفاءة، وإتقان بأقصر وقت ممكن وأقل جهد وعائد أوفر" (ص125). كما عرف رزوقي وآخرون (2022) المهارات العملية Practical Skills بأنها مجموعة سلسلة الحركات، أو الأداءات، هو أول الخطوات الإجرائية العملية القابلة للملاحظة التي يقوم بها المتعلم أثناء أدائه لمهمة معينة سعيًا؛ لتحقيق هدف أو إنتاج معين (ص154).

وبناءً على ذلك: اتفقت الأدبيات والدراسات على أن المهارات العملية لها شرطين أساسيين لاكتسابها، وهما الدقة والسرعة، في تنفيذ النشاطات الأدائية التي يؤديها المتعلم، ويكون الأداء العقلي، واليدوي هو السائد فيها، والأكثر وضوحًا وعملًا.

أهمية المهارات العملية في تعليم الفيزياء

يعد تنمية المهارات العملية لدى المتعلم هدفًا أساسيًا من أهداف تدريس الفيزياء بشكل عام في جميع مراحل التعليم، وهذا ما أشارت إليه رزوقي وآخرون (2022) كما يلي:

- للمهارات العملية دور في تحويل المجرد إلى ثوابت، والارتقاء بمستوى الخبرات التعليمية لكل من المعلم والمتعلم، وارتباطه بالعملية التربوية

- تكون اتجاهات إيجابية للمتعلم نحو العملية التعليمية، وتحقيق أهدافها، وإطفاء الواقعية على العديد من المعلومات النظرية؛ مما يرسخ في ذهنهم فهم طبيعة العلم بشكل أفضل.

- تعطي فرصًا للمتعلمين للتعامل مع الأدوات والمواد والأجهزة في أثناء نشاطاتهم التعليمية، وهذا يجعل التعلم ذا معنى.

- تؤدي المهارات العملية دورًا في البحث والاستفسار الذي يتعلم منه المتعلم طرائق التفكير العلمي، وفهم المفاهيم، والقوانين العلمية.

- تعمل على ترسيخ الطريقة الاستقصائية والاستكشافية، ودقة الملاحظة، والعمل يبدو وكأنه تساؤل عن الطبيعة، والملاحظة هي أساس عمل البيانات.

- توظف المدركات الحسية والتفاعل بينها وبين المتعلم، فهو يتفاعل مع المواد والأجهزة العلمية؛ ليكتسب المهارات العملية في استخدامها.

- تبدأ بالملاحظة وجمع البيانات، ثم وضع الفرضيات، واختبارها، ثم التوصل إلى النتائج والتعميمات، وبهذا يكون تفاعل المتعلم مع خبرة مرغوبة، وبصورة نشطة.

ويوضح غريب (2013) أهمية المهارات العملية فيما يلي:

- مناسبة للفروق الفردية للمتعلمين؛ حيث يسير كل فرد في العمل على حسب سرعته الخاصة بما يؤدي إلى زيادة تقديره لذاته.

- التمكن من المهارة يساعد على تقوية الإدراك الإيجابي للمتعلم، وبالتالي تسهم بصورة مباشرة في كفاءة المتعلم الاجتماعي.

- تساعد في تغيير ميول المتعلم واتجاهاته العلمية نحو المهن العملية أكثر من النظرية.

أنواع المهارات العملية في تعليم الفيزياء

تعددت تصنيفات المهارات العملية بوجه عام، وفي تعليم الفيزياء إلى عدة أنواع طبقًا للقائم بها، وللأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، كما أشار إليها عطيو (2006، ص228- 229)، وننجزها فيما يلي:

1. **المهارات العملية (من حيث القائم بها):**

- نشاط فردي: يقوم به المتعلم طبقًا لما هو مطلوب في أقل وقت وجهد.

- نشاط جماعي (مجموعة صغيرة): تكلف بمهام معينة، يتم تقويمهم وفقًا لها.

- مشروع: يقوم به طالب واحد أو مجموعة، ويحتاج تنفيذه إلى وقت وجهد أكثر.

2. **المهارات العملية (من حيث أهدافها):**

- استكشافية: هدفها إتاحة الفرصة للمتعلم؛ لفحص الأجهزة والمعدات، والتعرف عليها.

- تمهيدية: هدفها تقييم الأفكار عن طريق تداول الأدوات المحسوسة قبل التعرف عليها في الأنشطة الاستكشافية، والتفاعل معها، والتعامل مع موضوعات التعلم.

- تطويرية: هدفها تعزيز ما اكتسبه الطالب خلال الأنشطة الاستكشافية والتمهيدية، ويمارسها المتعلم بعد أن يكون قد اكتسب فكرة أساسية؛ ليبرهن على مدى فهمه لها.

جوانب المهارات العملية في تعليم الفيزياء

يصعب تحقيق الهدف من إتقان المهارات العملية بالتركيز على الجانب الأدائي، فالأساس فيه جانب المعرفة، والوجدان، ثم الجانب الأدائي، كما أشار إليها كل من: اللقاني وحسن (2001)؛ جابر (2011)، في ثلاثة جوانب، تتمثل فيما يلي:

- **الجانب المعرفي:** تتمثل في معلومات تصف مخرجات التعلم، أو مرتبط بتعلم المهارة.

- **الجانب الأدائي:** ويتمثل في الجانب العملي الذي يمكن ملاحظته، في صورة خطوات وأفعال سلوكية، وتتطلب جهدًا من قبل المتعلم لاستخدام الأدوات والأجهزة.

- **الجانب الوجداني:** ويتناول حالة المتعلم النفسية أثناء أدائه للمهارات، وهو متصل بأحاسيس المتعلم وانفعالاته، ويعتبر هذا الجانب قابل للاكتساب والإنماء والتعديل.

مراحل اكتساب المهارات العملية، وتقويمها

يمر تعلم المهارة بعدد من المراحل الإجرائية حتى يصل المتعلم إلى مستوى الإتقان، وفي هذا الاتجاه حددها أبو عصر ومحمود (2015)، ونوجزها فيما يلي:

1. **التعرف على المهارة،** متمثلاً في معرفة النواحي المعرفية، المرتبطة بالمهارة.
2. **بدء ممارسة المهارة،** متمثلاً في ممارستها خطوة بخطوة، والاطمئنان إلى أدائها بدقة.
3. **التدريب على المهارة،** متمثلة في قدرة المتعلم على تخطيطها، وتنفيذها، واتخاذ القرارات، والحكم على الأداء بنفسه.
4. **صقل المهارة،** متمثلاً في تقليل توتر الطالب حتى يتلاشى، ويتم العمل في وقت أقل.
5. **اكتساب ردود فعل آلية،** متمثلة في تنفيذ المهارة أوتوماتيكيًا، دون التغذية الراجعة.

تعدد الطرق والأساليب التي تستخدم في تقويم المهارات العملية، والتي أشار إليها عطيو (2013، ص180-181)، ويمكن تلخيصها في طريقتين كما يلي:

1. **الطريقة الكلية:** وتتمثل في تقويم أداء المتعلم للمهارة ككل، وجودة أداءها، ومعدل إنجازها.
2. **الطريقة التحليلية:** وتتمثل في ملاحظة أداء المتعلم أثناء قيامه بتنفيذ المهارات الفرعية.

وقد اتبعت الباحثة أسلوب ملاحظة الأداء؛ حيث تم تحليل المهارات المراد قياسها إلى خطوات سلوكية بسيطة قابلة للقياس وضعت في بطاقة الملاحظة، ودرجة ممارسة الأداء متدرجة ما بين: (جيد – متوسط – ضعيف – لم يؤدِ).

ثانيًا – الانخراط في تعلم الفيزياء:

يعد الانخراط في تعلم الفيزياء أحد الأبعاد التربوية التي بدأ الاهتمام بها في السنوات الأخيرة كأحد العناصر الأساسية؛ لتحقيق الأهداف التربوية لعملية تعليم وتعلم العلوم بصفة عامة؛ والذي تنوعت المصطلحات العلمية والتربوية حوله بين الانتباه، والاهتمام والمشاركة الطلابية في أنشطة التعلم المتنوعة، فأطلق عليها الانخراط أو الانهماك في التعليم، وفي هذا الاتجاه عرف الحارثي (2024) الانخراط في تعلم الفيزياء بأنه: "عملية الانهماك النشط في المهمات والأنشطة التي تيسر حدوث التعلم عبر بيئة واقع معزز تحفيزية؛ لدراسة مقرر الفيزياء بالاعتماد على بذل الجهد من قبل المتعلمين سلوكيًا ومعرفيًا وانفعاليًا" (ص74).

وعرف الشرابي (2023) الانخراط في تعلم الفيزياء يتمثل في: "مقدار الشدة الانفعالية التي يؤديها طلاب الفيزياء نحو التعلم باستخدام التكنولوجيا بالرفض أو القبول أو التردد" (ص228).

بينما يرى بريجز Briggs (2015) أن الانخراط في التعلم يشمل مشاركة المتعلم، وإظهاره مستوى من الاهتمام نحو موضوع التعلم، والتفاعل معه، ومع المعلم، والأقران، وارتفاع مستوى الدافع للتعلم، وعلى المعلم أن يحدد الاستراتيجيات التي تساعد على التغلب على العقبات التي تحول دون مشاركته.

وبناءً على ذلك يتضح وجود نوعين من سلوك الانخراط، أحدهما: الانهماك المستمر الذي يتضمن عمليات معرفية، سلوكية، وانفعالية، والآخر: استجابة المتعلم لموقف يظهر مدى التحدي والإصرار والمثابرة، وتوظيف جميع العمليات العقلية لحل المشكلات، التي تواجهه أثناء عملية التعلم.

أهمية الانخراط في التعلم

يرجع أسس انخراط المتعلمين في التعلم من خلال نظرية الانخراط أو الاندماج أو التكامل الاجتماعي لتينتو (Tinto, 1993)، والتي أسست على النظرية المعرفية الاجتماعية، والتي يتم من خلالها دراسة العلاقة التكاملية الثلاثية بين المتعلم، والبيئة، والسلوك، والدور الذي تؤديه هذه العلاقة في إكسابهم العديد من المعارف، والمهارات من خلال التفاعل في المجتمعات المعرفية (Long, 2005).

وفي هذا الصدد أوضح سكنر وآخرون Skinner & et al., (2008) أن الانخراط في التعلم عامل رئيس في النجاح التعليمي، فعلى المدى القصير ينبئ بتعلم وتحصيل الطلاب أما على المدى البعيد، فأنه ينبئ بنمط المواظبة على التعلم والتكيف الأكاديمي.

كما أوضح عبد المجيد (2015) أن الانخراط في التعلم مؤشر فاعل لجودة التعلم، ومنبئ متميز لمستوى تحصيل الطلاب، كما يتسم الطلاب المنهمكون بأنهم لديهم رغبة في إتقان العمل والفهم والتعبير عن الذات والعمل مع الجماعة، ومن خصائصهم الانجذاب إلى عملهم، ولديهم القدرة على تحمل التحديات والعقبات.

كما أشارت الأدبيات والدراسات والبحوث السابقة، أن انخراط الطلبة في تعلم الفيزياء يؤثر على كافة متغيرات تعلمها سواء كان معرفيًا، أو مهاريًا، أو وجدانيًا، من خلال الاندماج الكلي في بيئة التعلم التدريسية؛ لتنفيذ مهام التعلم بها، والاستفادة من التطبيقات التكنولوجية المعاصرة بها (عبد القادر، 2023؛ Sanad & et al., 2021).

جوانب الانخراط في تعلم الفيزياء

تعددت جوانب الانخراط في التعلم على وجه العموم، وعلى الرغم من التباين في هذه التصنيفات إلا أنها جميعًا تدور حول ثلاثة أنواع أساسية للانخراط في التعلم، هي: الانخراط المعرفي، والانخراط الوجداني، والانخراط السلوكي في التعلم (Strambler & McKown, 2013).

وأوضح سميلي وأندرسون (Smiley & Anderson, 2011) أن هناك من يصنف الانخراط في التعلم إلى الانخراط السلوكي (مشاركة الطلاب في أنشطة أكاديمية واجتماعية وإثرائية)، والانخراط العاطفي (امتلاك الطلاب اتجاهات إيجابية وتفاعلات نحو المدرسة والمعلمين والتعلم والأصدقاء)، والانخراط المعرفي (تنفيذ الطلاب لاستراتيجيات أو أساليب تعلم بطريقة فاعلة ومنظمة ذاتيًا).

أساليب واستراتيجيات تنمية الانخراط في التعلم

يعد انخراط الطلاب مؤشرًا قويًا على استمرار واستكمال التعلم من خلل استخدام نماذج، وأساليب قائمة على التكنولوجيا، والتي تشجع على مشاركة الطلاب والانهماك في التعلم؛ حيث إن انخراط الطلاب يعد مؤشرًا قويًا على استمرار واستكمال التعلم؛ لذا هناك ضرورة تدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات تشجع على المشاركة والانهماك في التعلم فهو السبيل الوحيد لضمان استمرار الطلاب في التعلم (Bigatel & Williams, 2014).

لذا استخدمت العديد من الدراسات والبحوث في تدريس العلوم عامة، والفيزياء خاصة الأساليب التقنية، ومنها دراسة الحارثي (2024) التي أشارت إلى فاعلية استخدام الواقع المعزز التحفيزي في تنمية الانخراط في التعلم وجودة الحياة التعليمية لدى طلاب الصف العاشر بمقرر الفيزياء، ودراسة الشرابي (2023) التي أشارت نتائجها إلى فاعلية استخدام نموذج SAMR عبر منصة ميكروسوفت تيمز "Microsoft Teams" لتنمية التحصيل والانخراط في التعلم والاتجاه نحو التكنولوجيا لدى الطلاب المعلمين شعبة الفيزياء بكلية التربية، ودراسة عريبي (2023) التي أشارت نتائجها

إلى فاعلية تصميم بيئة تعلم قائمة على تقنيات الواقع المعزز لتنمية التحصيل الدراسي والانخراط في تعلم العلوم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية

ثالثًا – التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي

يعد التعليم المدمج مفهوم جديد قديم؛ لأن له جذور قديمة تشير في معظمها إلى مزج طرق التعلم، والاستراتيجيات التدريسية مع الوسائل التقنية المتعددة، وله مصطلحات عديدة منها: التعلم المتمازج، والتعلم الهجين، والتعلم المختلط وأشملها هو التعليم المدمج، وفي هذا الاتجاه عرف شتيوي (2019، ص174) التعليم المدمج بأنه: "نظام تعليمي يجمع التعليم وجهًا لوجه مع التعليم المعتمد ... تعلمت تعليمًا تقليديًّا".

وفي هذا الاتجاه أيضًا أوضح أبو موسى والصوص (2014) إن التعليم المدمج له أربعة معانٍ مختلفة تتمثل فيما يلي:

- الدمج بين أنماط مختلفة من التكنولوجية المعتمدة على الإنترنت؛ لإنجاز هدف تربوي، ومنها: الصفوف الافتراضية المباشرة، والتدريس المعتمد على سرعة الذاتية، والتعليم التعاوني وغيرها.

- الدمج بين طرق التدريس المختلفة المبنية على النظريات المتعددة، مثل: البنائية، والسلوكية، والمعرفية؛ لإنتاج تعلم مثالي بدون استخدام التقنية.

- الدمج بين أشكال متنوعة من التقنية، منها: شريط الفيديو، والتدريب المعتمد على الويب، والأفلام التعليمية مع التدريس من قبل المعلم وجهًا لوجه.

- دمج التقنية في التدريس في مهمات عملية حقيقية؛ لعمل إبداعات فعلية تؤثر على الانسجام بين التعلم والعمل، وهذا هو التعليم المدمج.

ويعد دمج التقنية في التدريس للتغلب على كل من عيوب التعليم التقليدي، والتعليم التقني، من خلال التوفيق بينهما بدمج التكنولوجيا في التدريس، ومن أهمها: مصطلح الذكاء الاصطناعي، والذي ظهر من خلال جون مكارثي عام 1956م في أبحاثه العلمية الذي وصفه بأنه: تطوير الآلات لتتصرف، وكأنها ذكيَّة (موسى وبلال، 2019، ص20)، وعرفه كوبلاند Copeland (2023) بأنه: قدرة الحاسوب، أو الروبوتات الذكية على القيام بالمهام التي يقوم بها البشر، بينما عرفت تطبيقات الذكاء الاصطناعي بأنها: تطبيقات محوسبة يتم إنتاجها؛ لتحاكي سلوك الإنسان البشري الذكي، في حل المشكلات، واتخاذ القرارات، وحل المسائل، والتدريب على حلها (Roll & Wylie, 2016).

تطبيقات الذكاء الاصطناعي وتوظيفها في تعليم العلوم

تعزز تطبيقات الذكاء الاصطناعي من القدرات البشرية للمتعلم، وتحسن من التعلم المتمركز حول المتعلم، وتوفر الدروس الخصوصية التكيفية، وتمكنه من فهم القضايا، والمشكلات حوله، وتقدم لهم خدمات، وحلول أكثر كفاءة وفاعلية، وإثراء وسائل تقديم المعرفة، وتغيير دور كل من المعلم والمتعلم، وتشجع وتحفز المتعلم لفهم وإدراك المعارف، ونقلها إلى مواقف جديدة ومختلفة، وتمكنهم من التفكير بشكل ناقد، وفق مهارات القرن الواحد والعشرين (المهدي، 2023).

وفي هذا الاتجاه أشار كل من: عموش (2024)، (Almasri, 2024)، إلى بعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في التدريس، فيما يلي:

- **روبوت الدردشة** (ChatGPT): أحد أدوات الذكاء الاصطناعي المجانية المستخدمة في الرد على أسئلة واستفسارات المتعلمين بطريقة فورية، مدعمة بصور، وفيديو، ولينك لمصادر النتائج، ويتم استخدامه بواسطة من خلال الباركود.

- **المحاكاة العلمية** (Phet): إحدى أدوات الذكاء الاصطناعي المستخدمة لاستكشاف العلوم من خلال محاكاة تفاعلية مجانية، وتقدم مجموعة واسعة من التجارب والأنشطة المعملية التي تغطي مواضيع الفيزياء في المراحل الدراسية المتنوعة؛ لتعزيز التعلم والفهم.

- **تقويم التعلم** (Quizizz): أحد أدوات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في تقويم مخرجات تعلم العلوم؛ لإنشاء الأسئلة التفاعلية بطريقة جذابة، واختيار من بين مجموعة متعددة من أنواع الأسئلة: (الاختيار من متعدد – ملئ الفراغ – استفتاء – أسئلة مقالية).

وبناءً على ذلك: سعى البحث الحالي للتعرف على أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية، والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

إجراءات البحث

تناول الجزء التالي إجراءات الجانب الميداني، من حيث بناء مادة المعالجة التجريبية، وأداتي البحث وضبطهما، والتجهيز للتجربة، فيما يخص اختيار العينة: (المجموعة التجريبية – المجموعة الضابطة)، والتأكد من تكافؤهما.

أولاً – بناء وضبط مادة المعالجة التجريبية "التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي":

تكون نموذج التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في ضوء الفلسفة البنائية، من خمس مراحل رئيسة، انبثق من كل مرحلة عدد من الخطوات الإجرائية، مدمج بها تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتي يتضح فيها دور كل من معلم الفيزياء والطلاب، وتم التوصل إلى خطوات إجرائية على النحو التالي:

- **تحليل التدريس،** ويتم من خلال تحليل المهام التعليمية باستخدام طرح الأسئلة حول موضوع التعلم، وذلك بغرض تنشيط تفكيرهم، وباستخدام تطبيق (روبوت الدردشة "ChatGPT").

- **تصميم التدريس،** ويتم من خلال تصميم أنشطة التعلم التي تحقق أهداف الدرس، وتحفزهم على القيام بالعمل، والتحول من متلقي إلى إيجابي، وباستخدام تطبيق (المحاكاة التفاعلية "Phet Simulations").

- **تطوير التدريس،** ويتم من خلال التعرف على ما يمتلكه المتعلم من معرفة سابقة؛ لربطها مع الجديدة، من خلال الخرائط الذهنية؛ لبناء تعلم ذي معنى.

- **تنفيذ التدريس،** ويتم من خلال تقسيم التلاميذ لمجموعات؛ لتنفيذ أنشطة التعلم العملية، بين أنشطة: (استقصائية، وعملية، وإثرائية، وبحثية، وريادية، واجتماعية، .....).

- **تقويم التدريس،** ويتم من خلال نقل الخبرات التي استمدوها من معلومات التعلم الجديدة في الحد من التغيرات المناخية مستقبلًا، وباستخدام تطبيق (تقويم التعلم "Quizizz").

وتم تحديد أدوار كل من المعلم والمتعلم في نموذج التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، فالمعلم موجه، وميسر، ومنظم لبيئة التعلم، وموفر لأدوات ومواد التعلم، ووسائله، ومشجع، ومشارك في عملية إدارة التعلم وتقويمه، بينما المتعلم نشط في بيئة التعلم، ومتساءل، ومناقش، ومفسر، واجتماعي في تنفيذ أنشطة التعلم؛ لبناء معرفته العلمية بنفسه، بالحوار والمناقشة، ومبدع في تطبيق ما تعلمه.

وتم استطلاع آراء المحكمين على صورة وحدة (التيار الكهربائي) في ضوء التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي بهدف تحديد:

- مدى الدقة في صياغة الأهداف العامة والسلوكية للوحدة.
- مدى كفاية تطبيقات الذكاء الاصطناعي المستخدمة بالوحدة.
- مدى مناسبة الأنشطة العملية، وتحقيقها لأهداف الوحدة الدراسية.
- مدى ارتباط التقويم بالأهداف المقترحة للوحدة الدراسية.

وفي ضوء ما تم عرضه من خطوات التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، ومن ثم تطبيقه على دليل المعلم وفق الاستراتيجية على وحدة (التيار الكهربائي) المقررة على طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق فقد تمت الإجابة عن السؤال البحثي الأول والثاني، ونصهما:

- ما التصوُّر المقترح للتعلم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي لتنمية المهارات العملية للأنشطة والانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط؟

- ما صورة وحدة (التيار الكهربائي) في ضوء التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين؟".

ثانياً – إعداد بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي):

تم إعداد بطاقة المهارات العملية لأنشطة الفيزياء في وحدة (التيار الكهربائي)، وتم تحديد الغرض منها، ومدى وضوح التعليمات الخاصة بها، ووصف محتواها بدقة، وضبط الخصائص السيكومترية، من خلال الصدق الظاهري والتجريبي والثبات؛ للوصول بها كأداة صالحة للتطبيق على عينة البحث المستهدفة.

1. **الهدف من البطاقة:** تعرف مستوى المهارات العملية بأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) في الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق المقررة عليهم بالفصل الدراسي الثاني (2024-2025م)، وذلك عند مهارات: (تحضير الأدوات، والتوصيل، والملاحظة، والاستنتاج، والتعميم).

2. **تحديد الأداءات التي تتضمنها بطاقة الملاحظة:** تم تحديد الأداءات من خلال الاعتماد على الأنشطة المتضمنة بكل موضوع من موضوعات وحدة التيار الكهربائي المقررة على تلاميذ الصف الثالث المتوسط، واشتملت البطاقة على خمس مهارات رئيسة، تتمثل في: (تحضير الأدوات، والتوصيل، والملاحظة، والاستنتاج، والتعميم)، وإحدى عشرة مهارة فرعية، تم توزيعها على خمس أنشطة تجريبية، فاشتملت تلك الأنشطة التجريبية على خمس وخمسين مهارة إجرائية مرتبطة بالجانب الأدائي للمتعلم، وقد روعي في صياغة المهارات الفرعية أن تكون: محددة بصورة إجرائية، وتصف سلوك واحد فقط أي غير مركبة، وغير منفية، أي لا تحتوي على أداة نفي، وتعبر عن المهارة الرئيسة بالتجربة بشكل دقيق، ومرتبة ترتيبًا منطقيًّا.

3. **التقدير الكمي لأداء المهارات العملية:** تم استخدام التقدير الكمي بالدرجات؛ لقياس تقدير أداء المهارة بتدرج: (جيد – متوسط – ضعيف – لم تؤدِ)، وذلك يرجع إلى أن المهارات تم تحليلها إلى مهارات فرعية يمكن ملاحظتها بسهولة، ولأن جميع المهارات مرتبطة معًا في نظام واحد لكل نشاط تجريبي عملي، لكن يختلف مستوى الأداء عليها من طالب لآخر وفق تمكنه من أدائها من عدمه، وبناء عليه تم إعطاء التقدير لمستوى الأداء طبقًا لما يلي:

- إذا أدى الطالب المهارة بشكل صحيح بدون مساعدة يكون تقديره (جيد)، ودرجته (3).
- إذا أدى الطالب المهارة بشكل صحيح بمساعدة بسيطة يكون تقديره (متوسط)، ودرجته (2).
- إذا أدى الطالب المهارة بشكل صحيح بمساعدة كبيرة يكون تقديره (ضعيف)، ودرجته (1).
- إذا لم يؤدِ الطالب المهارة يكون تقديره (لم يؤدِ) ودرجته (صفر).

وبهذا تكون مجموع درجات بطاقة الملاحظة يساوى (165) درجة، وهو ناتج مجموع المهارات الفرعية ببطاقة الملاحظة.

4. **الصدق الظاهري للبطاقة:** تم تقدير صدق البطاقة عن طريق الصدق الظاهري، ويقصد به المظهر العام للبطاقة من حيث نوع المفردات، وكيفية صياغتها ووضوحها ووضوح تعليماتها ومدى دقتها، ولتحقيق ذلك تم عرض البطاقة على مجموعة من السادة المحكمين بهدف التأكد من دقة التعليمات، وسلامة الصياغة الإجرائية لمفردات البطاقة ووضوحها، وإمكانية ملاحظة المهارات التي تتضمنها، وإبداء أي تعديلات يرونها، وقد اقتصرت تعديلات السادة المحكمين على إعادة صياغة بعض العبارات، ولم يتم حذف أو إضافة أي مهارات من البطاقة، وأجمع السادة المحكمون على أن بطاقة الملاحظة تشتمل على جميع الجوانب المراد ملاحظتها وقياسها بكل تجربة عملية.

جدول (2) مواصفات بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) المقررة على طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق في مادة الفيزياء

الوحدة	الموضوعات	المهارات					الدرجة	الوزن النسبي
		تحضير الأدوات	التوصيل	الملاحظة	الاستنتاج	التعميم		
وحدة (التيار الكهربائي)	التيار الكهربائي	3	4	3	2	2	42	%14,3
		9	12	9	6	6		
	الجهد الكهربائي	3	4	3	2	2	42	%14,3
		9	12	9	6	6		
	المقاومة الكهربائية	9	12	9	6	6	126	%42,9
		27	36	27	18	18		
	التوصيل (أوم)	6	8	6	4	4	84	%28,6
		18	24	18	12	12		
درجة كل مهارة		63	84	63	42	42	294	%100

الوزن النسبي لكل مهارة	21.4	28.6	21.4	14.3	14.3	%100	

5. **التجربة الاستطلاعية:** تم تطبيق البطاقة (استطلاعيًا)، على عينة قوامها (30) طالبة، بهدف: (حساب الاتساق الداخلي للبطاقة – ثبات درجات الطلاب بالبطاقة – إعادة صياغة بعض المهارات الغامضة على المعلم كي تتسم بالوضوح).

(5 – 1) ثبات درجات الطلاب بالبطاقة: تم حساب ثبات البطاقة بأسلوب تعدد الملاحظين على أداء طلبة الصف الثالث المتوسط، ثم حساب معامل الارتباط لبيرسون، والاتفاق – بمعادلة كوبر – بين تقديرهم للأداء العملي للطلبة، وتمت الاستعانة باثنين من الزملاء، وبعد عرض البطاقة عليهم ومناقشتهم محتواها وتعليمات استخدامها، تم تطبيقها، وذلك بملاحظة أداء ثلاثة من تلاميذ الصف الثالث المتوسط، ثم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الملاحظين الثلاثة (0,879**)، دال إحصائيًا عند (0,01)، وكذلك الاتفاق لكل طالبة، ويوضح الجدول التالي معامل الاتفاق بين الملاحظين على أداء طلبة الصف الثالث المتوسط الثلاثة.

جدول (3) معامل الاتفاق بين الملاحظين على أداء طلبة الصف الثالث المتوسط

معامل الاتفاق في حالة الطالبة الأولى	معامل الاتفاق في حالة الطالبة الثانية	معامل الاتفاق في حالة الطالبة الثالثة
%93,9	%95,9	%92,9

باستقراء النسب السابقة بالجدول السابق يتضح أن متوسط معامل اتفاق الملاحظين في حالة الطالبات الثلاث يساوي (94.2 %)، وهذا يعني أن بطاقة جودة المنتج على درجة عالية من الثبات، وأنه صالح كأداة للقياس.

(5 – 2) صدق التكوين لمهارات البطاقة: ويتمثل صدق التكوين في حساب معامل الارتباط بين درجة كل مهارة والمهارات الأخرى، وبين درجة المهارات بالدرجة الكلية للبطاقة، ويتضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

جدول (4) معاملات الارتباط بين مهارات بطاقة الملاحظة للأداء المهاري لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) وبين الدرجة الكلية للبطاقة

المهارات	تحضير الأدوات	التوصيل	الملاحظة	الاستنتاج	التعميم	البطاقة
تحضير الأدوات	—					
التوصيل	0.992	—				
الملاحظة	0.991	0.984	—			
الاستنتاج	0.985	0.978	0.985	—		
التعميم	0.986	0.992	0.981	0.977	—	
البطاقة	0.997	0.996	0.994	0.990	0.993	—

القيمة الجدولية لمعامل الارتباط عند مستوى دلالة (0,01) =0,428.

يتضح من خلال الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط بين مهارات بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي)، وبين درجة البطاقة ككل أكبر من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (0,01)؛ مما يدل على

وجود علاقة ارتباطية بين المهارات والبطاقة ككل، وهذا ما يشير إلى صدق بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) في علوم الصف الثالث المتوسط.

(5 – 3) إعادة صياغة بعض العبارات الغامضة بالبطاقة: من خلال تساؤلات بعض الزملاء أثناء التجربة الاستطلاعية عن بعض المهارات تم توضيح تلك المهارات لهم، وإزالة جوانب الغموض؛ مما دعا لإعادة صياغة بعض الأداءات الملاحظة، والتي تكرر تساؤل حولها.

(6) البطاقة في صورته النهائية: بعد التأكد من صدق بطاقة الملاحظة وثباتها، أصبحت البطاقة في صورتها النهائية صالحة لقياس المهارات العملية للأنشطة التجريبية المتضمنة بوحدة (التيار الكهربائي) في الفيزياء المقررة على طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق، وأصبحت البطاقة في صورتها النهائية تتكون من (98) مهارة إجرائية.

ثالثاً – إعداد مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء:

(1) الهدف من المقياس: التعرف على مدى انخراط الطلبة في تعلم الفيزياء، والمتمثلة في الانخراط: (المعرفي – المهاري – الوجداني).

(2) وضع التعليمات: تضمنت الهدف من المقياس وعدد عبارته، وطريقة الإجابة عنها، وروعي فيها ارتباطها بالأبعاد الرئيسة، وسلامتها من الناحية اللغوية والعلمية.

(3) محتويات المقياس: تضمن مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء على (45) عبارة شملت ثلاثة أبعاد، تمثل الانخراط: (المعرفي – المهاري – الوجداني)، وقد جاءت العبارات في صورة مواقف يتعرض لها الطالب مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالانخراط في تعلم الفيزياء.

(4) مفتاح التصحيح: أمام كل عبارة ثلاثة اختيارات وفقًا تحدد درجة الانخراط، وفقًا لمقياس ليكرت الثلاثي: (كبيرة – متوسطة – ضعيفة).

(5) صدق المقياس: تم عرض الصورة الأولية للمقياس على الأساتذة المتخصصين في مناهج وطرائق تدريس الفيزياء، وموجهي ومعلمي الفيزياء؛ لإبداء الرأي حول النقاط التالية: ارتباط العبارات بالأبعاد المحددة، ودقة صياغة عبارات المقياس من الناحية اللغوية والعلمية، وحذف أو تعديل أو إضافة عبارات المقياس، وقد تم التعديل في ضوء آرائهم، ووفق ما تضمنته ملاحظاتهم، وبالتالي أصبح المقياس معدًا وصالحًا للتطبيق على عينة البحث الاستطلاعية، ولم يحذف أي عبارة، وأصبح المقياس في صورته الأولية (45) عبارة.

(6) التجربة الاستطلاعية: تم تطبيق المقياس (استطلاعيًا)، على عينة قوامها (30) طالبة بالصف الثالث المتوسط بالعراق، وذلك بهدف التأكد من وضوح التعليمات، وتحديد زمن الإجابة، وحساب الاتساق الداخلي لأبعاد، وعبارات المقياس، وثبات درجات الطلبة بالمقياس، وإعادة صياغة بعض العبارات الغامضة بما يزيل غموضها.

(6 – 1) التأكد من وضوح التعليمات، وتحديد زمن الإجابة عن المقياس: قبل البدء في الاستجابة على عبارات المقياس، تم توضيح التعليمات للطلاب، وتلقي الأسئلة من جانبهم، وعرض مثال توضيحي لإحدى العبارات التي تقيس الانخراط في تعلم الفيزياء، وآلية الاستجابة، كما تم حساب زمن الاستجابة على المقياس من خلال رصد زمن كل فرد من أفراد العينة، ثم حساب متوسط الزمن الذي استغرقه أفراد العينة، وقد تم تقديره (35) دقيقة مشتملاً على زمن قراءة التعليمات.

(6 –2) حساب الاتساق الداخلي لعبارات المقياس: للتأكد من الاتساق الداخلي للمقياس تم إيجاد معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس، وتراوحت بين (0,601-0,990)، وجميعها دالة إحصائيًا؛ مما يشير إلى الاتساق الداخلي للمقياس.

(6 –3) صدق التكوين لمهارات المقياس: ويتمثل صدق التكوين في حساب معامل الارتباط بين درجة كل بُعد، وبين الدرجة الكلية للمقياس، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول (4) معاملات الارتباط بين الأبعاد وبين الدرجة الكلية للمقياس

الأبعاد	المعرفي	المهاري	الوجداني	مقياس
المعرفي	—			
المهاري	0.974	—		
الوجداني	0.949	0.959	—	
مقياس	0.987	0.990	0.983	—

يتضح من خلال الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط بين الأبعاد وبين الدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين (0.949 - 0.990)، وهي دالة إحصائيًا، وهذا ما يشير إلى صدق مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء.

(6 – 4) ثبات درجات الطلاب بالمقياس: لحساب ثبات درجات طلاب العينة الاستطلاعية على مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء، تم استخدام معامل ألفا كرونباخ، والتي نتج عنه معامل ثبات قيمته (0.991)، وهذه القيمة يمكن معها الاطمئنان إلى استخدام المقياس كأداة؛ لقياس الانخراط في تعلم الفيزياء بالبحث الحالي في ضوء خصائص عينته.

(7) المقياس في صورته النهائية: بعد الانتهاء من خطوات إعداد المقياس، والوثوق بمدى صدقه وثباته، أصبح المقياس في شكله النهائي، مكونًا من (45) عبارة؛ لقياس الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق، ويصف الجدول الآتي آلية توزيع الانخراط في تعلم الفيزياء بالمقياس:

جدول (5) مواصفات مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق

الأبعاد	أرقام العبارات	المجموع	الوزن النسبي
أولاً: البعد المعرفي	1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15	15	**%33,3**
ثانيًا: البعد المهاري	16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30	15	**%33،3**
ثالثًا: البعد الوجداني	31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45	15	**%33،3**
المقياس	45		**%100**

التأكد من تكافؤ مجموعتي البحث

تم تطبيق بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة التيار الكهربائي، ومقياس الانخراط في تعلم الفيزياء على طلاب المجموعة التجريبية وعددها (30) طالبة، والمجموعة الضابطة وعددها (30) طالبة، وفيما يلي ملخص نتائج التطبيق القبلي:

تكافؤ مجموعتي البحث في بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي)

لحساب تكافؤ مجموعتي البحث حول بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي)، فقد تم حساب قيمة مقياس (ت) للفروق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في التطبيق القبلي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة، وهذا ما اتضح في الجدول الآتي:

جدول (6) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ومستوى الدلالة للفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق القبلي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) (ن=60)

المهارات	المجموعة	الدرجة الكلية	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
تحضير الأدوات	ضابطة	63	31.30	2.200	0.402	58	0.873	0.386
	تجريبية		31.80	2.235	0.408			
التوصيل	ضابطة	84	41.37	1.217	0.222		0.103	0.919
	تجريبية		41.33	1.295	0.237			
الملاحظة	ضابطة	63	29.70	2.409	0.440		0.663	0.510
	تجريبية		29.30	2.261	0.413			
الاستنتاج	ضابطة	42	19.33	1.647	0.301		0.313	0.756
	تجريبية		19.47	1.655	0.302			
التعميم	ضابطة	42	18.57	1.569	0.286		0.166	0.869
	تجريبية		18.50	1.548	0.283			
إجمالي البطاقة	ضابطة	294	140.27	4.135	0.755		0.147	0.884
	تجريبية		140.40	2.762	0.504			

بالنظر إلى قيمة (ت) بالجدول السابق للبطاقة ككل (0.147)، وجد أنها غير دالة إحصائيًا عند مستوى (0,05 ≥α)، وكذلك لكل مهارة من مهارات بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) على حدة؛ وعليه تم التحقق من وجود تكافؤ بين عينة البحث في المهارات العملية لطلاب على أنشطة وحدة (التيار الكهربائي).

تكافؤ مجموعتي البحث في مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء

لحساب تكافؤ مجموعتي البحث حول مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء تم حساب قيمة اختبار (ت) للفروق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في التطبيق القبلي للمقياس، وهذا ما اتضح في الجدول الآتي:

جدول (7) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة " ت " ومستوى الدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق القبلي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء (ن=60)

الأبعاد	المجموعة	الدرجة الكلية	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
المعرفي	ضابطة	45	24.23	1.695	0.310	58	0.463	0.645
	تجريبية		24.03	1.650	0.301			
المهاري	ضابطة	45	20.43	1.942	0.355		0.548	0.585
	تجريبية		20.70	1.822	0.333			
الوجداني	ضابطة	45	22.27	1.741	0.318		0.887	0.379
	تجريبية		22.63	1.450	0.265			
إجمالي البطاقة	ضابطة	135	66.93	3.321	0.606		0.534	0.595
	تجريبية		67.37	2.953	0.539			

بالنظر إلى قيمة (ت) بالجدول السابق للمقياس ككل (0.534)، وجد أنها غير دالة إحصائيًا عند مستوى (0,05 ≥α)، ولكل بعد من الانخراط في تعلم الفيزياء على حدة؛ وعليه تم التحقق من وجود تكافؤ بين عينة البحث في الانخراط في تعلم الفيزياء.

نتائج البحث

بعد عرض إجراءات البحث من حيث التصميم التجريبي، وأفراد العينة، وأدوات البحث، وخطوات إجرائه، وبناء مواد المعالجة التجريبية، تناول هذا الجزء نتائج التحليل الإحصائي، ومناقشة النتائج وتفسيرها، وعرض البحث نتائجه وفق ما يلي:

أولاً – عرض النتائج المرتبطة بالمهارات العملية:

للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة البحث، ونصه: "ما أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات العملية لأنشطة الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق؟"، والتحقق من الفرض المرتبط به، ونصه: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (α≥0.05) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي)، وكل مهارة من مهاراته"، وتم حساب

قيمة مقياس (ت) للفروق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية، وهذا ما اتضح في الجدول الآتي:

جدول (8) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ومستوى الدلالة للفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) (ن=60)

المهارات	المجموعة	الدرجة الكلية	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة	حجم الأثر (η2)
تحضير الأدوات	ضابطة	63	50.13	1.871	0.342	58	16.1	0.000 دالة	0.817 كبير
	تجريبية		58.30	2.054	0.375				
التوصيل	ضابطة	84	70.40	1.192	0.218		24.9	0.000 دالة	0.914 كبير
	تجريبية		79.17	1.510	0.276				
الملاحظة	ضابطة	63	49.43	1.924	0.351		15.0	0.000 دالة	0.795 كبير
	تجريبية		57.50	2.224	0.406				
الاستنتاج	ضابطة	42	31.37	1.829	0.334		18.6	0.000 دالة	0.856 كبير
	تجريبية		39.07	1.337	0.244				
التعميم	ضابطة	42	30.33	1.729	0.316		20.9	0.000 دالة	0.883 كبير
	تجريبية		38.80	1.400	0.256				
إجمالي البطاقة	ضابطة	294	231.67	3.960	0.723		38.9	0.000 دالة	0.963 كبير
	تجريبية		272.83	4.243	0.775				

باستقراء البيانات الموضحة بالجدول السابق اتضح وجود فرق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) لصالح المجموعة التجريبية؛ حيث بلغت قيمة (ت) (38,9)، عند مستوى (0,05)، ولتجنب الوقوع في خطأ النوع الأول؛ فقد قامت الباحثة بتعديل مستوى الدلالة باستخدام Bonferroni Adjustment، حيث تم قسمة مستوى الدلالة (0.05) على عدد الأبعاد (5)؛ ليصبح مستوى الدلالة الجديد (0.0125)، كما بلغت قيمة (ت) لكل مهارة من مهارات بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) على حدة (16.1، 24.9، 15.0، 18.6، 20.9)، وعليه فقد تم رفض الفرض الصفري الأول من فروض البحث، وقبول الفرض البديل، والذي ينص على: "وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (α≥0.05) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) في الفيزياء وكل مهارة من مهاراته لصالح المجموعة التجريبية".

وفيما يتصل بقيم حجم الأثر الذي أحدثه التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، في تنمية مهارات بطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي)، فقد جاءت القيم مرتفعة، وقدرها: (0.817،

0.914، 0.795، 0.856، 0.883، 0.963) لمهارات بطاقة ملاحظة المهارات العملية: (تحضير الأدوات - التوصيل – الاستنتاج - التعميم - إجمالي البطاقة) على الترتيب؛ مما يعني أن (81,7%) من التباين الحادث بمهارة تحضير الأدوات، و(91,4%) من التباين الحادث بمهارة التوصيل، و(79,5%) من التباين الحادث بمهارة الملاحظة، و(85,6%) من التباين الحادث بمهارة الاستنتاج، و(88,3%) من التباين الحادث بمهارة الاستنتاج، و(96,3%) من التباين الحادث في المهارات العملية ككل، وترجع جميعها إلى المتغير المستقل (التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي)، ويوضح الرسم البياني التالي حجم الفروق بين متوسطي درجات طلاب العينة في القياس البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) في علوم الصف الثالث المتوسط.

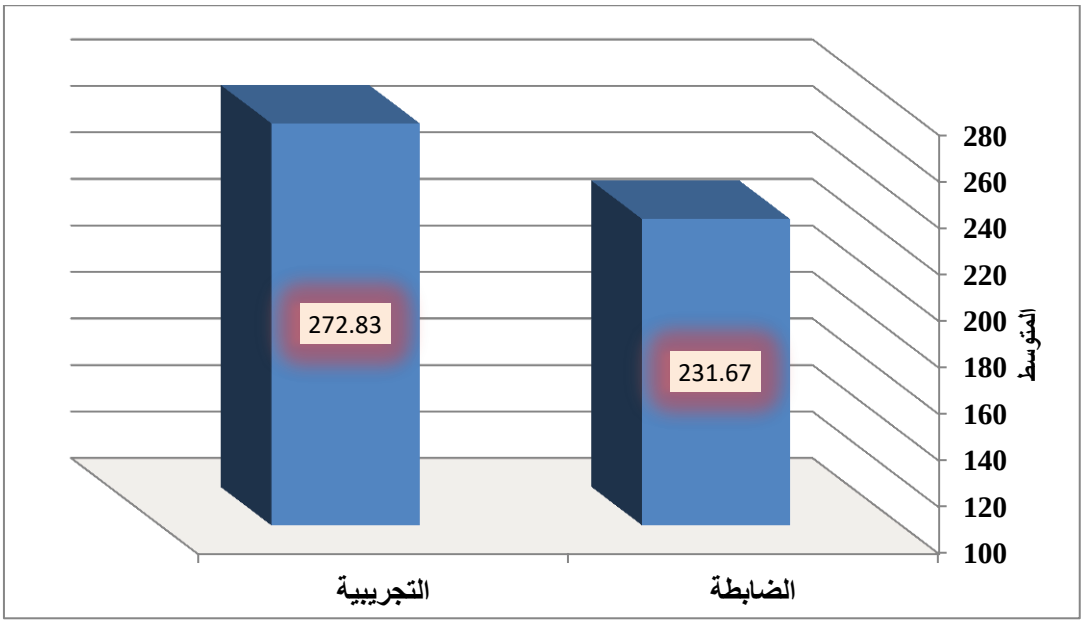

شكل (1) الفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في القياس البعدي لبطاقة ملاحظة المهارات العملية لأنشطة وحدة (التيار الكهربائي) في علوم الصف الثالث المتوسط

وتتفق نتيجة هذا البحث مع ما توصلت إليه بعض البحوث والدراسات السابقة، والتي اهتمت بتنمية عمق المعرفة في الفيزياء، ومنها دراسة كل من: العتيبي وآخرين (2022)؛ القطاونة، (2020)؛ المهداوي وآخرين (2012)؛ سرايا وصالح (2010)؛Gregory & Trapani (2012) ؛ Tong & et al. (2022); Chen & at al. (2020) ، وقد يرجع ذلك إلى:

– ساعد روبوتات الدردشة التفاعلية على تحليل المهمات التعليمية للطلاب باستخدام طرح الأسئلة في مرحلة التخطيط على الربط بين المعرفة القبلية والحالية؛ مما ساهم في تحضير الأدوات اللازمة؛ لتنفيذ أنشطة التجارب العملية في الفيزياء.

– ساهمت برامج المحاكاة التفاعلية لأنشطة التجارب العملية المرتبطة بالممارسات الإيجابية للطلاب من خلال العمل التعاوني، في إعادة توصيل الدوائر الكهربائية بسهولة ويسر.

– ساهم دور المتعلم النشط لدمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنفيذ تجارب التوصيل الكهربائي، ومحاكاة قياس التيار والجهد إلى تحفيزه للقيام بالملاحظة، وإعادة تنفيذها؛ مما ينعكس إيجاباً على مهاراته العملية.

– ساعد الدمج بين التقنية والتعلم التقليد في الاستفادة من مميزات التعلم وجهاً لوجه، ودمج التكنولوجية في ملاحظة نتائج التعلم؛ مما ساهم في تكوين سلسلة من الخطوات بها واتخاذ القرار، وتكوين استنتاجات علمية.

– ساهم تنفيذ المتعلم بالتعاون مع زملائه لأنشطة التعلم القائمة على المحاكاة التفاعلية على المشاركة الإيجابية؛ مما سهم في تنمية الاستدعاء للمفاهيم والمهارات، وتطبيقها في تنفيذ الأنشطة، الوصول إلى نتائجها، وتعميمها.

– ساعدت المناقشات العلمية والمشاركة الفاعلة حول موضوعات الوحدة في تكوين رؤى فكرية مختلفة لدى الطلاب؛ مما عزز من اكتساب مهارات أداء الأنشطة العملية، وتنميتها لديهم، وتعميمها بتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

– ساعدت أدوات تقويم التعلم القائمة على دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعلم الفيزياء، على توفير مناخ تعليمي داعم للتغذية الراجعة بالحقائق الملموسة؛ لتجنب أوجه القصور قدر الإمكان في حل المشكلات المرتبطة بالأنشطة العملية.

ثانياً – عرض النتائج المرتبطة بالانخراط في تعلم الفيزياء:

للإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة البحث، والذي ينص على ما يلي: "ما أثر التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق"، وللتحقق من الفرض المرتبط به، الذي ينص على "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء وكل بُعد من أبعاده"، تم حساب قيمة اختبار (ت) للفروق بين متوسطي درجات مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء في الجدول الآتي:

جدول (9) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة " ت " ومستوى الدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء (ن=60)

الأبعاد	المجموعة	الدرجة الكلية	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة	حجم الأثر (η2)
المعرفي	ضابطة	45	35.70	1.291	0.236	58	23.7	0.000 دالة	0.906 كبير
	تجريبية		43.17	1.147	0.209				
المهاري	ضابطة	45	34.87	1.456	0.266		15.2	0.000 دالة	0.799 كبير
	تجريبية		40.80	1.562	0.285				
الوجداني	ضابطة	45	33.47	1.432	0.261		29.5	0.000 دالة	0.938 كبير
	تجريبية		42.17	747.	0.136				
إجمالي المقياس	ضابطة	135	104.03	2.341	0.427		38.1	0.000 دالة	0.962 كبير
	تجريبية		126.13	2.145	0.392				

باستقراء البيانات الموضحة بالجدول السابق اتضح وجود فرق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء لصالح المجموعة التجريبية؛ حيث بلغت قيمة (ت) (38.1)، عند مستوى (0,05)، ولتجنب الوقوع في خطأ النوع الأول؛ فقد قامت الباحثة بتعديل مستوى الدلالة باستخدام Bonferroni Adjustment، حيث تم قسمة مستوى الدلالة (0.05) على عدد الأبعاد (5)؛ ليصبح مستوى الدلالة الجديد (0.0125)، كما بلغت قيمة (ت) لكل بُعد من أبعاد مقياس الانخراط في تعلم الفيزياء على حدة: (23.7، 15.2، 29.5)، وعليه فقد تم رفض الفرض الصفري الثاني من فروض البحث، وقبول الفرض البديل، والذي ينص على: "وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس وفق التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء، وكل بُعد من أبعاده لصالح المجموعة التجريبية".

وفيما يتصل بقيم حجم الأثر الذي أحدثته التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية الانخراط في تعلم الفيزياء، فقد جاءت القيم مرتفعة، قدرها: (0.906، 0.799، 0.938، 0.962) لأساليب: (المعرفي، والمهاري، والوجداني، وإجمالي المقياس) على الترتيب؛ مما يعني أن (90,6%) من التباين الحادث بمهارة المعرفي، و(79,9%) من التباين الحادث بمهارة المهاري، و(93,8%) من التباين الحادث بمهارة الوجداني، و(96,2%) من التباين الحادث في أبعاد الانخراط في تعلم الفيزياء ككل، ترجع جميعها إلى المتغير المستقل (التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي)، ويوضح الرسم البياني التالي حجم الفروق بين متوسطي درجات طلاب العينة في القياس البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء.

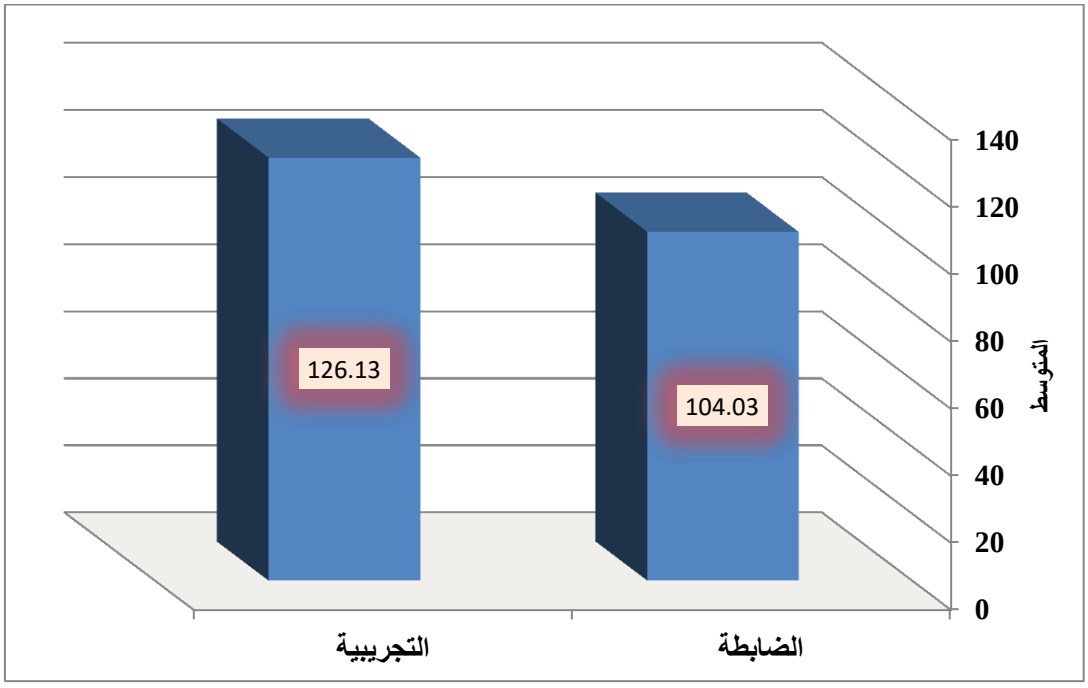

شكل (2) الفروق بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في القياس البعدي لمقياس الانخراط في تعلم الفيزياء.

وتتفق نتيجة هذا البحث مع ما توصلت إليه البحوث والدراسات السابقة، والتي اهتمت بتنمية الانخراط في تعلم الفيزياء، ومنها دراسة كل من: الحارثي (2024)؛ الشرابي (2023)؛ Alzahrani et al. (2022); Zainuddin et al. (2020)، وقد يرجع ذلك إلى:

– ساهم دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الإجابة عن أسئلة المتعلم، وخلق قدر كبير من دافعية تعلم الفيزياء، وانعكس إيجاباً على نشاط، وتحفيز المتعلم في تنفيذ أنشطة التجارب العملية، ووجود رغبة ملحة في عبور التحديات العلمية التي تواجههم.

– ساعد دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في إضافة طبقات من المعلومات الافتراضية المرتبطة بالفيزياء؛ مما يعزز عملية اكتساب المحتوى المعرفي، والفهم الكامل لمهام أنشطة التعلم المرتبطة بها؛ مما ينعكس إيجابًا على انخراطهم ببيئة التعلم.

– ساعدت المحاكاة الافتراضية للأنشطة العملية في فيزياء التيار الكهربائي، على توضيح وتفسير المفاهيم المجردة، والصعوبات التي تواجههم أثناء التعلم؛ مما ينعكس إيجاباً على ممارسة الأنشطة المعملية، بتوصيل الدوائر الكهربائية، وقياس التيار والجهد، والمقاومة.

– ساهم دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء على التنقل بحرية بين أجزاء المحتوى، ودعم احتياجاتهم المعرفية، وممارستهم للأنشطة العملية، واتجاههم الإيجابي نحوها؛ مما انعكس إيجاباً على انخراطهم المعرفي، والسلوكي، والانفعالي.

– ساعدت المشاركة التعاونية للمتعلمين في دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء، في تعزيز قدراتهم المتنوعة، وانعكاسها الإيجابي على بناء أهداف مرحلية، وتحقيقها في ضوء انخراطهم في التعلم.

– ساعد دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء على تحفيز الطلاب نحو استكمال مهام التعلم، وتعزيز رضاهم الذاتي عن أنفسهم.

التوصيات:

<u>في ضوء ما أسفر عنه البحث الحالي من نتائج يوصى بما يلي:</u>

– تعميم نتائج البحث الحالي على طلبة الصف الثالث المتوسط بالعراق بالتعليم العام والخاص.

– دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء بالمرحلة المتوسطة بالعراق.

– تطوير البنية التحتية لتناسب دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء بالمرحلة المتوسطة.

– تطوير مناهج الفيزياء في ضوء دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء بالمرحلة المتوسطة.

– الاهتمام بتنمية المهارات العملية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من خلال دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم الفيزياء.

– الاهتمام بتنمية الانخراط في تعلم الفيزياء لدى طلاب المرحلة المتوسطة من خلال دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليمها.

المقترحات:

في ضوء ما توصل إليه البحث الحالي تقترح الباحثة تنفيذ الدراسات الآتية:

– دراسة الكفايات التقنية لمعلمي الفيزياء لدمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التدريس بالمرحلة المتوسطة.

– تطوير منهج الفيزياء بالمرحلة المتوسطة في ضوء تطبيقات الذكاء الاصطناعي؛ لتنمية المهارات المخبرية والانخراط في التعلم.

– فاعلية التعليم المدمج القائم على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات القرن الحادي والعشرين، والاتجاه نحو تعلم الفيزياء لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

أبو النصر، مدحت محمد. (2020). سلسلة المدرب العملية: لغة الجسم. مصر: مجموعة النيل العربية طباعة نشر توزيع.

أبو عصر، رضا مسعد، ومحمود، نجلاء محمود. (2015). المعمل الافتراضي: مدخل مقترح لتوظيف التابلت في تنمية المهارات العملية في الرياضيات بالمرحلة الثانوية. المؤتمر العلمي السنوي الخامس عشر: تعليم وتعلم الرياضيات وتنمية مهارات القرن الحادي والعشرين، 150 - 175.

أبو موسى، مفيدة أحمد، والصوص، سمير عبد السلام. (2014). التعليم المسبق (المتمازج): بين التعليم والتدريب الإلكتروني. مصر: الأكاديميون للنشر والتوزيع.

احطوب، يافا أحمد، وخطايبة، عبد الله محمد. (2023). أثر تدريس وحدة علوم وفق منهج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعزيز مهارات التواصل العلمي لدى طلبة الصف الثامن الأساسي في الأردن. العلوم التربوية، 31(3)، 527 - 548.

أحمد، أبو السعود محمد. (2003). التدريس التشاركي، الموسوعة التربوية لتدريب المعلمين بالمدارس ذات الفصل الواحد (ج2). القاهرة، مصر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

جابر، وليد أحمد. (2011). طرق التدريس العامة تخطيطها وتطبيقاتها التربوية(ط5). عمان: دار الفكر.

جعفر، أنوار حسن. (2024). أثر استخدام استراتيجية التعلم المقلوب في التحصيل الدراسي وبعض مهارات التفكير المنتج في الفيزياء لدى طلاب المرحلة المتوسطة بالعراق. مجلة إبداعات تربوية، (29)، 209 - 239.

الحارثي، ماجد بن عبد الله. (2024). أثر استخدام الواقع المعزز التحفيزي في تنمية الانخراط في التعلم وجودة الحياة التعليمية لدى طلاب الصف العاشر بمقرر الفيزياء. المجلة الدولية للأبحاث التربوية، 48(2)، 54 - 113.

الحلواني، ياسين محمد. (2018). الدليل في الفيزياء: الجيوفيزياء البيئية والفيزياء الحيوية. مصر: دار العلم والايمان للنشر.

الدوري، ابتهال قاسم، ونعمان، رويدة الزين. (2023). دور التعليم التكنولوجي في إثارة الدافعية لدى المتعلمين في مادة الفيزياء. أوراق ثقافية: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 5(27)، 153 - 176.

رزوقي، رعد، وإبراهيم، حيدر، وداود، وضمياء. (2022). كتاب التدريس وأهدافه. مصر: دار الكتب العلمية.

الركابي، عباس جواد عبد الكاظم. (2023). مستوى توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي عند تدريس مادة الفيزياء للمرحلة الثانوية من وجهة نظر المدرسين والمدرسات ومشرفيهم التربويين. مجلة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية، 6(3)، 96 - 114.

زيتون، حسن حسين. (2005). رؤية جديدة في التعليم "التعلم الإلكتروني": المفهوم – القضايا - التطبيق – التقييم. الرياض: الدار الصولتية للتربية.

زيتون، عايش محمود. (2010). الاتجاهات العالمية المعاصرة في مناهج العلوم وتدريسها. مصر: دار الشروق للنشر والتوزيع.

سرايا، عادل السيد، وصالح، صالح أحمد. (2010). تصميم نموذج مقترح لمعمل تعليمي إلكتروني مدمج في الفيزياء لتنمية بعض المهارات العملية في ضوء معيار الاقتصاد في التكلفة والفاقد في الخبرات. مجلة بحوث التربية النوعية، 17، 70 - 96.

شبيب، عادل كامل. (2017). صعوبات تطبيق الاتجاهات الحديثة لتدريس مادة الفيزياء في المدارس الثانوية لمحافظة بغداد من وجهة نظر مدرسي ومدرسات الفيزياء. مجلة البحوث التربوية والنفسية، (52)، 471 - 490.

شتيوي، عبد الله (2019). التعليم العالي. الأردن: دار اليازوري العلمية.

الشرابي، هبه نور الدين. (2023). استخدام نموذج SAMR عبر منصة ميكروسوفت تيمز "Microsoft Teams" لتنمية التحصيل والانخراط في التعلم والاتجاه نحو التكنولوجيا لدى الطلاب المعلمين شعبة الفيزياء بكلية التربية. مجلة كلية التربية، 34(135)، 217 - 286.

صالح، جمال وهبه، وحسن، عبد المنعم أحمد، والمقدم، محمد محمد. (2023). فاعلية المختبرات الافتراضية في تنمية المهارات العملية بوحدة الكهرباء التيارية والكهرومغناطيسية في مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الثالث الثانوي. مجلة التربية، 197(5)، 325 - 368.

طه، محمود إبراهيم، وأبو سالمه، عبد الله عبد الفتاح. (2025). فاعلية تدريس منهج العلوم المطور في ضوء القضايا العلمية الاجتماعية باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي وأثره في تنمية التفكير العلمي والقيم الأخلاقية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية بالأزهر. دراسات في المناهج وطرق التدريس، (266)، 12 - 42.

ظاهر، عقيل أمير. (2020). الصعوبات التي تواجه تطبيق الجودة الشاملة في طرائق تدريس الفيزياء من وجهة نظر المدرسين ومدرسات الفيزياء. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، 20(1)، 211 - 239.

عامر، طارق عبد الرؤوف (2015أ). الخرائط الذهنية ومهارات التعلم: طريقك إلى بناء الأفكار الذكية. الأردن/ المجموعة العربية للتدريب والنشر.

عامر، طارق عبد الرؤوف. (2015ب). برنامج الكورت والقبعات الست للتفكير: بناء الشخصية المبدعة. مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

عبد القادر، رحاب جمال الدين. (2023). وحدة مقترحة في التغيرات المناخية قائمة على التعليم المدمج بمنهج العلوم للمرحلة الابتدائية لتنمية الوعي بالمتغيرات المناخية. مجلة كلية التربية، 34(134)، 592 - 650.

عبد المجيد، أحمد الصادق. (2015). فعالية برنامج تدريبي مقترح قائم على التعلم المتنقل M-Learning في تنمية مهارات الانخراط في التعلم وتصميم وحدات تعلم رقمية لدى معلمي الرياضيات قبل الخدمة، المؤتمر الرابع للتعليم الإلكتروني والتعلم عن بعد "تعلم مبتكر ... لمستقبل واعد"، الرياض، 2-5 مارس، 1-37.

عبد المؤمن، مروة محمود. (2023). برنامج مقترح قائم على بعض أدوات الذكاء الاصطناعي لتنمية الوعي بالتغيرات المناخية لدى أطفال الروضة. مجلة بحوث ودراسات الطفولة، 5(10)، 826 - 888.

العتيبي، فاتن بنت عيد، القحطاني، منى بنت سعيد، العريني، حنان بنت عبد الرحمن بن سليمان، الحربي، مشاعل بنت سرحان، والبلوى، عهود بنت سعد. (2022). دور الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير الناقد والاتجاهات العلمية لدى طالبات الصف الثاني الثانوي في مقرر الفيزياء. مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، 21، 141 - 172.

عريبي، إيناس عبد الله. (2023). تصميم بيئة تعلم قائمة على تقنيات الواقع المعزز لتنمية التحصيل الدراسي والانخراط في تعلم العلوم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة المناهج المعاصرة وتكنولوجيا التعليم. 4(4)، 1 - 34.

عطيو، محمد نجيب. (2006): طرق تدريس العلوم بين النظرية والتطبيق. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.

عطيو، محمد نجيب. (2013). المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

عفيفي، يسري عفيفي، ونجيب، غادة محمود. (2014). فعالية برنامج مقترح في الفيزياء قائم على التطبيقات المهنية في تنمية التحصيل والمهارات العملية لدى طلاب المعاهد الفنية الصناعية. العلوم التربوية، 22(3)، 549 - 578.

عموش، علاء أحمد. (2024). فاعلية التدريس باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية عمق المعرفة والميل نحو استخدامها في تعلم العلوم لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي. المجلة المصرية للتربية العلمية، 27(4)، 45 - 97.

العنزي، عهود بردي، والشيخ، أسماء بنت عبد الرحمن. (2024). واقع توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي لدى معلمات العلوم بالمرحلة المتوسطة في محافظة الخرج. مجلة كلية التربية، (115)، 99 - 148.

غريب، نورا إبراهيم (2013): فاعلية نموذج التعليم البنائي في تنمية التفكير الاستدلالي والمهارات العملية في مادة الاقتصاد المنزلي (رسالة ماجيستير غير منشورة). كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة المنوفية.

الفار، إبراهيم عبد الوكيل. (2012). تربويات القرن الحادي والعشرين – تكنولوجيا ويب 2,0. مصر: الدلتا لتكنولوجيا الحاسبات.

قديس، شيرين مرقس. (2023). فاعلية وحدة مقترحة في العلوم قائمة على استراتيجية عباءة الخبير في تنمية الوعي بالتغيرات المناخية لدى طلاب المرحلة الإعدادية. مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، 17(14)، 108 - 162.

القطاونة، إيمان محمد. (2020). فعالية برنامج قائم على التعليم المدمج في تنمية مهارات التعلم الذاتي في مادة الفيزياء دراسة تطبيقية على طلبة المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية في محافظة الكرك. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 4(9)، 95-110.

اللقاني، أحمد حسين، وحسن، فارعة. (2001). مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل. القاهرة: عالم الكتب.

المديرية العامة للمناهج (2023). تطوير مناهج العلوم للمرحلة المتوسطة 2023م. متاحة على الرابط التالي: http://www.manahj.edu.iq/

المهدي، مجدي صلاح. (2023). تعليم جديد لعصر جديد، عصر الذكاء الاصطناعي. مصر: المركز الأكاديمي العربي للنشر والتوزيع.

موسى، عبد الله موسى. وبلال، أحمد حبيب. (2019). الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر. مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Almasri, F. (2024). Exploring the Impact of Artificial Intelligence in Teaching and Learning of Science: A Systematic Review of Empirical Research. Research in Science Education, 54, 977–997.

Alzahrani, F. K. J., Alhalafawy, W. S., & Alshammary, F. M. (2023). Teachers' perceptions of madrasati learning management system (LMS) at Public Schools in Jeddah. Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences (97), 345-363.

Bigatel, P& Williams, V (2015). Measuring Student Engagement in an Online, Online Journal of Distance Learning Administration, 18 (2), 1-15.

Briggs, A, (2015). Ten Ways to Overcome Barriers to Student Engagement Online (Academic Technology: At the College of William and Mary), Retrieved from: http://onlinelearninsconsortium.orz/news item/ten- ways-overcome-barriers-student-enpagement-onlinp.

Camarao, M., Navos, D., Ordoña, M. & Llorente, J. (2024). Teachers difficulty and coping strategies in physics. International Journal of Multidisciplinary Applied Business and Education Research, 5(4), 1384–1389.

Certainly! Here's the APA 7th edition citation for the article you provided:

Chen, J., Zhou, J., Wang, Y., Qi, G., Xia, C., Mo, G. & Zhang, Z. (2020). Blended learning in basic medical laboratory courses improves medical students' abilities in self-learning, understanding, and problem solving. Advances in Physiology Education, 44(1), 9–14.

Copeland, B. (2023). Artificial Intelligence. Encyclopedia Britannica. 11(7), 1-9.

Gregory, S. & Trapani, G. (2012). A Blended Learning Approach to Laboratory Preparation. International Journal of Innovation in Science and Mathematics Education, 20(1), 56-70.

Long, D. (2005) Learning Management Systems (LMS) in encyclopedia of distributed Learning. Thousand oaks, calif: sage, 2004.

Roll, I., & Wylie, R. (2016). Evolution and Revolution in Artificial Intelligence in Education. International Journal of Artificial Intelligence in Education, 26(2), 582–599.

Sanad, F., Aljasim, F., & AlHendal, H. (2021). The effect of an enrichment unit on climate change awareness and basic science process skills among gifted female primary school students. International Journal of Childhood, Counselling, & Special Education (CCSE), 3(1), 32–46.

Skinner, E., Furrer, C., Marchand, G., & Kinderman, T. (2008). Engagement and disaffection in the classroom: Part of a large motivational dynamic?. Journal of Educational Psychology, 100 (4), 765- 781.

Smiley, W. & Anderson, R. (2011). Measuring students' cognitive engagement on assessment tests: A confirmatory factor analysis of the short form of the Cognitive Engagement Scale. Research and Practice in Assessment, 6, 17-28.

Strambler, M., & McKown, C. (2013). Promoting Student Engagement through Evidence-Based Action Research with Teachers. Journal of Educational and Psychological Consultation, 23(2), 87-117.

Tong, D., Uyen, B. & Ngan, L. (2022). The effectiveness of blended learning on students' academic achievement, self-study skills and learning attitudes: A quasi-experiment study in teaching the conventions for coordinates in the plane. Heliyon, 8(10), 1-14.

Tredinnick, L. (2017). Artificial Intelligence and Professional Roles. Business Information Review. 34(1), 37-41.

Zainuddin, Z., Shujahat, M., Haruna, H., & Chu, S. K. W. (2020). The role of gamified e-quizzes on student learning and engagement: An interactive gamification solution for a formative assessment system. Computers & Education, 145(3), 1-8.

الأثر الدلالي في تغاير الألفاظ ضمن التراكيب المتشابهة (دراسة للآيتين 22-23 من سورة الزخرف)

The Semantic Effect of Word Variation in Similar Quranic Verses in Wording: A Study of Verses 22-23 Of Surah Az-Zukhruf

Jumana Khalid Mohammed [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

Arabic is one of the richest and most diverse languages. Its words and structures reflect a spectrum of meanings and connotations. The present study is an attempt to explore "the semantic effect of word variation in similar Quranic verses in wording" based on verses from Surah Az-Zukhruf, specifically verses 22-23 ﴿ بَلْ " وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ and "قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ". Accordingly, it is important to emphasize that every word convey particular connotations, and when the word changes, its meaning or scope may change, too. Az-Zukhruf is a Meccan surah that ranks 62nd in the order of revelation of the Quranic surahs. It was revealed after Surah Fussilat and before Surah Ad-Dukhan. Its verses revolve around doctrinal deviations and their correction, and the return of souls to their innate nature. Similar Quranic verses in wording may carry different meanings depending on the words used. The two verses investigated in this study are similar in wording but different punctuation. The first verse ends with the word "مُهْتَدُونَ," and the second verse ends with the word "مُقْتَدُونَ." The variation is caused by the context, which makes efforts to analyze these differences highly valuable for a deeper understanding of the meanings of the Glorious Qur'an. This study, therefore, examines the linguistic patterns and how different words can create new or reinforced meanings that may be unknown to some readers. Differences found in in similar Quranic verses in wording do not necessarily mean a difference in their basic meaning, but it is the context that distinguishes the intended meaning, and reveals subtle differences between their similar meanings. It is hoped that this study will offer *deeper insights* into linguistic usage contexts and how meanings interact of in the Glorious Qur'an, thereby contributing to the enrichment of linguistic and literary studies.

Keywords: *Sūrat Al-Zukhruf","Parallel Syntactic Structures in The Qur'an","Philological Analysis of Semantically Related Lexemes","Semantic Implications of Qur'anic Context","Variation of Meaning Within The Qur'anic Text.*

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-4

[1] Instructor, College of Education for Women, University of Baghdad, Iraq
jumana.khalid@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

تعد اللغة العربية أكثر اللغات غنًى في الألفاظ، وتنوعًا في المعاني، وتباينًا في الدلالات والمعاني المتفرعة من الألفاظ والتراكيب المستعملة فيها. وتسعى هذه الدراسة إلى استكشاف ((الأثر الدلالي في تغاير الألفاظ ضمن التراكيب المتشابهة)) مستندة إلى آيات من سورة الزخرف وتحديداً الآيتان 22-23 ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾. وفي هذا السياق من المهم التأكيد على أن كل لفظ يحمل في طياته دلالات خاصة، وعند تغير اللفظ يمكن أن يتغير المعنى أو تتسع دائرته.

إن سورة الزخرف سورة مكية تأخذ الترتيب الثاني والستين في ترتيب نزول السور القرآنية، نزلت بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان، ودارت آياتها حول الانحرافات العقائدية وتصحيحها ورد النفوس إلى الفطرة السليمة، والتراكيب المتشابهة قد تحمل معانٍ متباينة بناءً على الألفاظ المستعملة، فقد جاءت الآيتان متشابهتان في الجمل لكنهما اختلفتا في الفاصلة فقد اختتمت الآية الأولى بلفظة (المهتدون) واختتمت الآية الثانية بلفظة (مقتدون)، ومرد ذلك يعود إلى السياق، مما يجعل الجهود في تحليل هذه الاختلافات ذات قيمة عالية لفهم أعمق للمعاني القرآنية.

يتناول هذا البحث دراسة الأنماط اللغوية وكيفية تأثير الألفاظ المختلفة في تقديم دلالات جديدة أو معززة قد تكون خفية على بعض المتلقين، فاختلاف العبارات أو الألفاظ في التراكيب المتشابهة لا يعني بالضرورة اختلاف المعنى الجوهري، لكن السياق هو الذي يفرّق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر، ويُظهر الفروق الدقيقة بين المعاني المتقاربة.

من خلال ذلك، نأمل في تقديم فهم أعمق لسياقات الاستعمال اللغوي وتفاعل المعاني في النص القرآني، مما يسهم في إثراء الدراسات اللغوية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: سورة الزخرف، التراكيب المتشابهة في القرآن، التفسير اللغوي للألفاظ المتقاربة، دلالة السياق القرآني، اختلاف المعنى في النص.

المقدمة:

تعد اللغة العربية أكثر اللغات غنًى في الألفاظ، وتنوعًا في المعاني، وتبايُنًا في الدلالات والمعاني المتفرعة من الألفاظ والتراكيب المستعملة فيها. والقرآن الكريم هو القمَّة في استعمال المعاني والدلالات، ولا شكَّ في كون تعبيرِهِ فريدًا في علوه وسموه، وارتقائه فكل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعًا فنيًا مقصودًا، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآية وحدَها ولا السورة وحدَها بل رُوعي في هذا التعبيرُ القرآنيُ كُلُّهُ (السامرائي، 1987، صفحة 12). فالقرآن هو القمة في البلاغة والفصاحة التي بلغت حدَّ الإعجاز لأمة عرفت بالفصاحة وتفاخرت بها، وكان من إعجازه أن يأتي العربَ بأفصح ما انتهت إليه لغاتهم جميعا ((وإنما سبيل ذلك من لغة قريش. وهذه اللغات وإن اختلفت في اللحن والاستعمال، إلا أنها تتفق في المعنى الذي من أجله صار العرب جميعًا يخشعون للفصاحة من أي قبيل جاءتهم، وهذا المعنى هو مناسبة التركيب في أحرف الكلمة الواحدة. ثم ملاءمتها للكلمة التي بإزائها، ثم اتساق الكلام كله على هذا الوجه)) (الرافعي، 2005، صفحة 58) ، ثمَّ إن من إعجاز لغة القرآن أن الأسلوب واحد في كلِّ آيات القرآن على تنوع معانيها، يقول الرافعي، رحمه الله، ((استوفى القرآن أحسن ما في تلك اللغات [قصد لغات القبائل العربية] من ذلك المعنى، وبان منها بهذه المناسبة العجيبة التي أظهرت على تنوُّعه في الأوضاع التركيبية مظهرَ النوع الواحد، وهي مناسبة معجزة في نفسها، لأن التأليف بين المواد المختلفة على وجهٍ متناسب ممكن، ولكن التأليف بينها على وجه يجمعها ويجمع الأذواق المختلفة عليها كما اتفق القرآن، أمر لا يقول بإمكانه من يعرف معنى الإمكان)) (الرافعي، 2005، صفحة 58)

لكنَّ هذه الفصاحة والبلاغة لم تمنع وجود آيات في القرآن وصفت بأنها متشابهة بها حاجة إلى بيان قال تعالى﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ٧**﴾(آل عمران 7)

أمَّا المحكمات فالبيناتُ واضحات الدلالة، التي لا التباس فيها على أحد من الناس، وأمَّا المتشابهات فالآيات الأُخَرُ التي فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم.... من حيث اللفظ والتركيب (ابن كثير، 1999، الصفحات 2\6-7).

وتسعى هذه الدراسة إلى استكشاف ((الأثر الدلالي في تغاير الألفاظ ضمن التراكيب المتشابهة)) مستندة إلى آيتين من سورة الزخرف هما ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ٢٣**﴾ (الزخرف 22-23) وفي هذا السياق، يبدو أن من المهم توكيدَ كون كُلِّ لفظ يحمل في طياته دلالات خاصة، وعند تغير اللفظ يمكن أن يتغير المعنى أو تتسع دائرته.

فقد جاءت الآيتان متشابهتين في الجمل لكنهما اختلفتا في الفاصلة، فقد اختتمت الآية الأولى منهما بلفظة (مهتدون) واختتمت الأخرى بلفظة (مقتدون)، ومرد ذلك يعود إلى السياق، مما يجعل الجهود في تحليل هذه الاختلافات ذات قيمة عالية لفهم أعمق للمعاني القرآنية.

يتناول هذا البحث دراسة الأنماط اللغوية وكيفية تأثير الألفاظ المختلفة في تقديم دلالات جديدة أو معززة قد تكون خفية على بعض المتلقين، فاختلاف العبارات أو الألفاظ في التراكيب المتشابهة لا يعني بالضرورة اختلاف المعنى الجوهري، لكن السياق هو الذي يفرّق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر، ويُظهر الفروق الدقيقة بين المعاني المتقاربة.

وإني لآملُ أن أسهِمَ من خلال ذلك في إثراء الدراسات اللغوية والأدبية، وتقديم فهم أعمق لسياقات الاستعمال اللغوي وتفاعل المعاني في النص القرآني.

التمهيد

- **تعريف بسورة الزخرف:**

سورة الزخرف سورة مكية هي السورة الثانية والستون في ترتيب نزول السور، كان ترتيب نزولها بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان وسُميت بالزخرف؛ لاختصاصها بورود كلمة (زخرف) دون غيرها من السور (ابن عاشور، 1984، صفحة 25\157)، أو ((لما فيها من التمثيل الرائع -لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع- بالزخرف اللامع، الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة)) (الصابوني،د.ت، صفحة 3\150). وتناولت السورة الموضوعات الآتية (الصابوني،د.ت.، صفحة 3\149؛ قطب، 2003، صفحة 3178):

- أسس العقيدة الإسلامية وأصول الإيمان.
- إثبات مصدر الوحي، وصدق القرآن، الذي أنزله الله على نبيه بأفصح لسان.
- دلائل قدرته تعالى ووحدانيته، موجودة في الكون الفسيح، وفي السماء والأرض والجبال، إلخ.
- تناولت السورة ما كان عليه المجتمع الجاهلي من الخرافات والوثنيات فقد كانوا يكرهون البنات.
- تحدثت عن دعوة النبي إبراهيم عليه السلام، الذي يزعم المشركون أنهم يتبعون ملته.
- فند تصورات الكافرين الزائفة التي يقيسون بها الرجال، وحكى عن تصوراتهم وأقوالهم ورد عليها ببيان القيم الحقيقية في مقابل القيم التي يؤمنون بها هم. وأكد ذلك بقصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون، التي يظهر فيها فرعون معتزا بمثل تلك القيم الزائفة، وكيف هان فرعون وهانت قيمه معه.

- **تعريف المصطلحات التي يدور حولها البحث، وهي (المتشابه والتركيب والدلالة) لغة واصطلاحًا:**

1. (المتشابه):

(المتشابه) لغةً: من (الشَّبَه)، الدال في أصلِهِ (ش بَ ه) على تشابُه الشيء وتشاكُلِه لونًا ووصفا. يقال شِبْهٌ وشَبَهٌ وشَبيهٌ، هذا شِبْهُهُ، أي شَبِيهُهُ، وبينهما شَبَهٌ، والجمع مَشَابِه على غير قياس، ...والشُّبْهَةُ: الالتباسُ. والمُشتَبِهاتُ من الأمور: المُشْكِلاتُ، والمُتَشَابِهَاتُ: المُتَماثِلاتُ (ابن فارس، 1979، صفحة 3/ 243 ؛ الجوهري، 2005، صفحة 5\1789)، ((وشُبِّهَ عليه الأمرُ تَشْبيهًا لُبِّسَ عليه وفي القُرآن المُحكَمُ والمُتَشابِهُ)) (الفيروزابادي، 1987، صفحة 4\286).

(المتشابه) اصطلاحًا: عرفه الزركشي بقوله:((وأما المتشابهُ فأصلهُ أن يشبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني)) (الزركشي، 1984، صفحة 2\69)، وقال عنه السيوطي هو:((إيراد القصة الواحدة في صور شتَّى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدّمًا، وفي آخر مؤخَّرًا،...، أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها،.....،أو في موضع معرّفًا وفي آخر منكَّرًا، أو مفردًا وفي آخر جمعًا، أو بحرف وفي آخر بحرفٍ آخر، أو مدغمًا وفي آخر مفكوكًا)) (السيوطي، 2002، الصفحات 2\995-996)، وقد خصه الجرجاني في التعريفات بالحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية (الجرجاني، 2004، صفحة 167).

أما هذا البحث فهو يختص بـ(المتشابه اللفظي) وهو ما تكرر من الألفاظ في آيات القرآن بنوع من التبديل والتغيير في الألفاظ (الصامل، 2001، صفحة 13)، ويعتمد في بيان دلالة هذه الألفاظ على سياق الآية أو القصة ليكشف عن الغموض والالتباس، الواقع فيما تشابه من ألفاظ القرآن الكريم (برحمون، 2017، صفحة 37).

2. (التركيب):

(التركيب) لغةً: من (الركوب) الدالّ في أصله (ر، ك، ب) على ((علُوُّ شيءٍ شيئًا. يقال رَكِب رُكوبًا يَرْكَب)) (ابن فارس، 1979، صفحة 2\4)، والتركيب هو ((تركيب الفَصّ في الخَاتَمِ والنَّصْلِ في السَهْمِ: رَكَّبْتُهُ فَتَرَكَّبَ فهو مُرَكَّبٌ ورَكِيبٌ)) (الجوهري، 2005، صفحة 1\126)، وقيل ((رَكَّبَه تَركيباً وَضَعَ بَعضَه على بَعضٍ فَتَرَكَّبَ وتَراكَبَ)) (الفيروزابادي، 1987، صفحة 1\76).

(التركيب) اصطلاحًا: جاء في التعريفات أن التَّركيب مثل التَّرتيب لكنَّ أجزاءهُ لا تُنسَبُ على بعضٍ تَقدُّمًا وتأخُّرًا، أو هو جمع الحروف البسيطة لتكوين الكلمة (الجرجاني، 2004، صفحة 51). جاء في معجم المصطلحات الألسنية مصطلح (تركيبي، تتابعي) وهو صفة لعناصر لغوية تتابعت واحدًا بعد الآخر لتكوّن وحدة أعلى: مثال ذلك الوحدات الصوتية تُكوِّن بتتابُعِها وحدةً صرفية، والوحدات الصرفية تكوِّن كلمةً والكلماتُ تكوِّن جملةً (مبارك، 1995، صفحة 282)

3. (الدلالة):

(الدلالة) لغة: من (الدلّ) الدَّال في أحد أصليه (دلّ) على إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها، ... يُقالُ: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء، والدَليلُ: الدَالُّ، وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلاَلَةً ودِلاَلَةً ودُلُولَةً- والفتح أعلى (ابن فارس، 1979، صفحة 2\259؛ الجوهري، 2005، صفحة 4\1390).

أما في الاصطلاح فالدلالةُ ((هي كون الشَّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشّيء الأوّل هو الدَّال، والثاني هو المَدلول، .....، والدَّلالة اللَّفظية الوَضعية: هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تُخيِّلَ فُهم منه معناه للعلم بوضعه)) (الجرجاني، 2004، الصفحات 91-92؛ الانصاري، 1991، صفحة 79). نفهم مما سبق أن الدلالة تعني الإبانة عن معنى أو قصد معين، وذلك عن طريق الاستدلال على المعنى المجهول بالشّيء المعلوم (برحمون، 2017، صفحة 15)، وهو في هذا شبيه بالمعنى اللغوي.

و(علم الدلالة) عرَّفه معجم المصطلحات الألسنية بأنه العلم الذي يدرس اللغة من حيث إنها كلمات تدل على معاني، ويدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، وتطور معاني الكلمات تاريخيًا، فضلًا عن أنه يدرس المعاني، والمجاز اللغوي والعلاقات بين الكلمات في اللغة الواحدة (مبارك، 1995، صفحة 258).

- **الدراسات السابقة:**

لقد حظيت الآيات المتشابهة ضمن علم المتشابه القرآني على اهتمام القرَّاء والمفسرين والدارسين قديمًا وحديثًا، يقول السيوطي: ((أفرده بالتصنيف خلق، أولهم ـ فيما أحسب ـ الكسائي، ونظمه السخاويُّ، وألف في توجيهه الكرماني كتابه: [البرهان في متشابه القرآن] وأحسن منه [درَّة التنزيل وغرَّة التأويل] لأبي عبد الله الرازي، وأحسن من هذا [ملاك التأويل] لأبي جعفر بن الزبير)) (السيوطي، 2002، صفحة 2\995).

وتعدُّ دراسة متشابه القرآن من الموضوعات المشتركة بين تخصص اللغة العربية وعلوم القرآن والتفسير.

وقد اطلعت أثناء تحضيري لمادة هذا البحث على عدد من الكتب التي عنيت بدراسة المتشابه، تنوع أسلوبها بين إيراد الآيات المتشابهة وتأكيد الفروق الموجودة بينها لمساعدة من يحفظ القرآن على تذكر الآيات، مع بيان وجه اختيار الكلمة في الآية، منها:

- كشف المعاني في المتشابه المثاني، تأليف أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن جماعة.

- تحصيل نظائر القرآن، تأليف الحكيم الترمذي

- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، الدكتور محمد بن علي بن محمد الصّامل.

ومن الدراسات الحديثة التي اهتمت بدراسة متشابه القرآن:

- دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية- أطروحة دكتوراه في تخصص علم الدلالة تقدمت بها الطالبة (برحمون، فاطمة الزهراء) إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب واللغات والفنون في جامعة جيلالي ليباس/ سيدي بلعباس في الجزائر2017.

- دلالة السياق في النص القرآني- رسالة ماجستير تقدم بها (علي حميد خضير) إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب والتربية في الأكاديمية العربية في الدنمارك 2014.

- أثر السياق القرآني في تغيير دلالة الألفاظ-م. عبد الكريم خالد عناية و م. حسام أحمد هاشم –بحث منشور في مجلة آداب البصرة / العدد 69 لسنة 2014.

المبحث الأول

التحليل اللغوي

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ٢٣﴾ (الزخرف 22-23)

جاءت الآيتان (22-23) من سورة الزخرف بأسلوب متشابه فقد تكررت فيهما جملة (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم) لكن مع فاصلتين مختلفتين إذ كانت الفاصلة الأولى لفظة (مُّهْتَدُونَ)، وكانت الفاصلة الثانية لفظة (مُّقْتَدُونَ) واللفظتان جاءتا على نسق واحد وعلى وزن واحد وصيغةٍ واحدةٍ هي صيغة اسم الفاعل المجموع جمعًا مذكرًا سالمًا على وزن (مُفْتَعُون) (عمر، 2001، صفحة 367،463)، وجاءت لفظة (أُمَّةٍ) مكرَّرة أيضًا في الآيتين.

وسنعرض للمعنى اللغوي لكلا اللفظتين (مهتدون، مقتدون)، ثم نعرِّج بعد ذلك على لفظة (أُمَّة).

1. معنى (مهتدون):

لفظة(مهتدون) جذرها الثلاثي (هَدَيَ) وإن كانت قد اشتقت من الجذر الخماسي (اهتدى) الدال على المطاوعة (رضا، 1958، صفحة 5\615)، فـ ((الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان أحدهما التقدُّم للإرشادِ، ... فالأول قولُهم: هديته الطَّريق هِدايةً، أي تقدَّمتُه لأرشدَه. وكلُّ متقدِّمٍ لذلك هادٍ)) (ابن فارس، 1979، صفحة 6\42)، جاء في الصحاح ((الهُدَى: الرشادُ والدلالة، ....، يقال: هداهُ الله للدين هُدى؛ وقوله تعالى **﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُم..﴾** (السجدة26) قال أبو عمرو بن العلاء: أَوَ لَم يُبَيِّن لهم. وهديتُهُ الطَّريق والبيت هِدايَةً، أي عرفته- هذه لغة أهل الحجاز؛ وغيرهم يقول: هديتُه إلى الطريق وإلى الدار، حكاها الأخفش. وهدى واهتدى بمعنىً)) (الجوهري، 2005، صفحة 5\2008)،

قال الراغب: ((الهدايَةُ دلالةٌ بلطف، ومنه الهَدِيّةُ وهَوادي الوَحشِ أي متقدماتها الهاديةُ لغيرها)) (الراغب الأصفهاني، د.ت، صفحة 563)، وقد خُصَّ كل ما جاء دالاً على الإرشاد بـ(هديتُ)، يقال: هديته إلى ضالته أي أوصلته إليها، وكل ما جاء دالاً على العطاء بـ(أهديت) (الراغب الأصفهاني، د.ت، صفحة 563؛ السمين الحلبي، 1996، صفحة 4\244).

مما سبق يمكن أن نقول: إنَّ المعنى العام أو ما سُمِّيَ بـ(المعنى المحوري) للفظة (هدي) هو تبيين الوجهة بالتقدم أو الكشف كما تتبين الوجهة من اتجاه أعناق الخيل ومن اتجاه الفرس أوائل الخيل والإبل، كما يطلق على نصل السهم؛ لأنه أول شيء يصل منه إلى هدفه، كما يطلق على الصخرة الناتئة في الماء اسم (الهادية) لأن بها يهتدى في البحر (جبل، 2010، صفحة 2293؛ الصغاني، 1970، صفحة 6\535)، وقد خُصَّ (اهتدى) الذي على وزن (افتعل) بمعنى استجاب للإرشاد والحق وأقام على الطاعة، واسم الفاعل (مهتدي) بمعنى طالب للهدى ، مستجيب للإرشاد و الحق، والذي جاء في الآية صيغة اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم (عمر، 2001، صفحة 463).

2. معنى(مقتدون):

لفظة (مقتدون) جذرها الثلاثي (قدو) وقيل (قَدَا) و(قَدَى يَقدِي) و(قَدِيَ يَقْدَى) (ابن فارس، 1979، صفحة 5\66؛ الجوهري، 2005، صفحة 5\1957)، اشتقت من الجذر الخماسي (اقتدى) (عمر، 2001، صفحة 367)، فـ ((القاف والدال والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلّ على اقتباسٍ بالشيء واهتداء، ومقادرةُ في الشيء حتى يأتي به مساوياً لغيره. من ذلك قولهم: هذا قِدى رُمحٍ، أي قيسهُ. فلان قـُدوةٌ: يُقتدى به. ويقولون: إنَّ القَدوَ: الأصل الذي يتشعَّب منه الفروع)) (ابن فارس، 1979، صفحة 5\66؛ الجوهري، 2005، صفحة 5\1957)، و((القَدوُ: القُدوم من السفر، والقَدْو: القرب...وأَقْدَى: إذا استوى في طريق الدين. وأقدى: إذا أسن وبلغ الموت)) (الصغاني، 1970، صفحة 6\491)، والقُـدوة (بضم القاف أو بكسرها) اسم للاقتداء ومعناه الاتباع (السمين الحلبي، 1996، صفحة 3\285)، ((ومنه الاقتداء بإمام الصلاة، وذلك بأن يتَّبع أفعاله فلا يتقدم عليه ولا يتأخرُ عنه ولا يزيد عليه ولا ينقص عنه)) (السمين الحلبي، 1996، صفحة 3\285).

مما سبق يمكن أن نقول: إنَّ المعنى العام أو ما سُمِّي بـ(المعنى المحوري) هو الانجذاب إلى الشيء واتباعه لاستطابته أو أصالته: كالرائحة الطيبة من الطعام والمسك تجذب من يشمها إلى مصدرها، وكالإسراع في السير فيصل أولًا ويتبعه غيره، وما كان قولهم (تقدَّت به دابته) إلا وصفًا لالتزامها بخط السير في الطريق، وجاء الوصف بأن فلانًا أقدى: ويقصد بها أنه أسنّ، (يقصد بأنه أكبر عمرًا وخبرة لذا يقتدى به)، ومنه جاء استعمال لفظة (القُدوة)- بالضمّ والكسر بمعنى الاستنان والاتباع حتى تكون امتدادًا له حبًّا له؛ لأنَّ الاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله، فهم يتبعون آثاره في كلّ ما يفعل (جبل، 2010، صفحة 1742). والذي جاء في الآية صيغة اسم الفاعل المجموع جمع المذكر السالم فـ(مقتدون) بمعنى متَّبِعون (عمر، 2001، صفحة 367).

3. معنى (أُمَّة):

لفظة (أُمّة) جذرها (أمّ) فهي من الجذور الثلاثية التي يكون أحد حروفها مكرّرًا، من الألفاظ التي لها أكثر من معنى يختلف معناها باختلاف السياق الذي ترِدُ فيه، جاء في مقاييس اللغة ((أمّا الهمزة والميم فأصل واحدٌ، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة، وهي القامة، والحين، والقصد، ....، قال الخليل: كلُّ شيءٍ يُضَمُّ إليه ما سواه مما يليه فإنَّ العَرَب تسمِّي ذلك أُمَّ)) (ابن فارس، 1979، صفحة 1\22). وأمُّ الشيء: أصلهُ، ومنه الأمُّ الوالدة والجمع أُمَّاتٌ وأُمَّهات، والأُمُّ: العَلَمُ الذي يتبعه

الجيش، ويطلق على رئيس القوم: أُمُّهم (الجوهري، 2005، صفحة 4\1515؛ الفيروزابادي، 1987، الصفحات 4\75-76).

مما سبق يمكن القول بأن المعنى العام أو ما سُمِّي بـ(المعنى المحوري) هو تضامُّ الاشياء وتجانسها في حيز، فالعرب تُسمِّي كل ذلك أُمًّا، فالأُمُّ لكلِّ شيءٍ هي المجمَعُ والمَضَمُّ (جبل، 2010، صفحة 2011).

وكان ابن قتيبة (ت 276هـ) قد عدَّها من الألفاظ المشكلة في القرآن، إذ وردت هذه اللفظة فيه (50) مرةً، ولذا فهي معدودة من الألفاظ ذات الوجوه، تنوعت معانيها اعتماداً بتنوع السياقات التي وردت فيها، وأخذت مكانها في كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إذ أوردت لها أكثر من (13) وجهاً على النحو الآتي:

1. أُمَّة بمعنى (عُصبَة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ** ١٢٨﴾، وقوله تعالى: ﴿**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ** ١١٣﴾ (آل عمران 113)

2. أُمَّة بمعنى (الصنف أو الخلق)، من ذلك قوله تعالى ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ (الانعام38).

3. أُمَّة بمعنى (مِلّة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** ٢١٣﴾ (البقرة 213)

4. أُمَّة بمعنى (الحين أو المدة الطويلة التي تستغرق ربما سنين معدودة، وقيل النسيان)، من ذلك قوله تعالى:﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ (يوسف45)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ**﴾ (هود8).

5. أُمَّة بمعنى (الإمام الرباني) الذي يقتدي به الناس وتجتمع فيه خصال الخير التي لا تجتمع إلا بأُمَّة، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ (النحل120).

6. أُمَّة بمعنى (الجماعة من العلماء)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران104).

7. أُمَّة بمعنى (الدِّين)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ**﴾ (الزخرف22و23).

8. أُمَّة بمعنى (القوم)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** ٩٢﴾ (النحل92)

9. أُمَّة بمعنى (الأمم الخالية من الكفار وغيرهم)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ** ٤٧﴾ (يونس47)، وقوله تعالى: ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا**﴾ (الحجر5)

10. أُمَّة بمعنى (أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم)، والمسلمين خاصّة، من ذلك قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ١١٠﴾ (آل عمران110)، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ١٤٣﴾ (البقرة143)

11. أُمَّة بمعنى (الكفار من قوم النبي صلى الله عليه وسلم)، وذلك لقوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ** ٣٠﴾ (الرعد30)

12. أُمَّة بمعنى (الطريقة أو السُّنة)، في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** ٢٣﴾ (الزخرف23)

13. أِمَّة بمعنى (النعمة)، في قراءة من قرأها بالكسر في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ٤٥**﴾ (يوسف45)

وهي -أي (أُمَّة)- بهذا تعدُّ من الألفاظ ذات الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، فقد وردت عند مقاتل بن سليمان (ت150ه) على تسعة أوجه (مقاتل،2011، الصفحات 53-56)، وعند ابن قتيبة (ت276ه) على خمسة أوجه (ابن قتيبة، 2006، صفحة 415)، وعند الحيري النيسابوري (ت430ه) على سبعة أوجه (النيسابوري، 1996، صفحة 50)، وعند الدامغاني (ت478ه) على تسعة أوجه (الدامغاني، د.ت، الصفحات 100-101)، وعند ابن الجوزي (ت597ه) على خمسة أوجه (ابن الجوزي، 1984، الصفحات 142-144)، وفي معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم على ثمانية أوجه (حامد عبد الهادي و نشأت صلاح الدين حسين ، 2012، الصفحات 1\69-73)

وقد فُسِّرت لفظة (أمَّة) الواردة في الآيتين (22-23) من سورة الزخرف، مدار بحثنا هذا، في كلٍّ منهما بمعنى يختلف عن الآخر، ففي الآية22 فُسِّرت بمعنى الدّين، وفي الآية 23 فُسِّرت بمعنى الطريقة، وهو ما سنوَضِّحُهُ في مبحث الدراسة الدلالية.

- **إعراب الآيتين (22-23) من سورة الزخرف:**

الإعراب هو: بيان المعاني باستعمال القواعد النحوية عند الحاجة إليها، فهو فرع المعنى عن علماء اللغة، وفي القرآن معانٍ كثيرة يتوقف فهمها على إعراب ألفاظها. فيمكن الوقوف على المعنى المراد على وجه التحديد أو التقريب بالاعتماد على الإعراب (زقزوق و آخرون، 2003، صفحة 573).

من أجل ذلك سنعرب الآيتين (22-23) من سورة الزخرف محلّ البحث (القرطبي، 2006، صفحة 3\18؛ ابن عاشور، 1984، صفحة 25\187؛ الدرويش، 2003، صفحة 7\77؛ الدعاس وآخرون، 2004، صفحة 197):

﴿**بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾

بل: حرف عطف وإضراب متعلق بالآيات السابقة.

قالوا: فعل ماضٍ مبني على الضم و(الواو) ضمير متّصل مبني في محل رفع فاعل للفعل (قال).

إنَّا: هي (إنَّ) المشبهة بالفعل واسمها الضمير المتصل (نا).

وجَدنا: فعلٌ ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بالضمير(نا)، و(نا) ضمير متصل مبني على السكون في محلٍّ رفع فاعل

آباءنا: (آباءَ) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف، والضمير(نا) ضمير متصل مبني في محلّ جرٍّ بالإضافة، والجملة في رفع خبر (إنَّ)

على: حرف جر

أمَّةٍ: اسم مجرور وعلامة جرّه الكسرة، والجملة في محلّ نصب (مقول القول)

و: حرف عطف

إنَّا: هي (إنَّ) المشبهة بالفعل واسمها الضمير المتصل (نا).

على: حرف جر

آثارهم: (آثارِ)اسم مجرور وعلامة جره الكسرة وهو مضاف والضمير المتصل (هم) في محلٍّ جرٍّ بالإضافة، وشبه الجملة من الجار والمجرور متعلقان بخبر(إنَّ).

مهتدون: خبر إنَّ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة، والجملة معطوفة على جملة **(إنا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ)**

و: الواو حرف عطف أفاد الاعتراض.

كذلكَ: الكاف حرف جر، و(ذلك) اسم إشارة مبني على الفتح في محلٍّ جرٍّ بحرف الجر، وشبه الجملة متعلقة بـ(قال مترفوها) قدمت للاهتمام والتشويق لما يرد بعد اسم الإشارة.

ما: ما نافية

أرسلنا: فعل ماضٍ مبني على السكون، و(الواو) ضمير متصل مبني في محلَّ رفع فاعل.

من: حرف جر

قبلك: (قبلِ) اسم مجرور بحرف الجر وعلامة جرّه الكسرة وهو مضاف، و(الكاف) ضمير متّصلٌ مبني في محلٍّ جرٍّ بالإضافة وشبه الجملة من الجار والمجرور متعلقة بالفعل أرسلنا.

في: حرف جرٍّ

قريةٍ: اسمٌ مجرور بحرف الجرّ وعلامة جرّه الكسرة، وشبه الجملة من الجار والمجرور متعلقة بالفعل أرسلنا.

من: من حرف جرٍّ زائد للتوكيد

نذيرٍ: اسم مجرور لفظاً في محلٍّ نصب مفعول به لأرسلنا.

إلَّا: أداة استثناء وحصر.

قال: فعل ماضٍ مبني على الفتح

مترفوها: (مترفو) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة حذفت نونه للإضافة، والهاء ضمير متصل مبني في محلٍّ جرٍّ بالإضافة، والجملة في محلٍّ نصب حال لورود أداة الاستثناء قبله، والاستثناء هنا من أحوال مقدرة.

إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مقتدون: جملة مقول القول وهي جملة مكررة وتعرب نفس الإعراب السابق.

فابتداء الآيتين بحرف العطف الدال على الإضراب فيه دلالة على أن فساد قولهم وكذبهم فيما يقولون ويعتقدون، ويدلُّ على ذلك إيراد اسم الإشارة وأداة الحصر فيه إشارة إلى أن هذا الكلام قد تكرر سابقاً من الأمم السابقة في سبب الازدهاء وهو ماهم فيه من الترف والنعمة حتى نسوا الله، فوصفُ الكافرين من قوم النبي صلى الله عليه وسلم أنفسهم بما جاء على لسان الكافرين من الأمم السابقة ووصفهم لأنفسهم بأنهم مهتدون بآبائهم كما قال

السابقون عن أنفسهم بأنهم مقتدون بآبائهم، وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلَّم وإشارة إلى أنه لقيَ من قومه نفس ما لقيَ الرّسلُ من قبله (ابن عاشور، 1984، الصفحات 25\187-189).

المبحث الثاني

التحليل الدلالي للألفاظ المتغايرة ضمن التراكيب المتشابهة

الألفاظ المتغايرة هنا لفظتا (مهتدون) و(مقتدون) اللتان وردتا فاصلتين للجملة نفسها في الآيتين ﴿**إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم**﴾، ولنعرف سبب اختيار كل لفظة منهما، لابدَّ أن نعرف سياق الآيات السابقة والتي تلتها.

فقد جاءت لفظة (مهتدون) في قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ بصيغة اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم الذي جاء في الآية وصفًا وصف به الكافرون أنفسهم في اعتقادهم بأن الملائكة بنات الله، وأنهم بهذا متّبعون لما كان يؤمن به آباؤهم، وقد سبقت هذه الآية آيات تبين

كذب أسطورة أن الملائكة بنات الله قال تعالى ﴿**وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ * أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ * وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾(الزخرف 15-22)

فنجد في الآيات كيف أن القرآن عالج هذه الأسطورة وهي اتخاذهم الملائكة آلهة، لأنهم يزعمون أنَّ الملائكة بنات الله ـ وهم عباد الله ـ بمواجهة هذه الأسطورة بتصوير سخفها وتفاهتها، وبيان مقدار ما في كلامهم هذا من دلائل على كفرهم الصريح، فاعتقاد كفار العرب بأن الملائكة ـ الذين هم أكمل العباد أكرمهم على الله إناثًا، رغمَ أنفتهم من أن يبشَّر أحدهم بالأنثى، وكان منتهى الاستخفاف والاستهزاء بهم أن سألهم على سبيل الاستهزاء بقوله(أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ)، فكيف لهم ذلك، وكذَّبهم كذلك بزعمهم أن الله أراد منهم عبادتها وأنهم ما عبدوها إلا بمشيئته، وطالبهم بدليل منه يكون قد أعطاهم إياه، وقد نفى أن يكون قد أنزل عليهم كتاب قبل القرآن، وهم برغم هذا متمسكون بدين آبائهم ويعتقدون أنهم مهتدون (أبو حيان، 1993، صفحة 8\10؛ أبو السعود، د.ت، صفحة 5\79؛ قطب، 2003، صفحة 3181؛ الصابوني، د.ت.، صفحة 3\153).

إنَّ لفظة (مهتدون) اشتقت من الجذر الخماسي (اهتدى) على وزن (افتعل)الدال على المطاوعة، وقد خُصَّ أيضًا بمعنى الاستجابة للإرشاد، أما اسم الفاعل (مهتدي) فهو طالب الهدى ، المستجيب للإرشاد، و قد جاء في الآية بصيغة اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم (رضا، 1958، صفحة 5\615؛ عمر، 2001، صفحة 463) ، ولقد كان وصفهم لأنفسهم بأنهم مهتدون متفقًا مع رؤيتهم لمعتقداتهم؛ لأن الاهتداء ((يختصُّ بما يتحراه الإنسان عن طريق الاختيار،... ويقال أيضًا: اهتدى إذا طلب الهداية)) (السمين الحلبي، 1996، صفحة 4\246) ، أي أن اعتقادهم بما كان يعبد آباؤهم هو عن دراية وقناعة تامة منهم، ((وجعلوا اتِّباعهم إياهم اهتداء لشدة غرورهم بأحوال آبائهم بحيث لا يتأملون في مصادفة أحوالهم للحق)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 25\187).

يؤكد ذلك الآية الثانية وهي قوله تعالى﴿**وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ** ﴾ التي بدأت بجملة اعتراضية جاءت لتسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) توضح له أن تمسك المشركين بدين آبائهم الوارد في الآية، هو نفس تصرف الكافرين من الأمم السابقة مع رسلهم، فالرسل قبله قد واجهوا مع أقوامهم نفس ما واجهه النبي (صلى الله عليه وسلم) مع قومه، لكنه هنا وصفهم بأنهم (مترفون)، والمترَفُ هو المنعَّم في أهله بالطِّيب والطَّعام (ابن فارس، 1979، صفحة 1\345) ، فالترفةُ: هي التوسُّع في النعمة، فالموصوفون بهذا قد جعلوا همهم تتبع النِّعم وأغفلوا ما يهمهم من أمور آخرتهم. فالمترف إذن هو من تُرك ليفعل ما يشاء من غير مانع يمنعه (السمين الحلبي، 1996، الصفحات 1\260-261).

وهؤلاء الموصوفون بالتّرف قد كرّروا مقالة كفار العرب فقالوا ﴿**إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم** ﴾ لكن هذه المقالة قد اختلفت في آخرها فجيء هنا بلفظة (مُّقۡتَدُونَ) بدل (مُّهۡتَدُونَ)، وقد جاءت اللفظة على نفس نسق سابقتها فجاءت (مقتدون) بصيغة اسم الفاعل المشتق من الجذر الخماسي (اقتدى)، والاقتداء يعني الاتباع (السمين الحلبي، 1996، صفحة 3\285؛ عمر، 2001، صفحة 367) ، لكنه اتباع دون تحرٍّ او تفكير، فهو تقليد لما كان يفعله آباؤهم من غير تفكير فيه؛ لأن حبَّ النعيم صرفهم عن التفكير فيما يعتقدون، فما هم فيه من النعمة انساهم احتياجهم إلى الله والتفكير فيه (أبو السعود، د.ت.، صفحة 5\81؛ ابن عاشور، 1984، صفحة 25\189) ، فجاء اتباعهم لآبائهم من باب التقليد الأعمى.

ولفظة (أُمَّة) التي تكرر ورودها في الآيتين تحمل في كلِّ آيةٍ معنىً يختلف عن الآخر وإن كان مقاربًا له فهي في الآية الأولى جاءت بمعنى الدين والملة؛ لأنَّ من قالها من المشركين كان يتبع ما كان يعبد اباؤه على أنه دين باعتقاد منه بما يفعله، أما في الآية الثانية فقد جاءت بمعنى الطريق، لأنَّ من قائليها قد وصفوا بأنهم مترفين وهذا الترف دفعهم للتقليد الأعمى لآبائهم فهم بذلك يتبعون الطريق الذي سلكه آباؤهم.

يؤكد ذلك الآية التي تلت هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿**قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ**﴾ فأمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يتحداهم بأن ما جاءهم به أفضل مما وجدوا عليه آباءهم لكنَّ جوابهم واحد هو كفرهم بما جاء به النبي من الهدى، والقول هنا يشمل الكفَّار من الأمم السابقة ومن الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلَّم من كفار قريش (أبو حيان، 1993، صفحة 8\13؛ أبو السعود، د.ت.، الصفحات 5\81-82).

مما سبق يمكننا أن نقول أن اختيار كلٍّ من (مهتدون) و(مقتدون) فاصلةٌ قرآنية لهاتين الآيتين جاء متناسبًا مع مزايا السياق القرآني، فالمعنى هو الأساس في التعبير القرآني، فالفاصلة في آيات القرآن يجب أن تتعلق بمضمون الآية، وتتناسب مع سياق نظمها، وهذا باب من أبواب إعجاز القرآن الكريم، قد تناوله الدارسون (العزاوي، 2016، صفحة 99).

فاختيار لفظة (مهتدون) فاصلة قرآنية للآية التي وردت فيها جاء موافقًا لسياق الآية ومناسبًا لموضوعها، كما أن اختيار لفظة (مقتدون) فاصلة قرآنية للآية التي وردت فيها جاء موافقًا لسياق الآية ومناسبًا لموضوعها.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب آيتين من آيات سورة الزخرف التي تشابهت فيها تراكيب الجمل وتكررت فيها الكلمات، لكنها اختلفت في لفظتين فقط، اخذتا موضع الفاصلة القرآنية لهاتين الآيتين الأمر الذي لفت نظرنا ودفعنا لمحاولة معرفة سبب هذا الاختلاف، لا سيَّما وأن القرآن الكريم وآياته وحدةٌ واحدةٌ من أوله إلى آخره، فأي اختلاف أو تغيير في التعبير تكونُ له دلالة في معنى الآية وهذا من كمال إعجاز القرآن.

- ففي الآية الاولى جاءت لفظة (مهتدون) فاصلة قرآنية لقوله تعالى ﴿**بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ وسياق الكلام في الآية منسوب إلى كفار قريش الذين وصفوا اعتدادهم واعتقادهم واتباعهم لما كان يفعله آباؤهم هو دين عن اقتناع؛ لذا جاءت الفاصلة في الآية لفظة (مُّهۡتَدُونَ)؛ لأن الاهتداء إنما يختصُّ بما يتحراه الإنسان عن طريق الاختيار.

- وفي الاية الثانية جاءت لفظة (مقتدون) فاصلة قرآنية لقوله تعالى﴿**وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ** ﴾ وسياق الكلام في الآية منسوب إلى الكفار من الأمم السابقة الموصوفين بالترف الذين يتبعون طريقة آبائهم في الاعتقاد من باب التقليد دون تفكير منهم فالحياة بمباهجها تشغلهم عن التفكير في العبادة، لذا كان مجيء الفاصلة مختلفًا فجيء بلفظة (مُّقۡتَدُونَ) الدالة على الاتباع والتقليد من دون أدنى تفكير.

- كما أنَّ لفظة (أُمَّة) المكررة اختلف معناها في الآيتين، فقد دلّت في الآية الأولى على الدين لتناسب ما يعتقده كفار قريش من اهتدائهم واتباعهم لما كان يفعل آباؤهم، ودلّت في الآية الثانية على الطريق لتناسب ما يعتقد الكفار من الأمم السابقة؛ لأنَّهم اعتمدوا التقليد في اتباعهم لدين آبائهم دون التفكير في ماهية هذه العبادة إن كانت هي الحق أم لا.

وبعد، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في دراسة دلالة هاتين الآيتين فإن وُفقت فمنَّةٌ من الله، وإن أخفقت فمن نفسي، ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع:

ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ)، نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم راضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1984.

ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

ابن فارس، أبي الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979.

ابن قتيبة، الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى،2006.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السَّلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1999.

ابو السعود، قاضي القضاة ابن محمد العمادي الحنفي (982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة السعادة، القاهرة، د.ت.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (745هـ)، البحر المحيط، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993.

الانصاري، القاضي زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، بيروت،1991.

برحمون، فاطمة الزهراء، دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة جيلالي ليباس/ سيدي بلعباس، الجزائر.

جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصِّل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى،2010.

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ،2004.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد، (ت398هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ،2005.

حامد عبد الهادي حسين ونشأت صلاح الدين حسين، معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات الإسلامية في ديوان الوقف السني، بغداد، الطبعة الأولى،2012.

الدامغاني، أبي عبد الله الحسين بن محمد (ت478هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانُه، دار ابن كثير واليمامة للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة التاسعة، 2003.

الدعاس، أحمد عبيد، وآخرون، إعراب القرآن الكريم، دار النمير ودار الفارابي للمعارف، دمشق، الطبعة الأولى،2004.

الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.

الرافعي، مصطفى صادق، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت ،2005.

رضا، الشيخ أحمد، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت،1958.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة،1984.

زقزوق، محمد حمدي، الموسوعة القرآنية المتخصصة- -الاعداد والتحرير: أ.د. علي جمعة بمشاركة عدد من العلماء، مطابع الزهراء التجارية قليوب، مصر ،2003.

السامرائي، الدكتور فاضل صالح، التعبير القرآني، بيت الحكمة، جامعة بغداد، وزارة التعليم العلي والبحث العلمي، بغداد، 1987.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ،1996.

السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق د.مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، 2002.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، د.ت.

الصامل، محمد بن علي بن محمد، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى،2001.

الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن (650هـ)، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، حققه عبد العليم الطحاوي، وراجعه عبد الحميد حسن، مطبعة دار الكتب، القاهرة،1970.

العزاوي، د.عقيد خالد حمودي، البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى، 2016.

عمر، أحمد مختار، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، الطبعة الأولى، 2001.

الفيروزآبادي، مجد الدّين محمّد بن يعقوب، القاموس الحيط، مؤسسة النوري، دمشق، الطبعة الأولى،1987.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السُّنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،2006.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون، 2003.

مبارك، الدكتور مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.

مقاتل، ابن سليمان البلخي (ت 150هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، مكتبة الرَّشد، الرياض، الطبعة الثانية ،2011.

النيسابوريِّ، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير الحِيريِّ (ت بعد 430هـ)، وجوه القرآن الكريم، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، دار السَّقا، دمشق، الطبعة الأولى ،1996.

أمن الطاقة والهيمنة الدولية: دراسة تحليلية في استراتيجيات التحكم في خطوط الطاقة

Energy Security and International Hegemony: An Analytical Study of Power Line Control Strategies

Rasha Suhail Mohammed Zidan [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

This study explores the narrative of the relationship between energy security and international hegemony by analyzing the most significant strategies adopted by major powers in the global system in relation to key issues—most notably the competition over oil and gas transportation routes and maritime shipping lanes—as a means of controlling global energy lines. This focus stems from the considerable importance that energy occupies in global markets, as it constitutes a vital factor in determining a state's standing and its regional and international influence alike within the international order. Such influence, in turn, shapes the forms and dynamics of cooperation, competition, and conflict_often occurring simultaneously_aimed at safeguarding geopolitical interests, consolidating international presence and status, and ensuring control or effective participation in shaping the nature of regional and international interactions in the global system.

The central argument of the study posits that energy is no longer merely an economic resource; rather, it has evolved into a strategic instrument employed by states to enhance their geopolitical influence and safeguard their political, economic, and security interests. Accordingly, the research proceeds from the following hypothesis: From a realist perspective, the control exercised by international powers over energy transportation routes constitutes a vital tool for reinforcing their hegemony and influence in the international system. Realism views energy as a strategic resource that contributes to strengthening the traditional power of the state. Major powers employ these routes as geopolitical instruments for exerting pressure and influence, thereby consolidating the balance of power in their favor and granting them the ability to redirect the behavior of importing actors or those controlling vital energy corridors, in pursuit of their national interests and foreign policy agendas.

Keywords: *Competition, Energy, Energy Corridors, Gas Pipelines, Global Energy Chains*.

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-5

[1] Lect. Dr, college of Political Science, University of Mosul, Iraq rashaaljwary@uomosul.edu.iq

الملخص:

يتناول البحث سردية العلاقة التي ترد بين أمن الطاقة والهيمنة الدولية من خلال تحليل أهم وأبرز الاستراتيجيات الدولية للقوى الكبرى في النظام العالمي تجاه أهم القضايا، والتي تتمثل بقضية التنافس على خطوط نقل الغاز والنفط وممرات الشحن البحري، للتحكم بخطوط الطاقة العالمية، نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتلها قضية الطاقة في الأسواق العالمية، وتعد عنصرا حيوياً في تحديد مكانة الدولة ونفوذها الإقليمي والدولي على حد سواء في النظام الدولي، والذي يحدد شكل وطبيعة التعاون والتنافس والصراع في آن واحد لحماية مصالحها الجيوسياسية وتعزيزا لوجودها ومكانتها الدولية، فضلاً عن التحكم أو المشاركة الفعالة في صياغة طبيعة التفاعلات الإقليمية والدولية في النظام العالمي .

إذ تؤكد فكرة البحث الرئيسة على أن الطاقة لم تعد مجرد مورد اقتصادي، بل تحولت إلى أداة استراتيجية تستخدمها الدول لتعزيز نفوذها الجيوسياسي وتأمين مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية، ومن هذا المنطلق ينطلق البحث من الفرضية الآتية ((من المنظور الواقعي، تُعدّ سيطرة القوى الدولية على خطوط نقل الطاقة أداة حيوية لتعزيز هيمنتها ونفوذها في النظام الدولي، إذ تنظر الواقعية إلى الطاقة باعتبارها مورداً استراتيجياً يُسهم في تعزيز قوة الدولة التقليدية. وتوظف القوى الكبرى هذه الخطوط كوسائل جيوسياسية للضغط والتأثير، بما يكرّس موازين القوة لصالحها، ويمنحها القدرة على إعادة توجيه سلوك الفواعل المستوردة أو المتحكمة بالممرات الطاقوية الحيوية، تحقيقاً لمصالحها الوطنية وأجنداتها الخارجية).

الكلمات المفتاحية: (التنافس، الطاقة، الممرات الطاقوية، أنابيب الغاز، سلاسل الطاقة العالمية).

المقدمة:

يتناول هذا البحث العلاقة البنيوية التي تربط بين أمن الطاقة والهيمنة الدولية، من خلال تحليل أبرز الاستراتيجيات التي تعتمدها القوى الكبرى في النظام الدولي تجاه القضايا المتعلقة بالتحكم بأنابيب نقل الغاز والنفط، والممرات البحرية الحيوية الناقلة لها، باعتبارها عناصر جوهرية في معادلة القوة والنفوذ الدولي. فمع تزايد أهمية الطاقة في الأسواق العالمية، لم تُعد مجرد مورد اقتصادي، بل عدت أداة استراتيجية تستثمرها الدول الكبرى لتعزيز مكانتها الجيوسياسية، وصياغة مسارات التعاون والصراع ضمن البيئة الدولية المتغيرة، إذ تواجه قضايا الطاقة العديد من التحديات والمشاكل الأمنية والبيئية العابرة للحدود الوطنية، وبدأت تفرض نفسها لأهميتها على المستويين الإقليمي والدولي، وتؤثر في الوقت ذاته في استقرار النظام العالمي وطبيعة التفاعلات الدولية بين الوحدات في البيئة الدولية، إذ أسهمت العديد من التحولات في التركيز على موضوع الطاقة منها النزاعات والصراعات وصولا إلى الحروب بسببها، مما أدى إلى تزايد الطلب عليها، وباتت تشكل تحدياً واضحا وهاماً في النظام العالمي، وبالتالي تطلب إعادة صياغة مفهوم التعاون العالمي بشكل أكثر وضوحاً وانسيابية لتحقيق الاستقرار الدولي؛ وبالتالي تحقيق التنمية المستدامة على كافة المستويات .

ومن هنا تنبع أهمية هذا الطرح من كون الطاقة، بشقيها النفطي والغازي، تشكل أحد المحركات الأساس التي تحدد شكل النظام العالمي، وتُسهم في إعادة رسم خريطة التحالفات والصراعات، لا سيما في ظل ما تشهده البيئة الاستراتيجية من تحولات بنيوية، كتعدد مراكز القوة، وتزايد المنافسة الجيوسياسية على الموارد والطرق والممرات البحرية .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث على النحو الآتي:

1. يسهم في فهم البُعد السياسي _ الاقتصادي _ لأمن الطاقة وربطه بمفاهيم الهيمنة الدولية الحديثة.
2. يوفر معطيات تساعد صناع القرار على إدراك المخاطر المرتبطة بالتبعية الطاقوية.
3. يوضح أدوات النفوذ الجديدة التي تتجاوز القوة العسكرية لتشمل التحكم بالبنى التحتية الحيوية.
4. تحليل أهم الأبعاد لأمن الطاقة ومفاهيم الهيمنة الدولية.
5. استكشاف أهم خطوط الطاقة التي تمثل مراكز صراع استراتيجي عالمي.
6. تقييم الاستراتيجيات التي تتبعها القوى الكبرى للسيطرة على هذه الخطوط وفهم انعكاسات هذه الاستراتيجيات على أسواق الطاقة العالمية .

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة الأهداف وعلى النحو الآتي:

1. توضيح مفهوم أمن الطاقة وأدوات الهيمنة الدولية الحديثة.
2. تحليل أبرز استراتيجيات التحكم في خطوط الطاقة عالميًا.
3. دراسة طبيعة وشكل التفاعلات الإقليمية والدولية الناتجة عن التنافس على موارد الطاقة.
4. استكشاف أثر هذا التنافس وتداعياتهُ على الأسواق العالمية.

إشكالية البحث

يُعَد أمن الطاقة من أبرز السرديات الاستراتيجية الهامة التي تشغل القوى الدولية الكبرى، إذ لم يعد يُنظر إلى الطاقة بوصفها موردًا اقتصاديًا فحسب، بل أداة تستخدمها الدول الكبرى لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري _ الأمني، ففي ظل هذا الواقع تشهد البيئة الدولية صراعًا متناميًا للسيطرة على موارد الطاقة وخطوط نقلها، إذ باتت خطوط الطاقة لا تمثل مجرد ممرات للبترول أو الغاز، بل أدوات استراتيجية في يد الدول الكبرى لتكريس نفوذها وفرض هيمنتها على مناطق متعددة من العالم. وأصبح التحكم بها يشكل بُعدًا جديدًا من أبعاد القوة الجيوسياسية، ويُستخدم كوسيلة ضغط سياسي واقتصادي، لا سيما في ظل التحولات العالمية في موازين الطاقة واتساع التنافس بين القوى الصاعدة والتقليدية .

وتتمثل الإشكالية الرئيسة في التساؤل الآتي :

(كيف تسهم استراتيجيات التحكم في خطوط الطاقة في تعزيز الهيمنة الدولية للقوى الكبرى، وما هي انعكاسات ذلك على أمن الطاقة العالمي)، ومن هذه المنطلق ترد على الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية، والتي تطرح نفسها على النحو الآتي :

1. ما المقصود بأمن الطاقة والهيمنة الدولية؟ وما هي مسارات النشأة والتطور ؟. وما هي أهم التفسيرات الفكرية التي تناولت المفاهيم؟.
2. ما هي أهم استراتيجيات الهيمنة على خطوط الطاقة؟ وأهم الآليات التي تعتمدها القوى الدولية لتنفيذها؟.
3. كيف تؤثر تداعيات التنافس الطاقوي على الأسواق العالمية؟. وما هو شكل التأثير؟.

فرضية البحث

ينطلق البحث من الفرضية التالية (من المنظور الواقعي، تُعدّ سيطرة القوى الدولية على خطوط نقل الطاقة أداة حيوية لتعزيز هيمنتها في النظام الدولي، إذ تنظر الواقعية إلى الطاقة باعتبارها مورداً استراتيجياً يُسهم في تعزيز قوة الدولة التقليدية. وتوظف القوى الكبرى هذه الخطوط كوسائل جيوسياسية للضغط والتأثير، بما يكرّس موازين القوة لصالحها، ويمنحها القدرة على إعادة توجيه سلوك الفواعل المستوردة أو المتحكمة بالممرات الطاقوية الحيوية، تحقيقاً لمصالحها الوطنية وأجنداتها الخارجية) .

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، من الكل للجزء، لدراسة موضوع البحث والوصول إلى النتائج الموضوعية _ المنطقية، فضلاً عن، اعتماد مجموعة من المقترحات التي استند عليها البحث كونها تشكل أحد أهم الأدوات / الوسائل لتحقيق الأهداف وإيجاد نتائج، ومنها المقترب الوصفي _ التحليلي لغرض وصف وتحليل الظاهرة موضوع البحث وإيجاد حلول واستنتاجات تجاهها، فضلاً عن اعتماد المقترب التاريخي لمعرفة بدايات التنافس على الطاقة وشكل التحول الذي طرأ على طبيعة الأدوات والوسائل التي اعتمدتها القوى الكبرى لتوظيفها لتحقيق مصالحها بصيغة

جديدة، فضلا عن، اعتماد المنهج المقارن للمقارنة بين الاستراتيجيات الدولية التي تعتمدها كل دولة في تحقيق مصالحها إزاء الأمن الطاقوي .

نطاق البحث

البعد المكاني: _تنافس القوى الكبرى في البيئة الدولية

البعد الزماني: _ ابتداء من العام 2022 وبدء الحرب الروسية _ الأوكرانية وتصاعد حدة التنافس الطاقوى حتى الوقت الحاضر .

البعد الموضوعي: يركز على استراتيجيات التحكم بخطوط الإمداد العالمية والتنافس الدولي للسيطرة عليها .

خامسًا: هيكلية البحث

تتضمن هيكلية البحث من مجموعة من المباحث الرئيسة، فضلاً عن مجموعة من المطالب التي تضمنها البحث، إلى جانب المقدمة والخاتمة والاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها البحث، وفي النهاية تضمن قائمة المصادر، وعلى النحو الآتي _:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري

المطلب الأول: الطاقة والأمن الطاقوي: دراسة في المفهوم ومسارات النشأة والتطور.

المطلب الثاني: ماهية الهيمنة وتفسيرات المدارس الفكرية في العلاقات الدولية.

المبحث الثاني: استراتيجيات الهيمنة على خطوط الطاقة وتداعياتها على الأسواق العالمية

المطلب الأول: نماذج تحليلية لاستراتيجيات الهيمنة الطاقوية للقوى الدولية

المطلب الثاني: تداعيات التنافس الطاقوي على الأسواق العالمية

الخاتمة والاستنتاجات _ التوصيات _ قائمة المصادر

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري

تعد الطاقة من العناصر الرئيسة التي يعتمدها على الإنسان ومحركا هاما في تطور الأمم عبر الفترات الزمنية المختلفة، إذ خضعت الطاقة للتطور نتيجة لتطور المجتمعات الإنسانية، إذ استخدم الإنسان القديم مصادر الطاقة المتاحة لهُ في تلك الأزمنة الماضية، ابتداء من الحياة البدائية مرورا بالثورة الصناعية التي اعتمدت على الطاقة في تشغيل الآلات والمعدات الصناعية وتوليد الطاقة الكهربائية، فضلاً عن، استخدامها اليوم بفعل التطور التكنولوجي في هذا الاتجاه، ومن هذا المنطلق لا بد من التعرف على ماهية الطاقة وما هي مصادرها وطبيعة تصنيفها، وسيتم تناول ذلك في المطلب الأول، كما سيتم تناول مفهوم الهيمنة وسردياتها وتفسيراتها وفق المدراس الفكرية في المطلب الثاني، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: الطاقة والأمن الطاقوي: دراسة في المفهوم ومسارات النشأة والتطور.

للطاقة مفاهيم كثيرة البعض يعرفها على أنها تمثل القدرة على القيام بالعمل أو الحركة، وتظهر في مجالات عدة وأشكال كثيرة، بدءاً من الطاقة الحركية المتولدة من الحركة والحرارة، وصولاً إلى الطاقة النووية الناتجة عن انشطار الذرة، والطاقة الشمسية، إذ يعرف المعجم الوسيط الطاقة بأنها القوة أو القدرة على العمل أو الإنجاز، وتستخدم كذلك للإشارة إلى القدرة على إحداث تغيير أو تحريك الأشياء ([1]).

وقدم لنا الفيلسوف اليوناني أرسطو وصفا دقيقاً لمفهوم الفعل الفعال، إذ تبنى هذا المصطلح علماء الفيزياء وغيرهم في العصور اللاحقة للإشارة إلى القوة النشطة أو القدرة على التنفيذ، ومع التطور الذي أصاب العلوم والتكنولوجيا، نجد أن المفهوم اتسع وتشعب ليشمل مفاهيم القوة والقدرة على العمل والإنتاجية في مجالات متعددة ومتنوعة مثل الهندسة والاقتصاد والفيزياء وغيرها ([2]).

والطاقة مصطلح يشير إلى كل ما يندرج تحت مصادر الطاقة، وإنتاج الطاقة، واستهلاك الطاقة، والحفاظ على موارد الطاقة، وتحتاج جميع الأنشطة الاقتصادية إلى مصادر لتوليد الطاقة، وبرز استهلاك الطاقة في السنوات الأخيرة كأحد أهم العوامل المسببة للاحتباس الحراري، وكلمة طاقة مترجمة من اللغات الأوروبية الحديثة وهي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة ENERGOS (مصدر الطاقة الذي يمتلك نظاما قادرا على إنتاج الطاقة)، وتتنوع مصادرها الطاقة، وتتعد وفقا للخصائص الطبيعية ([3]).

إذ نجد أن العديد من الهيئات الوطنية والإقليمية والدولية تطرقت إلى موضوع الطاقة، وعرفتها على أنها الطاقة المتأتية من المصادر الطبيعية (أشعة الشمس والرياح)، والتي تتجدد بمعدل أسرع مما تستهلك، وتعد الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة الحرارية الأرضية والطاقة المائية وبعض أشكال الكتلة الحيوية من المصادر الشائعة للطاقة المتجددة ([4]).

فنجد أن تعريفات أمن الطاقة تعددت وتنوعت واختلفت مسمياتها، إذ تتعدد تعريفات المنظمات والوكالات الدولية المهتمة بها والدول الصناعية الكبرى، فهنالك تفاوت كبير بين الدول فيما يتعلق بتعريفها، إذ نجد أن لكل دولة لها مفهومها وسياستها الخاصة بأمن الطاقة واستراتيجيتها، والتي تنطلق من أجندتها الخارجية وأولوياتها والتي تنطلق من عدة مبادئ عامة تتمثل في تنوع مصادر الطاقة وتنويع واردات النفط والتقليل من الاعتماد على القطاع النفطي بقدر الإمكان، فضلا عن ضمان أسعار مورد الطاقة في السوق العالية (النفط والغاز الطبيعي) بأسعار منخفضة ([5]).

إن تعريف مفهوم أمن الطاقة يختلف من دولة إلى أخرى، بناءً على التصورات والانطباعات الخاصة بالمفهوم والاحتياجات الأساس، فيعرف الأمن الطاقوي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سعي الأخيرة لتنويع مصادر الطاقة الخارجية وطرق توريدها، والاستثمار في مصادر الطاقة البديلة واستكشاف النفط والغاز في الولايات المتحدة الأمريكية والأماكن الخاضعة لسيطرتها، في حين يعرف الأمن الطاقوي في اليابان وكوريا الجنوبية على أنه مرتبط بإمكانية الوصول إلى ما يكفي من الطاقة وبأسعار مقبولة للحفاظ على قدراتها الصناعية، أما في الصين والهند، فيعرف على أنه إمكانية الوصول إلى خدمات الطاقة للسكان من أجل القيام بتنفيذ أهداف التنمية المستدامة وخلق الاستقرار ([6]).

إذ نجد أن هنالك تداخل في تعريف الطاقة بين الجانب الفيزيائي والتعريفات القانونية، فضلاً عن، ذلك نجد أن الطاقة تلعب دورا هاما وحيويا في مجالات متعددة مثل العلاقات الدولية والعلوم السياسة، إذ يعرفها قاموس أكسفورد ثلاث تعريفات مختلفة ومتنوعة، فهي كالقوة والحيوية الضرورية للحفاظ على النشاط البدني أو العقلي، والقوة الناتجة عن استغلال الموارد الفيزيائية أو الكيميائية لتوليد الضوء والحرارة أو تشغيل الآلات، وفي مجال الفيزياء عرفها كخاصية

للمادة والإشعاع التي تتجلى في القدرة على أداء العمل، مثل أحداث الحركة أو تحفيز التفاعلات الجزيئية، بالمحصلة نجد أن التعريفات تعدد وتنوعت ولم تقتصر التعريف في اتجاه محدد، وإنما كانت تعريفات شمولية ومتنوعة؛ نظرا لوجود القواسم المشتركة في السياقات الفيزيائية أو القانونية أو السياسية وغيرها ([7]).

وفي عام 1974 برزت فكرة تأسيس الوكالة الدولية للطاقة بعد المقاطعة العربية النفطية للولايات المتحدة الأمريكية والدول الداعمة لإسرائيل في حرب تشرين الأول عام 1973، والتي على إثرها ارتفعت أسعار الطاقة، ولهذا تعرف الوكالة "أمن الطاقة" بأنه "تواصل الاستقرار في الأسعار المقبولة التي هي في المتناول، مع استمرار الاهتمام بقضايا البيئية"، إذ إن الهدف الأساس لإنشائها هو وضع آليات وأسس موحدة وفاعلة لتنفيذ السياسات الخاصة بقضية أمن الطاقة التي تنفذ على أساس التعاون المشترك بين المجتمع الدولي، كما عرفها البنك الدولي بأنها ضمان إنتاج الطاقة واستخدامها في ضوء توافرها بتكلفة مقبولة من أجل تحقيق هدفين: أولها تسهيل النمو الاقتصادي الذي يقود إلى خفض مستويات الفقر، والثاني يتمثل في تحسين مستويات العيش للمواطنين للوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة ([8]).

في حين عرف حلف شمال الأطلسي أمن الطاقة بأنه يعتمد على ثلاث مجالات وعلى النحو الآتي: ([9]).

1_ الوعي الاستراتيجي بالتطورات والتحولات الراهنة في مجال الطاقة.

2_ حماية الطاقة والبنية التحتية.

3_ تعزيز الاستخدام الأمثل والفعال للطاقة في المجالات العسكرية، ويعد مفهوم الطاقة جزءا من الأمن القومي لكل دولة، بفعل مجموعة من العوامل: ([10]).

1_ أزمات الطاقة الناتجة عن الصراعات بين الدول المستهلكة والمنتجة.

2_ إن الدولة التي حصلت على استقلالها عملت على توسيع رقعة سيادتها الوطنية على مواردها الطبيعية وخاصة النفط والغاز.

3_ زيادة الطلب العالمي على الغاز والنفط بفعل التنافس الدولي للحصول على الموارد الكافية لتلبية احتياجات الدول الصناعية الكبرى.

4_ سعى الدول الكبرى إلى السيطرة على الطاقة من أجل ممارسة الضغط السياسي على الدول الأخرى لقبول ما تفرضه عليها من برامج تنموية .

كما يمكن الإشارة إلى مفهوم الأمن الطاقوي الذي عرف من قبل الأمم المتحدة لأول مرة عام 1990 وتقرير اللجنة الاقتصادية الأوروبية التابعة للأمم المتحدة عام 2007، على أنه "توفير الإمدادات لمختلف أشكال وأنواع الطاقة في كل الأوقات بكميات كافية وأسعار معقولة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد"، إذ نفهم من ذلك أن تحقيق أمن الدولة الطاقوي يعتمد بدرجة كبيرة على محددات أهمها مصادر مختلفة للطاقة وتنويعها ونقلها بأسعار معقولة بصورة كافية وملائمة ([11]).

وفيما يتعلق بمصادر الطاقة نجد أن للطاقة منابع كثيرة وطرق عدة لتصنيفها، إذ تنقسم الطاقة إلى متجددة وطاقة غير متجددة، فالطاقة المتجددة تأتي من مصادر طبيعة ومستدامة لا تنفذ عمليا، في حين أن الطاقة غير المتجددة تعتمد على الموارد المحدودة والتي تنضب مع الاستهلاك، إذ نجد أن الطاقة المتجددة تتمثل في الآتي : ([12])

1_ **طاقة الرياح** والتي تعتمد على الموارد الطبيعية مثل حركة الرياح لتولدي الكهرباء من خلال استخدام التوربينات الهوائية.

2_ **الطاقة الكهرومائية** والتي تستخدم حركة المياه في السدود لتوليد الكهرباء عبر المحطات الكهرومائية.

3_ **طاقة المحيطات** والتي تستمد الطاقة من حركة الامواج وحركات المد والجزر والتيارات البحرية لإنتاج الطاقة الكهربائية.

4_ **الطاقة الحرارية الأرضية** والتي تعتمد على الحرارة المخزنة في باطن الأرض لتوليد الكهرباء أو التدفئة.

5_ **الكتلة الحيوية** والتي تستخرج الطاقة من المواد العضوية عبر عملية الاحتراق أو التحلل الحيوي من أجل الحصول على الطاقة لتوليد الكهرباء.

6_ **الطاقة الشمسية** وتعد مصدرها الشمس وأكبر مصادر الضوء والحرارة على وجه الأرض، وتتوزع الطاقة المتولدة من تفاعلات الاندماج النووي داخل الشمس على أجزاء الأرض، حسب البعد والقرب من خط الاستواء، وخط الاستواء هو يمثل المنطقة التي تحظى بأكبر كمية من الطاقة، إذ يستفاد من الطاقة المتولدة من الشمس في توليد الطاقة الكهربائية بواسطة الألواح الشمسية ([13]).

أما عند الحديث عن الطاقة غير المتجددة، فنجد أن مصادرها متنوعة، إما أن تستخرج من باطن الأرض مباشرة، أو من سطحها، والتي استغرقت مليارات السنين لكي تتكون وتتشكل، ويلجأ البشر إلى استخراجها على هيئة غازات وسوائل ومواد صلبة، ثم يتم معالجتها وتحويلها إلى أشكال مناسبة لتلبية احتياجات البشر، وتشمل الموارد غير المتجددة النفط الخام والغاز الطبيعي والفحم واليورانيوم، وتخضع لعمليات معالجة وتحويلها إلى منتجات قابلة للاستخدام التجاري والصناعي مثل استخراج النفط الخام وتحويله إلى البنزين ([14]).

إن جميع التصنيفات التي تم ذكرها سابقاً، كانت تعتمد على معايير ذاتية، والتي تتمثل في تصنيف المصادر المتجددة أو الغير متجددة، مما أدى إلى تجاهل أو إغفال بعض أنواع الطاقات الأخرى، والتي تتمثل في طاقة الاهتزازات والحرارة الصوتية والطاقة البشرية غيرها، إذ إن التعويل على الطاقة النظيفة تعد جزءا أساسا من التقليل من انبعاث الكربون لتحقيق أهداف التنمية المستدامة؛ وبالتالي تحويلها إلى طاقة نظيفة وآمنة على البيئة من الجوانب المهمة في صنع السياسات الاقتصادية ([15]).

يتضح مما سبق إن للطاقة أهمية اقتصادية وأمنية، وبالتالي تعد ضرورة ملحة، وكما أسلفنا أن للطاقة تعاريف ومفاهيم متعددة ومتنوعة، وفقا للتصنيفات التي تم اعتمادها، سواء الطاقة المتجددة أو الطاقة غير المتجددة، فضلاً عن، ذلك نجد لقضية الطاقة أبعادا اقتصادية وسياسية واجتماعية وذات أبعاد أمنية وبيئية هامة تؤثر في عملية التفاعل الدولي بين الدول المنتجة والمستهلكة للطاقة على حد سواء.

المطلب الثاني: ماهية الهيمنة وتفسيرات المدارس الفكرية في العلاقات الدولية

طرح مفهوم الهيمنة في أدبيات العلاقات الدولية كأحد المفاهيم الهامة والمحورية في التفاعلات الإقليمية والدولية في النظام الدولي، لا سيما بالنسبة للوحدات الدولية التي تحاول أن تضطلع بأدوار حيوية وجادة، يعد مفهوم الهيمنة من المفاهيم الغامضة والمتشعبة الدلالات في لغة الفكر السياسي والعلاقات الدولية، إذ شكل المفهوم تضاربا كبيرا في الأفكار، وعرف المفهوم تاريخيا في مدينة أثينا في العصر الإغريقي، وتحديداً في مدينة "اسبرطة "([16]). وترجع

جذورةً إلى المؤرخ (ثيوسيديدس) في ملاحظاته للحروب البيلوبونزية، وينحصر فكرةً المفهوم بكونه لا ينحصر ضمن إطارا مادياً، بل يحتاج إلى القوة واكتساب الشرعية، والتي تعني (الرضا والقبول) والتي مصدرها الدول المنضوية طواعية في الحلف، إذ يرى أن الهيمنة تعني الشرعية ([17]).

ويعرف (أنطونيو غرامشي) الهيمنة بأنها (قدرة مجموعة اجتماعية على توجيه المجتمع سياسيا وأخلاقيا، وبذلك تكتسب المجموعة المسيطرة سلطة من خلال عملية الإقناع الثقافي والأخلاقي، من دون استخدام أية وسائل الإجبار السياسي أو الاقتصادي، لكن غالباً ما تستخدم الفئة المهيمنة الإجبار بشكل مستتر، وتجمع بيم مميزات الإجبار والموافقة من منظر ثنائي) ([18]).

ويعرف معجم ميريام الهيمنة على اعتبارها "النفوذ أو السلطة على الآخرين"، ويركز هذا التعريف على الاختلاف الظاهر في القوة وعلاقات السيطرة بين فاعلين غير متساوين في القوة، كما يعرف قاموس أوكسفورد الهيمنة على أنها "القيادة أو سيطرة دولة واحدة على آخرين"، وتاريخيا كان مصطلح الهيمنة يعني القيادة أو الحاكم ذو السيادة، ولكن مفهوم الهيمنة تطور وتوسع ليشمل السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية لدولة قومية على أخرى، ويرى هيرمان إن الهيمنة ترتبط بمفاهيم القوة والأيديولوجية والصراع، في حين يعرفها لين سكوت على أنها السيطرة السياسية أو الاقتصادية على منطقة ما من قبل قوة عظمى، أما (كيندلبيرجر"عرفها على اعتبارها "القيادة الواحدة " ([19]).

إن ارتقاء الدولة إلى مستوى الطرف المهيمن يستلزم امتلاكها لمؤشرات معينة أبرزها امتلاكها لقوة سياسية وعسكرية فوق الوطنية تمكنها من وضع قوانين وتنظيمات دولية جديدة، وفي هذا الإطار قسم "دنكان سندال" الهيمنة إلى ثلاث أصناف هي الهيمنة الناتجة عن الاقتناع، تمثل هيمنة قوية لكنها ناعمة، الهيمنة الاستعمارية القائمة على القوة، واعتمادا على ما قدمه "جرامشي" حدد "هوبسن" مجموعة من الركائز للتعريف بالمهيمن، وعلى النحو الآتي: ([20]).

1_ يجب أن يكون المهمين مسيطر اقتصاديا وعسكريا على بقية الدول.

2_ يجب ن تكون الدولة ملتزمة بالمبادئ الليبرالية، لأن الدولة الليبرالية هي وحدها قادرة على أن تصبح مهيمنة.

3_ أن يتمكن المهمين من الحصول على تأييد واجماع أولي بين الدول التي يسيطر عليها.

هناك العديد من التفسيرات للمدراس الفكرية في مجال العلاقات الدولية، إذ ترى الواقعية أن الهيمنة نتاج تركيز القوة والإمكانات في يد دولة واحدة، وتلجأ إلى استخدام مكانتها وإمكانياتها، وأن تراجع قوة الطرف المهيمن يعني انهيار النظام ككل وبالتالي يحدث الصراع، إذ يمثل حالة اختلاف الطرف المهيمن والطرف المتحدي حول قوتها النسبية، ويحاول بذلك الطرف المهيمن الدفاع عن الوضع الراهن، الذي يعتبر في صالحهً، في الوقت الذي يحاول الطرف المتحدي، فلب الوضع ذاته من أجل تحقيق الهيمنة لصالحه، وترى أن الهيمنة تكون وقتية، طالما سيتجه الفاعلون الآخرون للتحالف ضد الطرف المهيمن ومحاولة إضعاف قوتهً، ويؤكد "ميرشايمر" على أن الهيمنة تعني السيطرة على النسق الذي يقصد به النظام الدولي ككل، كما يرى أن مفهوم النسق يمكن تطبيقه بشكل محدود ليشمل منطقة بعينها مثل أوروبا أو شمال شرق آسيا ([21]).

وتؤكد المدرسة الواقعية الجديدة إلى أن فكرة الهيمنة ترتكز على الإكراه والسيطرة، إذ تشير جميع المدارس الفكرية ابتداء من الواقعية والواقعية الجديدة على مسألة هامة، وهي ترابط مفاهيم القوة والهيمنة على اعتبارات السيطرة والإكراه وفرض الإرادة، إذ تشترك الواقعية الجديدة مع الواقعية الكلاسيكية في ثلاثة فروض قوامها أن الدولة

هي الفاعل الرئيس في السياسة الدولية، أي التأكيد على مسألة مركزية الدولة، وثانيا سلوك الدول إنما يتسم بالعقلانية، وثالثا تهدف الدول إلى تحقيق القوة، وتعرف مصالحها في إطار مفهوم القوة ([22]).

نستنتج مما سبق إن مفهوم الهيمنة يرتبط بمفهوم القوة ومقوماتها ومواردها، على اختلاف المدارس الفكرية وتفسيراتها، فالنظرية الواقعية تفترض أن الهيمنة تمثل القوة المادية والمصلحة القومية للدولة، أما الواقعية الجديدة تؤكد على علاقة الهيمنة بمفهوم ميزان القوة، وناقشت موضوع الاستقرار اليمني، أما النظرية الليبرالية ناقشت الهيمنة من جانب آخر مختلف تمثل في التجارة الحرة والتعاون على المستوى الدولي لخلق الاستقرار اليمني، وهنا تتفق في بعض الجوانب مع المدرسة الواقعية، في حين نجد أن المدرسة النقدية تختلف تماما عن المدارس السابقة، فالنقدية تهتم بالطبقة الاجتماعية موحدة للتحليل على المستوى الدولي، وهذا يخالف المنظور الوضعي الذي يعلي من شأن الدولة ومركزتيها ودور الفاعلين في النظرية الليبرالية .

المبحث الثاني: استراتيجيات الهيمنة على خطوط الطاقة وتداعياتها على الأسواق العالمية

يعد النفط والغاز الطبيعي، من أهم الموارد الحيوية التي تشكل محاور استراتيجية في النظام العالمي المعاصر، نظراً لدورها الحاسم في ضمان الأمن الطاقي وتحقيق التنمية الاقتصادية للدول. إذ يشهد العالم تنافساً متصاعداً بين القوى الدولية للهيمنة على هذه الموارد، من خلال رسم استراتيجيات متعددة تتراوح بين السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية، من أجل تأمين مصالحها الحيوية وتعزيز نفوذها في البيئة الدولية. إذ تتجاوز هذه الاستراتيجيات الحدود الجغرافية للدول، لتشمل مناطق نفوذ متعددة ومتداخلة، مما يجعل تحليل آلياتها ومجالات تنفيذها أمراً ضرورياً لفهم ديناميكيات التنافس الدولي في مجال الطاقة. يعالج هذا البحث بالتحليل والاستقراء مختلف الأدوات والوسائل التي تستخدمها الدول الكبرى لضمان سيطرتها على خطوط الطاقة، مع التركيز على الأبعاد الاستراتيجية والتحديات التي تفرضها الطبيعة العابرة للحدود لهذه الخطوط الحيوية. ومن خلال هذا المنطلق، يسعى البحث إلى تقديم قراءة معمقة تسهم في توضيح ملامح التنافس العالمي على مصادر الطاقة وأثره على الاستقرار الدولي والأمن العالمي، ومن هذا المنطلق تم تقسيم المبحث الثاني إلى مطلبين وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: نماذج تحليلية لاستراتيجيات الهيمنة الطاقوية للقوى الدولية

تُشكّل خطوط الطاقة أحد أبرز مجالات التنافس بين القوى الدولية ومركزا للتجاذبات، لما تحمله من أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية _ أمنية، إذ تُمارس الهيمنة عليها عبر أدوات متعددة تشمل النفوذ السياسي، والتدخل العسكري، والتحكم في البنى التحتية، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أبرز أساليب السيطرة وآليات التأثير العابر للحدود في إطار صراع النفوذ بين القوى الدولية الكبرى، وبصدد الأمن الطاقوي تطرح الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجيتها من واقع أمنها القومي والسياسات المتبعة في هذا الشأن، إذ يستند الأمن الطاقوي لها على مطلبين أولها داخلي والثاني خارجي، وفيما يخص المطلب الأول يركز على أربعة محاور رئيسة، وعلى النحو الآتي :([23]).

1_ تسعى إلى بناء مخزون استراتيجي من النفط من أجل الاعتماد عليه في أوقات الأزمات وعدم الاستقرار في أسواق النفط العالمية.

2_ الاستثمار في الطاقة النظيفة.

3_استخدام الطاقة بشكل فعال ومؤثر.

4_ التنقيب على النفط محليا.

أما بصدد المطلب الثاني للاستراتيجية الامريكية فهي تعمل على بناء مخزون نفطي لغرض الاحتفاظ به كاحتياطي نفطي يتم تخزينه في الدول الصناعية المستهلكة للنفط بهدف تأمين الامدادات النفطية في حال انقطاعها، أو في حال فرض الدول المنتجة للطاقة حصارا على الدول المستهلكة؛ وبالتالي حدوث أزمات مفاجئة وخفض الإنتاج ومنع تصدير النفط إلى الدول الصناعية المستهلكة، لذا تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية مخزونها الاستراتيجي لمواجهة الطوارئ التي تهدد الأسواق الأمريكية أو العالمية، كما أنها تميل إلى الاستثمار في الطاقة النظيفة من أجل مواجهة التهديدات التي تتعرض لها مصادر الطاقة التقليدية وسعيها للتقليل من الاعتماد على الطاقة المستوردة، لذا تبنت مبادرات مشجعة للبحث عن الطاقة البديلة وتطوير تكنولوجيا لتوليد الطاقة البديلة ([24]). وفي إطار توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أمن الطاقة، إذ تعد منطقة المتوسط ذات أهمية استراتيجية، وتحتل مكانة هامة وبارزة في الفكر الاستراتيجي الأمريكي وتوجهاته الخارجية، من خلال تزايد الاهتمام الأمريكي في المنطقة، لا سيما في ظل ظهور اكتشافات جديدة للمواد الهيدروكربونية في سواحل شرق المتوسط، مما دفعها إلى تركيز إستراتيجيتها نحوها، لتكون جزءا لا يتجزأ من التفاعلات الإقليمية والدولية، وتعزيز دورها الدولي لحماية مصالحها الاقتصادية في المنطقة، إذ اتخذ الحضور الأمريكي في منطقة شرق المتوسط في عنصرين، وعلى النحو الآتي :([25])

1_ تنفيذ عمليات مراقبة دائمة للتطورات الحاصلة في منطقة شرق المتوسط .

2_ تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تعزيز قدراتها الاستطلاعية والهجومية في الدول المطلة على شرق المتوسط بشكل خاص والبحر الأبيض المتوسط بشكل خاص من خلال إقامة شبكة من القواعد العسكرية من أجل الهيمنة على مياهها، ولكن نجد أن استراتيجيتها تواجه أو تتقاطع مع مجموعة من التحديات أهمها:

1_ أمن (إسرئيل) والصراع العربي _ (الإسرائيلي).

2_ القضية القبرصية وتقسيم الجزيرة .

3_ تأمين امدادات الطاقة لحلفائها الأوروبيين.

وفيما يتعلق بالمطلب الثاني المتعلق بالأهداف الخارجية والتي يرتكز على ركيزتين:([26]).

1_ تنويع مصادر الطاقة وإمداداتها إذ تنطلق الطروحات الأمريكية التي تقوم عليها استراتيجيتها لأمن الطاقة من ضرورة تنويع مصادر طاقتها وتعددها، فضلاً عن، تعدد طرائق نقلها للتقليل من آثار أي توقف أو عطب يمكن أن يؤثر على نقل الطاقة، فعلى الرغم من أن منطقة الشرق الأوسط تهيمن على أسواق الطاقة العالمية، إلا أن هدف الولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في البحث عن مجالات أخرى لتوريد الطاقة تكون بديلة، وتعد هدفا حيويا استراتيجيا لأمن الطاقة، إذ إن التنوع ليس هدفا أساس فحسب وإنما يعد ركيزة هامة لأمنها القومي، لأن الاعتماد الأمريكي على مصدر أو جهة واحدة للطاقة لا سيما إذ كان هذا المورد خارجي فإن ذلك يعرض أهدافها إلى خطر، نظرا لتقلب الأسعار وتوقف الإمدادات وبالتالي في اسوء الأحوال تعرضها للابتزاز السياسي من الدول المنتجة والمصدرة للطاقة ([27]).

ومن ناحية أخرى نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى بسط نفوذها وهيمنتها على منطقة شرق المتوسط من خلال مجموعة من الأدوات / الوسائل، والتي تتمثل في سيطرة شركاتها على استثمارات المنطقة وخاصة تلك التي تقع قبالة السواحل (الإسرائيلية) والقبرصية خاصة حقل "أفروديت" غير أن الشركات الأمريكية تسعى وترغب

إلى توسيع رقعة استثماراتها الطاقوية من أجل تنويع مصادر طاقتها لتشمل المناطق البحرية اللبنانية، وفي هذا الإطار قامت الولايات المتحدة الأمريكية عام 2019 بإنشاء مركز أمريكي يتخصص في شؤون شرق المتوسط، ومهمته تنطوي على تقديم التقارير إلى الكونغرس الأمريكي بصدد خطة عمل تلك الشركات التي تعمل على اكتشاف واستثمار طاقة شرق المتوسط وتطويرها، فضلاً عن، التسهيلات التي تقدمها ([28]).

ومن بين الأهم الاستراتيجيات المعتمدة عليها لضمان أمن إمدادات الطاقة، السيطرة على المناطق الجيوبوليتيكية خاصة ممرات أو المنافذ المائية كالبحار والمحيطات والخلجان. فهذه المناطق تعتبر اختزالا مثاليا لتاريخ العلاقات الدولية، خاصة الشرق الأوسط فبسبب وفرة النفط والغاز، شكل مركز انجذاب، وأصبح ضمن الأجندة السياسية الخارجية للدول العظمى، وأيضا منطقة بحر قزوين، وهذه المواقع تدخل في إطار إستراتيجية التنوع الجغرافي للمصادر، هذه الإستراتيجية تتخلص بتجنب الاعتماد على عدد محدود من نقاط الإمداد، أي أنها لا تعتمد على بلد واحد من أجل الإمداد بالنفط، بل تكون معتمدة على عدة بلدان، حتى تكون لها بدائل في حالة ما وقع نزاع أو ارتفاع أو نقص في الإمدادات من جهة أخرى ([29]).

انطلاقا لما تم ذكرهُ، تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على اتخاذ دورا محوريا في نزاع شرق المتوسط على الغاز، ويكمن دورها في اتجاهات كثيرة تتضمن دعمها للاتحاد الأوروبي لمنتدى غاز شرق المتوسط، وعلى النحو الآتي : ([30]).

1. تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دورا أمنيا هاما في تعزيز الأمن القومي والاستقرار في المنطقة من خلال التعاون مع حلفائها الأوربيين في قضايا الإرهاب ومواجهة التهديدات الأمنية الإقليمية، كما عملت على تعزيز الدعم العسكري الاستخباراتي للدول الأوروبية للمشاركة في حفظ السلام في المنطقة.

2. كما ساهمت في تعزيز الدور الدبلوماسي من خلال الوساطة والتفاوض بين الدول الأوروبية ودول شرق المتوسط، وقامت في تسهيل الحوارات في مسائل الصراع (الإسرائيلي) الفلسطيني وتوترات الحدود بين تركيا واليونان وقبرص.

3. كما لعبت دورا فاعلاً في تقديم الدعم الاقتصادي من خلال تعزيز التجارة والاستثمارات مع الدول الأوروبية ودول شرق المتوسط، في مجال الطاقة والنقل والتكنولوجيا، فضلاً عن، الدور السياسي والمتمثل في تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في المنطقة، وتواصل التأثير على السياسات الدولية والإقليمية من خلال الضغط على الحكومات لتحسين الإصلاحات المتعلقة بالحريات وحقوق الإنسان.

إذ تستهلك الولايات المتحدة الأمريكية ما يقارب 25% من الإنتاج العالمي للنفط، وتستورد ثلثي هذا الاستهلاك من منطقة الشرق الأوسط، مما جعل هذه المنطقة تحتل مكانة كبيرة في توجهات ورسم السياسة الخارجية الأمريكية، كما أنها تمثل عصب الاقتصاديات العالمية ومحطة التنافس الدولي وصرعات القوى الكبرى في سبيل تأمين الحصول على الطاقة، وتشكل محور الاستثمارات العالمية وسوقا استهلاكية ضخمة، إذ تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى حرمات الشركات المنافسة لها في صناعة النفط، إذ تحتل المرتبة الأولى في الصناعات النفطية ([31]).

أما فيما يتعلق الأمن الطاقوي الروسي الذي ينطلق من هدفين تأمين الإمدادات أولا وتأمين الوصول الآمن للطاقة للأسواق العالمية والحفاظ على استقرار عدم تقلبات الأسعار ثانيا، وشكلت الأزمة الأوكرانية عبئا كبيرا على الأمن الطاقوي الروسي، إذ إن نسبة ما يقارب 80% من النفط الروسي يمر عبر الأراضي الأوكرانية مما شكل خطرا على عملية تدفق النفط لروسيا خلال فترة الحرب الروسية_ الأوكرانية إلى دول الاتحاد الأوروبي ([32]).

كما تعد منطقة شرق المتوسط ذات أهمية جيوستراتيجية لا يمكن الاستغناء عنها، من أجل التحكم في طبيعة التفاعلات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، ابتداء من الأجندة العسكرية وصولا إلى العلاقات الاقتصادية، إذ تعمل روسيا على تحديد أولوياتها في المنطقة باعتبارها لاعبا محوريا رئيسا في المنطقة، إذ تتدخل روسيا في المنطقة انطلاقا من الأهمية الجغرافية لمنطقة شرق المتوسط في استراتيجيتها، إذ تتخذ روسيا خطوات عسكرية واقتصادية _ تجارية من أجل تحقيق أهدافها والتحكم بمعابر الشرق الأوسط عن طريق أسطولها المتواجد في البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط، لذا نجد أن استراتيجية روسيا خليطاً بين المصالح السياسية والجيوسياسية والطاقة، إذ إنها تسعى إلى تعزيز تواجدها الجيوسياسي في شرق المتوسط، كما عملت على إنشاء قواعد عسكرية في طرطوس واللاذقية في غرب روسيا من أجل تواجدها جيوسياسيا في المنطقة وإحكام سيطرتها على النفط والغاز الطبيعي السوري لضمان الهيمنة على إمدادات الطاقة والنفط المتجهة إلى أوروبا ([33]).

إن الاستراتيجية الروسية وتوجهاتها تجاه الأمن الطاقوي يعود للعام 2000 منذ تولي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للسلطة، إذ دارت في مجملها حول ثلاث محاور رئيسة: الأول هو محاولة استعادة ما سبق وفقدته الدولة من سلطة على الشركات الروسية أما المحور الثاني فهو مصادر النفط والغاز الطبيعي ووضعه تحت ضمان السيطرة على خطوط نقل الطاقة في المنطقة والحيلولة دون إنشاء خطوط جديدة لا تمر عبر روسيا أو لا تكون روسيا شريكا فيها، أما المحور الثالث هو زيادة التوظيف السياسي لمصادر الطاقة في تنفيذ السياسة الخارجية لتحقيق بعض الأهداف الاستراتيجية، وبالتالي فإن ذلك أدى إلى تنوع توظيف سلاح الطاقة في توجهاتها الخارجية بين التهديد بقطع الإمدادات ورفع الأسعار، يضاف إلى ذلك التعاون مع الدول الكبرى المصدرة للنفط والغاز وخاصة مع الدول الواعدة في مجال الطاقة ([34])، وفي سبيل تحقيق استراتيجيتها، عملت روسيا على تحقيق الآتي:([35]).

1. عملت روسيا على زيادة نشاط الشركات العاملة في مجال الطاقة داخل الدول الأوروبية من خلال عقد الصفقات من أجل زيادة النشاط الروسي والتغلغل والهيمنة في قطاع الطاقة في أوروبا، مثل شراء 7% من رأس مال شركة جالب اذربيجا البرتغالية، والتي تورد مليارات المترات من الغاز الجزائري إلى أوروبا.
2. قامت روسيا بتكثيف حجم التعاون في مجال الطاقة مع أمريكا وأوروبا من خلال تأسيس المشاريع المشتركة التي تضمن لروسيا التواجد والتغلغل بكثافة في الغرب، مثل امتلاكها أكثر من 70% من مستودع الغاز الطبيعي الضخم في بلجيكا.
3. تتنافس روسيا على أهم مسارات نقل الطاقة في منطقة شرق المتوسط، لا سيما سوريا لعرقلة مشاريع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الهيمنة وإبعادها عن التحكم بإمدادات الطاقة، وعملت على تطوير التعاون في مجال الطاقة مع دول شرق آسيا وعددا من المنظمات الدولية الخاصة بالطاقة، فضلا عن التنسيق مع الأوبك ومنتدى الدول المنتجة والمصدرة للغاز، كما لجأت روسيا إلى اتباع "دبلوماسية الطاقة" لدعم موقف الدولة ومكانتها في المجتمع الدولي، ويتمثل ذلك في المشاركة في شركات النفط والغاز بفاعلية في الاتفاقيات الدولية والتفاوض في القضايا ذات العلاقة بالطاقة وتحقيق التوازن بين الدول المنتجة والمصدرة.

كما أن روسيا لا زالت ترى في دول محيطها الإقليمي لا سيما دول الكومنولث الدول المستقلة والدول الواقعة في شرق أوروبا حليفا هاما في توجهاتها نحو تحقيق أهداف الأمن القومي الروسي وحماية العقيدة العسكرية الروسية، لذا فإن صياغة نوع من التحالفات الاستراتيجية، لاسيما فيما يتعلق بقضايا أمن الطاقة مع محيطها الإقليمي الذي تعده

روسيا بوابة للمكانة الدولية التي تبحث عنها منذ عام 2000، ومن هنا تبرز الأهمية الطاقوية لأوكرانيا بالنسبة لروسيا، لا سيما في ظل مشروع العالمية التي تبحث عنه روسيا، والتي تقع ضمن دوائر أمنها القومي([36]).

إذ ترى روسيا في حساباتها السياسية أن منطقة شرق المتوسط منطقة نفوذ مناسبة لها، لا سيما مع تزايد أهميتها نتيجة لاكتشافات الطاقة الجديدة لكميات كبيرة من الغاز الطبيعي في المياه العميقة، واحتوائها لطبقة عميقة من الغاز طبقا لتقديرات هيئة المسح الجيولوجية الأمريكية والشركات العاملة في التنقيب عن الغاز ([37]).

كما أن الاستراتيجية الروسية تجاه الاتحاد الأوروبي تنطوي على التدخل نتيجة لأهميتها لاسيما في القوقاز وآسيا الوسطى، إذ اتخذت شكل الحرب على الطاقة بين الطرفين من خلال فرض المزيد من الصعوبات على توريد النفط والغاز الطبيعي، وتجسد ذلك بأزمة الطاقة التي فرضتها روسيا عامي 2006_2009 على توريد الغاز الطبيعي عبر أوكرانيا، كما أنها أطلقت يد الشركات الروسية للطاقة من أجل الاستثمار في الاتحاد الأوروبي لا سيما شركة غاز بروم لكي تمارس عددا من الضغوطات السياسية والاقتصادية والعسكرية على دول الاتحاد الأوروبي، كما أنها تحاول أن تضفي الشرعية والقبول لاستراتيجيتها تجاه جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، إذ انتهجت روسيا سياسة تقوم على ثلاثة محاور، وعلى النحو الآتي :([38])

1. الكبح التدريجي لمحاولات التحرر الاقتصادي للجمهوريات من السيطرة الروسية.
2. تقيد أية محاولة من محاولات البناء الذاتي للقوة العسكرية المستقلة.
3. السيطرة على ثلاثة تهديدات رئيسة تعترض الأمن القومي الروسي وهي عدم الاستقرار الناتج من الأزمات الإقليمية مثل الأزمة الأفغانية والتدخل الأمريكي في المنطقة وانعكاسهُ على الاستقرار في المنطقة، فضلاً عن التدخل الإيراني _ التركي في آسيا الوسطى والقوقاز، فضلاً عن، الخوف من الأصولية الإسلامية المتشددة لاسيما بعد الانتشار الكبير للجهاديين في الشرق الأوسط، إذا نجد أن هنالك تنافس روسي _ أمريكي، إذ تحاول الأخيرة أبعاد السيطرة الروسية عن موارد الطاقة في بحر قزوين وعزلها واحتواء نفوذها عن دائرة سيطرتها ومصالحها، وفي المقابل فإن روسيا تبدي قلقا كبيرا من أن الاستثمارات في حقول نفط بحر قزوين سوف تسلبها بعض أسواقها، فهي تخشى من احتمالين :([39]).

1. السيطرة على إنتاج النفط والغاز.
2. السيطرة على خطوط الطاقة التي تقول بنقل البترول إلى الأسواق الغربية.

وكذلك ترتبط الاستراتيجية الروسية باستراتيجية الطاقة للاتحاد الأوروبي الذي يعد من أكبر مستهلكي الطاقة، ومشكلته الأساس أنه يعتمد بدرجة كبيرة على الغاز الروسي، بمعنى أن تقع تحت رحمة روسيا من النواحي السياسية والاقتصادية والأمنية، لذا فهو يعتمد على استراتيجية تنويع مصادر طاقتهُ، وبالتحديد من الجانب منطقة شرق المتوسط التي تعد فرصة كبيرة لتحقيق هدف تنويع طاقتها، إذ تعمل على مشاركة شركات البحث والتنقيب عن النفط والغاز التابعة لها، لا سيما بعد تأزم العلاقات مع روسيا عقب التدخل الروسي في أوكرانيا واحتلالها لشبه جزيرة القرم عام 2014، إذ تقدم روسيا عام 2022 حوالي 30% من صادرات النفط إلى الاتحاد الأوروبي، وأكثر من 40% للغاز، ونحو 30% للفحم، إذ أن المنطقة تمتلك قدرة تصديرية تصل إلى 29 مليار قدم مكعب، لذا نجد أن الاحتياطات الضخمة التي تحتويها المنطقة (شرق المتوسط) دفع أوروبا لتقديم الدعم لمشاريع الطاقة التي تهدف إلى جلب الغاز من شرق المتوسط إلى أوروبا أو دعم إنشاء مصدر أوروبي جديد للطاقة، لتحويلها إله منطقة دعم يساهم في تلبية الاحتياجات المستقبلية لأوروبا من الغاز الطبيعي([40]).

كما تسعى الدول الكبرى إلى تنويع احتياجاتها من الطاقة، فمثلا الصين تعتمد على أكثر من منطقة مثل دول الشرق الأوسط ودول آسيا الوسطى وبعض الدول الأفريقية، وعملت على تعزيز تعاونها مع الدول المصدرة لاكتشاف مصادر طاقة جديدة، إذ تعمل على إدارة الحقول القديمة وتطويرها، وبدأت الشركات الصينية في الدخول في مشاريع استثمارية في مجال الطاقة من أجل تأمين احتياجاتها وفق سياق يحقق لها زيادة في المخزون الاستراتيجي، فضلا عن العمل على توسيع دائرة نفوذها الاقتصادي والسياسي في الشرق الأوسط وأفريقيا ([41]). إذ انتهجت الصين سياسة التركيز على أدوات القوة المرنة في إدارة علاقاتها الخارجية وتأمين أمنها الطاقوي، إذ ركزت على تدعيم الروابط الدبلوماسية وتبادل الزيارات من أجل التمهيد لدخول شركاتها الوطنية في استثمارات الدول المنتجة للطاقة، إذ إن الأدوات التي تنتهجها الصين تختلف تماما عن الأدوات / الوسائل التي توظفها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قضية الأمن الطاقوي ([42]).

يتضح مما تقدم، أنّ استراتيجيات الهيمنة الطاقوية تمثل أداة هامة ومركزية في تعزيز النفوذ الدولي للقوى الكبرى ومكانتهم في النظام الدولي من خلال السيطرة على موارد الطاقة وخطوط نقلها. فقد أظهرت النماذج التحليلية أنّ هذه الاستراتيجيات لا تقتصر على البعد الاقتصادي، بل تمتد لتشكل القوة الجيوسياسية والعسكرية _ الأمنية، كما أنّ التنافس على مصادر الطاقة وممراتها ينعكس بصورة مباشرة على إعادة تشكيل موازين القوى العالمية وتوزيعها بناءً على امتلاك الدولة لموارد الطاقة، وتبرز هذه المعطيات أهمية إدراك الترابط بين أمن الطاقة والسياسات الدولية في صياغة النظام العالمي. وعليه، فإن فهم هذه الاستراتيجيات يبقى شرطاً أساسياً لتفسير ديناميكيات التنافس والصراع والتعاون بين القوى الدولية.

المطلب الثاني: تداعيات التنافس الطاقوي على الأسواق العالمية

منذ الثورة الصناعية أصبح للطاقة دورا أساسا وحاسما في الاقتصاد العالمي، فمعظم الصراعات كانت حول السيطرة على الموارد الطاقوية، وكذلك التحكم في المناطق التي تتواجد فيها الطاقة، حتى تتمكن من توفير إمداداتها في ظل تزايد الطلب عليها، ومن ثم أصبح أمن الطاقة أحد محددات السياسة الخارجية والدفاعية للدول لاسيما القوى الصاعدة، ببروز لاعبين جدد على الساحة الدولية والإقليمية أحدثت تحولات في خريطة الطاقة على المستوى العالمي([43]).

وأصبح التنافس الطاقوي محركاً رئيسياً للتحولات الاقتصادية العالمية، إذ تتداخل فيه مصالح الدول الكبرى والشركات العابرة للحدود. وتنعكس هذه الديناميكيات في تقلبات الأسعار، وتغير أنماط الاستثمار، وإعادة رسم تحالفات الطاقة الدولية، إذ تعد خطوط الطاقة ركيزة أساسية في التوازنات الجيوسياسية والاقتصادية العالمية، ما يجعلها هدفاً رئيسياً لاستراتيجيات الهيمنة الدولية، وتُمارَس السيطرة عليها من خلال أدوات متنوعة تشمل الاتفاقات الاقتصادية، والتدخلات السياسية، واستخدام القوة بأنماطها المتنوعة تهدف هذه الدراسة إلى تحليل آليات النفوذ التي تعتمدها القوى الكبرى لضمان تحكمها في مسارات الطاقة ومناطق عبورها الحيوية، إذ يشكل التنافس الطاقوي بين القوى الدولية عاملاً مركزياً في إعادة تشكيل خارطة الأسواق العالمية، لما للطاقة من دور محوري في تحفيز النمو الاقتصادي وضمان الأمن القومي، وقد أدت التحولات في موازين القوة الطاقوية إلى بروز ديناميكيات جديدة أثرت في استقرار الإمدادات، وتذبذب الأسعار، وتوجيه الاستثمارات. كما ساهم هذا التنافس في تعميق الروابط الاقتصادية والسياسة، إذ بات التحكم في موارد الطاقة أداة استراتيجية للنفوذ الجيوسياسي، إذ سيطرت مجموعة قليلة من شركات النفط العالمية اصطلح على

تسميتها الشقيقات السبعة_ المملوكة للولايات المتحدة الأمريكية والتي تعمل على استغلال واحتكار النفط والتحكم في الأسعار العالمية بأقصى حدود الاستغلال لتحقيق مصالحها الذاتية، والمصالح الحيوية للدول المنتمية إليها، دون الأخذ بنظر الاعتبار متطلبات ومصالح الدول الفقيرة، والدول المنتجة للطاقة، إذ تسيطر وتحتكر جميع مراحل النشاط الصناعي النفطي، ابتداء من الحفر والاستكشاف والتنقيب والاستخراج والإنتاج والتكرير والنقل والتوزيع إلى آخر مرحلة، وهي مرحلة الصناعات البتروكيمياوية، لذا فهي تسيطر سيطرة شبه كاملة على مناطق النفط في العالم، وبالتالي التحكم بمستوى الإنتاج والأسعار، مما مكنها من تزويد الاقتصاديات الغربية بالنفط العربي الرخيص من الشرق الأوسط، إذ أن كلما حدث خلل بين مستوى الطلب والعرض على النفط كلما أدى ذلك إلى حدوث نقصا شديدا في الموارد، وبالتالي تؤدي إلى زيادة حدة الصراعات بين المستهلكين حول الموارد، وبالتالي اللجوء إلى تدمير الطلب برفع الأسعار فوق طاقة اقتصاديات الدول، مما يدفعها للانسحاب من السوق ([44]).

فمنذ بداية عام 2022، ارتفعت التكلفة الإجمالية لموارد الطاقة في العالم بنحو 41٪. كما بلغ النمو في تكلفة المواد الزراعية الخام 22٪ في فصل الصيف من العام 2022. وفي خضم الصدمات الجيوسياسية والاقتصادية الحالية دخل الاقتصاد العالمي فترة من الاضطراب والتحول الهيكلي، إلى حد ما، تشبه هذه الفترة ما شهده العالم في السبعينيات من القرن الماضي، لكن الاحتمالات الحالية لسياسة مواجهة الأزمة في معظم البلدان لا تزال محدودة للغاية، إن المستوى المرتفع للديون المتراكمة والحاجة إلى تشديد السياسات النقدية ([45]).

إذ ضاقت الدول المنتجة للطاقة والمصدرة لها ذرعا بالممارسات الاحتكارية والاستغلالية من قبل الشركات النفطية العالمية، ولمواجهة ذلك لجأت إلى تنظيم مجموعة الدول المصدرة للنفط "الأوبك" للحيلولة دون احتكار الطاقة والتحكم بالأسعار من قبل الشركات الغربية ([46]).

ويمثل البعد الاستراتيجي في التنافس الطاقوي عاملاً حاسماً في توجيه سياسات الدول الكبرى وسلوكها في الأسواق العالمية. إذ تسعى القوى إلى تأمين مصادر الطاقة والتحكم في طرق نقلها لتحقيق مكاسب جيوسياسية واقتصادية، وينعكس هذا التنافس بشكل مباشر على استقرار الأسواق، وأسعار الطاقة، وتوازن العرض والطلب عالميا، إذ تعتبر الشركات الروسية خاصة "لوك أويل" و "غاز بروم" من كبرى الشركات العالمية العاملة في مجال الطاقة في مصر، وهنالك العديد من المشروعات التي بدأت بالفعل بين البلدين أهمها :([47]).

1. إجراء التعاون لإنتاج النفط بين شركة "لوك أويل" الروسية ومصر يصل إلى 10% من الإنتاج المصري من النفط وقدر إنتاج شركة "لوك أويل" الروسية في مصر بنحو 12 ألف برميل يوميا.
2. إقامة المشاريع المشتركة مع شركة "لوك أويل" الروسية باستثمارات روسية وتصدير الغاز الطبيعي المصري والتوسع في الأنشطة للبحث عن البترول وإنتاجه بخليج السويس.

وتقوم سياسة الطاقة الروسية علي التعاون والتنسيق مع كبار منتجي الطاقة للحفاظ علي السوق النفطية، وضمان حد أدنى لأسعار النفط، من خلال التحكم في حجم الإنتاج، وتنمية الصادرات الروسية من النفط والغاز لمختلف الأسواق الآسيوية والأوروبية، وتعزيز العلاقات المتنامية مع الصين، ثاني أكبر مستوردي الطاقة عالميا، وكان ذلك واضحا في الزيارة التي قام بها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في مايو عام 2014 للصين، وتوقيع اتفاقيات تعاون مع الصين الشعبية. ويمثل مشروع نقل الغاز الطبيعي الروسي إلى الصين واليابان أحد أهم ملامح التطور الراهن في سياسة الطاقة الروسية، واستكمال عملية مد أنبوب النفط الروسي الذي يمتد من سيبيريا إلى المحيط الهادي، والانطلاق في تصدير

الغاز والنفط الروسي لن يتم فقط في آسيا، ولكن أيضا أوروبا، إذ تقوم روسيا بإمداد الاتحاد الأوروبي بـ 27% من احتياجاته من النفط، وأكثر من 50% من احتياجاته من الغاز الطبيعي، فضلاً عن، منطقتي المحيط الهادي والاتحاد الأوروبي، فإن سياسة الطاقة الروسية تمتد كذلك إلى منطقة آسيا الوسطى، ذات الأهمية الجيوستراتيجية لروسيا، فضلاً عن ذلك، تدفع روسيا باستثمارات في قطاع الطاقة خارج روسيا، مع تشجيع شركات النفط الروسية على فعل ذلك، ليس فقط في مجال التنقيب، وإنما، أيضا في مجالات تطوير الإنتاج، والصناعات البتروكيماوية، ولذلك امتدت خريطة الاستثمارات الروسية في مجال الطاقة لتشمل المنطقة العربية، وإفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وأوروبا، إذ إن روسيا أكبر منتج في مجال الطاقة، وهي تحوز أكبر مخزون من الغاز الطبيعي، وهي الأولى في إنتاجه وتصديره، وهي ثاني أكبر احتياطي فحم في العالم، وتحتل الترتيب الثامن عالميا في تصدير الكهرباء، وتغطي أكثر من 10% من الاحتياج العالمي لليورانيوم، فضلا عن، مصادر الطاقة، تسيطر روسيا على شبكة خطوط نقل إلى دول وسط آسيا، ودول الاتحاد الأوروبي. وكل ذلك يستخدم كأداة من قبل روسيا لمكافأة أو معاقبة آخرين، من خلال قطع الإمدادات، أو التهديد بقطعها، أو رفع الأسعار قسريا، أو الاستحواذ على حصص من البنى التحتية للطاقة، أو من شركات الطاقة في دول أخرى للتأثير فيها، وذلك كما حدث مع الشركة الوطنية لنقل الغاز في روسيا البيضاء (بيلا روسيا)، واستطاعت روسيا توظيف قضية الطاقة وسياساتها كأداة للتأثير في دول الجوار الجغرافي، مثل أوكرانيا، ودول البلطيق (ليتوانيا، وإستونيا، ولاتفيا) وأرمينيا، وجورجيا ومولدافيا، ودول آسيا الوسطى([48]).

كما أن للحرب الروسية _ الأوكرانية تأثيرا كبيرا من الناحية الاقتصادية على أسواق الطاقة العالمية، في ظل اعتماد دول الاتحاد الأوروبي على روسيا في مجال الطاقة، ولا سيما في مجال الغاز أدى إلى خلق تبعية اقتصادية من جانب أوروبا لروسيا، وهنالك عددا من دول الاتحاد الأوربي التي تعتمد اعتماداً كبيرا على روسيا في مجال استيراد الغاز من خلال حوار الشراكة الاستراتيجي بينهم، لذا فإن تخلي دول الاتحاد الأوروبي عن الغاز الروسي مسألة في غاية الصعوبة، لأن روسيا هي الممول الخارجي الهام للغاز للاتحاد بما يعادل 50% من إمداداتها الإجمالية، ويساوي 25% من مجمل استهلاك دول الاتحاد من الغاز ([49]).

إذ تباينت المواقف الدولية عقب الحرب الروسية _+ الأوكرانية بين الدول الأوروبية فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية مع روسيا وخاصة إمدادات النفط والغاز، والتي أدت إلى شح في الإمدادات وارتفاع التضخم وارتفاع الأسعار وتراجع مستويات النمو، والذي وصل إلى نسبة 8.6% على مستوى جميع الدول الأوروبية، وهذا يعني أنه مرتبط بطبيعة العقوبات الاقتصادية التي تم فرضها على روسيا، والتي تمثل استراتيجية لاستمرارية التوازن في الاقتصاد العالمي، كونها من أكبر موردي الطاقة والغاز، وأكبر مصدر لها خاصة للدول الأوروبية، والتي تعتمد على ما يقارب 40% من الغاز الطبيعي، على الرغم من العقوبات المفروضة عليها، إلا أنها أدت إلى خطورة كبيرة بالنسبة للدول الأوروبية، إذ عمدت روسيا إلى قطع إمدادات الغاز بحجة أن التوربينات التي طلبتها شركة غاز بروم من المحدد، ومن جانب آخر أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها إلى فرض العقوبات على أكبر بنك روسي، والذي يلعب دورا في تمويل مشروعات البنية التحتية الروسية وأنشطة وزارة الدفاع، والذي جاء ردا على اعتراف روسيا بجمهوريتي دونيتسك ولوغانسك الانفصاليتين في شرق أوكرانيا وتحريك القوات العسكرية في أراضيها ([50]).

إذ إن العامل الاقتصادي يعد أهم عاملا محددا ورئيسيا للسياسية الخارجية الروسية، وعلى الرغم من أهمية نفط بحر قزوين إلا أن الرغبة الروسية تسعى إلى إضعاف النفوذ الأمريكي في منطقة الخليج العربي لتعزيز سيطرتها ([51]).

نستنتج مما سبق التنافس الطاقوي أحد العوامل البنيوية المؤثرة في بنية الاقتصاد العالمي، إذ يعيد صياغة أنماط العرض والطلب، ويؤثر في استقرار الأسواق. تسهم سياسات الهيمنة على موارد الطاقة وممرات نقلها في إعادة توزيع مراكز النفوذ الاقتصادي والجيوستراتيجي بين الفاعلين الدوليين، كما يفضي هذا التنافس إلى تقلبات حادة في الأسعار، بما يعكس هشاشة منظومة الإمداد العالمية واعتمادها على اعتبارات سياسية وأمنية. ويحفز ذلك الاقتصادات الكبرى على تنويع مصادرها وتعزيز الابتكار في مجالات الطاقة البديلة. وبذلك، يغدو التنافس الطاقوي عنصراً حاسماً في رسم مسارات النظام الاقتصادي الدولي وتفاعلاته المستقبلية .

الخاتمة والاستنتاجات

إن أمن الطاقة أصبح عنصرًا أساسيًا في معادلات الهيمنة الدولية، والدول التي تسيطر على خطوط الطاقة تمتلك أدوات تأثير هامة ومؤثرة على خصومها وشركائها على حد سواء. كما أن الصراع على الطاقة يعيد تشكيل التحالفات بشكل جديد ومختلف بناءً على مجموعة من المحددات والمتغيرات، ويغذي التوترات الدولية، ويغني التفاعلات بين الدول بالمزيد من المفاهيم والسرديات الجديدة، إذ يمكن التعامل مع قضية الأمن الطاقوي وفقاً لسياسات المنفعة المتبادلة بين الدول المالكة لها والمستهلكة لها، إذ لا نخرج بنتيجة صفرية، إذ يمكن الابتعاد عن التفكير الصفري والنظر إلى المتنافسين على أنهم شركاء مصلحة _ منفعة متبادلة لتحقيق التنمية والتقدم؛ وبالتالي تحقيق الأمن الإقليمي والدولي والابتعاد عن الصراعات والحروب، كذلك يمكن التعويل على ما يسمى بـ (دبلوماسية الطاقة)، والتي تنطوي على الأنشطة الخارجية المرتبطة بالحكومة، والتي تهدف إلى ضمان أمن الطاقة في الدولة مع تعزيز فرص الأعمال المتعلقة بقطاع الطاقة، من بين مجموعة من أدوات السياسة الخارجية التي يمكن التعويل عليها لدعم مصالح الطاقة في الدولة أثناء التحول العالمي لها، لأن حوكمة الطاقة غالبا ما تكون تحت سيطرة وسيادة الدولة، أن هذا المفهوم المحدود لحوكمة الطاقة يخلق مفارقة السيادة، على الرغم من التوترات والصراعات التي تعيشها المناطق ذات الموارد الطاقوية، لاسيما منطقة شرق المتوسط إلا أن تلك المنطقة تبقى ذات أهمية جيو ستراتيجية ومنطقة تنافس دولي وإقليمي، مما ينعكس ذلك على مسارات التعاون الجديدة من أجل تحقيق المصلحة للدول المنتجة والمستهلكة للطاقة .

ومن هذا المنطلق ترد مجموعة من الاستنتاجات، وعلى النحو الآتي:

1. إن الطاقة لم تعد مجرد مورد اقتصادي، بل أداة استراتيجية حيوية للتنافس والتعاون والصراع في آن واحد.
2. خطوط الطاقة تشكل ساحة غير مباشرة لصراعات النفوذ للسيطرة على الأمن الطاقوي والتحكم بخطوط النقل العالمية والممرات الحيوية .
3. إن الدول بحاجة إلى تنويع مصادر الطاقة، وبناء استراتيجيات طاقوية مستقلة، مثل الاعتماد على الطاقة النظيفة (الصديقة) وهذا ما اعتمدته الدول الصناعية الكبرى للتقليل من التلوث البيئي .
4. في ظل التنافس على أمن الطاقة، نجد أن الطلب العالمي على الغاز الطبيعي سيرتفع بشكل كبير خلال العقدين القادمين وفق بيانات منظمة الدول المصدرة للنفط، وفي ظل هذه الزيادة والتنافس على الطاقة، أدى إلى حدوث تغيرات كبيرة في خريطة إنتاج الغاز وتصديرهُ، فضلاً عن، تصاعد حدة المنافسة على المصادر الأساس وبنيته التحتية مثل خطوط الإنتاج والممرات البحرية الاستراتيجية الحيوية وأنابيب التصدير، لذا لجأت بعض الدول وتحديداً الدول الصناعية الكبرى ذات الاستهلاك الكبير مثل أوروبا واليابان والصين إلى اعتماد سياسات التوجه نحو الطاقة الصديقة

للبيئة للتقليل من الانبعاثات الغازية الملوثة وإغلاق المفاعلات النووية والتخلص من الفحم، مع الاعتماد على الغاز الطبيعي كمصدر طاقة نظيف وأكثر موثوقية .

5. إن الطاقة تعد عاملاً أساسا لتعزيز التعاون بين الدول، ويمكن أن تخلق فرصاً لتحقيق التكامل الاقتصادي والشراكات الاستراتيجية، مما يجعلها مدخلاً لبناء العلاقات، وليست مجرد ساحة للاحتراب والتنافس .

6. يمكن أن لا ننظر لأمن الطاقة على أنها لعبة صفرية، إذ يكون مكسب أحد الأطراف خسارة محتملة للطرف الآخر، إذ يمكن التعامل معها على أنها قضية تبادل منفعة ومعادلة الرابح _ رابح، إذ تستفيد الدول المنتجة والمستهلكة معا من تدفقات الطاقة المستقرة، فضلاً عن، الاستثمارات ونقل التكنولوجيا والخبرات، وبالمحصلة فإن كل ذلك يعزز من سبل التعاون، ويخلق جوا من الاستقرار والأمن الإقليمي والدولي .

7. إن جميع القضايا الأمنية لها تداعيات وتأثيرات على أمن الطاقة، ولكن بطريقة مختلفة، ولا سيما مسألة عدم الاستقرار والصراعات العرقية والحركات الانفصالية وغزو المناطق الغنية بالنفط والغاز الطبيعي.

8. إن قوة الدولة في عالم اليوم يرتبط ارتباطا وثيقا بامتلاكها لموارد الطاقة.

9. إن الأمن والاقتصاد أصبحا اليوم مترابطان ومكملان لبعضهما البعض.

10. إن الاستراتيجية الروسية تسعى إلى تنمية اقتصادها الوطني من خلال العمل على خلق بيئة دولية مستقرة وآمنة للتحرك والتطور؛ نظرا لاعتماد اقتصادها على الطلب المتزايد على الطاقة.

11. إن مصادر الطاقة الروسية تتمثل في المشاريع العملاقة من موانئ وخطوط بحرية لنقل الطاقة، فضلاً عن، شركاتها المتعددة والتي تمثل إحدى أدوات التأثير والهيمنة الاقتصادية الخارجية لا سيما تجاه دول الاتحاد الأوروبي، مما انعكس إيجابا على أمنها القومي، فالحفاظ على الأمن الطاقوي جزءا لا يتجزأ من تطورها من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة.

12. إن هنالك وجهان لأمن الطاقة أحدهما أمن الطلب والثاني أمن العرض، إذ إن الدول المنتجة والمستهلكة تسعى إلى تأمين العرض والطلب، إذ تميل الدول المصدر للطاقة إلى توفير الأمن للطلب في البلدان المستوردة للطاقة، في حين سياسة أمن الطاقة للدول المستوردة هي توفير الأمن للطاقة.

13. إن الكثير من الأزمات والتحديات يمكن أن تؤثر على أمن الطاقة أبرزها الصراعات العرقية والهوياتية، الحركات الانفصالية وعدم الاستقرار السياسي وغيرها.

<u>تبلورت في ذهن الباحث مجموعة من التوصيات، وعلى النحو الآتي:</u>

1. يجب تطوير برامج تنموية جادة وفعلية من أجل تطوير واستغلال مصادر الطاقة بشقيها (النفطي _ الغازي) من قبل الدولة بتعزيز دور القطاع الحكومي، فضلاً عن، تشجيع الاستثمارات الأجنبية، فهي تمثل خيارا استراتيجيا للدولة من أجل تأمين الطاقة وتحقيق برامج التنمية المستدامة.

2. العمل على دعم برامج البحث والتطوير في مجال الطاقة والطاقة المتجددة من خلال إنشاء مراكز بحثية المتخصصة لاستغلال مصادر الطاقة وإيجاد بدائل متعددة للطاقة.

3. فتح آفاق التعاون مع الدولة المتقدمة ونقل الخبرات وتعزيز الجانب الاستثماري في مجال الطاقة، وتحديدا في مجال التكنولوجية.

4. إن قضية الطاقة باتت تعد من أهم التحديات التي تواجه الدول، إذ بدأت تلعب دورا مزدوجاً كأداة لتعزيز الجانب التعاوني والزراعي في أن الوقت، فمن جهة أدت إلى تعزيز التعاون بين الدول من أجل تحقيق المكانة وبالتالي تعزيز النفوذ، ومن جهة ثانية أدت إلى إبراز الجانب الصراعي بين الدول من أجل حصول الوحدة الدولية على كفايتها من الطاقة من أجل الديمومة والبقاء؛ وبالتالي تعزيز المكانة والنفوذ والتأثير.

5. إن الانتقال نحو مصادر الطاقة المتجددة أدى ذلك إلى إعادة تنشيط الصراعات الدولية الجديدة من أجل السيطرة على موارد الطاقة، إذ باتت محور الصراعات وأساسها من أجل الهيمنة والنفوذ.

6. العمل على إنشاء مراكز متخصصة في الأبحاث والدراسات التي تتعلق بصناعة الغاز الطبيعي وتبادل الخبرات مع مراكز ذات خبرة في مجال الطاقة.

7. العمل على إنشاء سوق خاص بالغاز الطبيعي غير منتدى غاز شرق المتوسط، من أجل تقديم الخدمة للدول ذات الاكتشافات الغازية من خلال تأمين سوق العرض والطلب وتنمية الموارد الطاقوية، والعمل على تحسين العلاقات التجارية بين دول المنطقة.

قائمة المصادر:

[1]_ بومدين وسيلة، دور الطاقة في العلاقات الدولية: مدخل تحليلي بين التعاون والصراع، مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 9، العدد1، جامعة تلمسان، الجزائر،2025، ص 140.

[2]_ المصدر نفسه، ص 141.

[3]_ عمر جعرون، عبد القادر جلال، تأثير الاستهلاك الطاقوي على تحقيق الأمن الطاقوي في الجزائر دراسة قياسية خلال الفترة 200_2021، مجلة التنمية الاقتصادية، المجلد 9،العدد 2،الجزائر،2024، ص 98.

[4]_ دغموم هشام، ضويفي حمزه، واقع الاستثمار في الطاقة المتجددة على المستوى الدولي والوطني ومختلف التحديات المستقبلية في هذا المجال، مجلة المعارف، المجلد 14، العدد1،الجزائر، جوان 2019، ص 318.

[5]_عمرو عبد العاطي، امن الطاقة في السياسية الخارجية الأميركية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، بلا تاريخ، ص 54.

[6]_ عمر جعرون، عبد القادر جلال، مصدر سبق ذكره، ص 100.

[7]_ بومدين وسيلة، مصدر سبق ذكره، ص 141.

[8]_ عمرو عبد العاطي، مصدر سبق ذكره، ص 53.

[9]_ عمر جعرون،عبد القادر جلال،مصدر سبق ذكره، ص 100.

[10]_ المصدر نفسه ، ص ص 100_101.

[11]_ طابلي مريم، بورياح سلمة، سياسات الامن الطاقوي ودورها في تجسيد الامن الغذائي في الجزائر افاق 2023، المجلة الاكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد 9،العدد1،الجزائر،2025، ص 1036.

[12]_ بومدين وسيلة. مصدر سبق ذكره، ص ص 142_143.

[13]_ دغموم هشام، ضويفي حمزه، مصدر سبق ذكره، ص319.

[14] Rajeev Dhir. Nonrenewable Resource: Definition, Features, and Exampl _ Retrieved. from: Nonrenewable Resource: Definition, Features, and Examples (investopedia.com)

[15] Ramkumar, A., & Marimuthu, R." The reclassification of energy sources for electrical energy". Frontiers in Energy Research ,2023.

Frontiers | The reclassification of energy sources for electrical energy (frontiersin.org)

[16]_ رتيبة برد، استراتيجية الهيمنة الإقليمية، مجلة السياسة العالمية، المجلد5، العدد2، الجزائر،2021، ص 324.

[17]_ محمد لبيب مسيخ، استراتيجية الهيمنة الامريكية تجاه تحولات ما بعد نهاية الحرب الباردة 1990_2020، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، قسم العلاقات الدولية، الجزائر،2024/2023، ص 25.

[18]_ علي مزاحم مجبل، اثار الهيمنة الامريكية على مسار العلاقات الدولية في الشرق الأوسط، مجلة حمورابي للدراسات، العدد53، السنة 14، العراق،2025، ص 161.

[19]_ مروة خليل، مفهوم الهيمنة في نظريات العلاقات الدولية، كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية ، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية،2020، ص 79.

[20]_ رتيبة برد، مصدر سبق ذكره، ص ص 326_ 327.

[21]_ المصدر نفسه، ص ص 327_ 328.

[22]_ مروة خليل، مصدر سبق ذكره ، ص 90.

[23]_ محمد جاسم حسين الخفاجي، روسيا ولعبة الهيمنة على الطاقة: رؤية في الأدوار والاستراتيجيات، ط1، دار امجد للنشر والتوزيع،العراق،2019، ص ص 55_56.

[24]_ المصدر نفسه ، ص ص 54_55.

[25]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل، صراع الطاقة على ضفاف المتوسط :مقاربة جيوبو ليتيكية لتأثير الغاز الطبيعي على امن أوروبا،ط1،دار هاتريك للطباعة والنشر، العراق،2025، ص ص 104_105.

[26]_ محمد جاسم حسين الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 57.

[27]_ المصدر نفسه، ص 57.

[28]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل، مصدر سبق ذكره، ص 107.

[29]_ جميلة مرابط، مفهوم الأمن الطاقي: أبعاده وتجلياته واستراتيجيات تعزيزه، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنيت، يوم 2018/3/8، متاح على الرابط التالي مفهوم الأمن الطاقي: أبعاده وتجلياته واستراتيجيات تعزيزه (droitetentreprise.com)

[30]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل، مصدر سبق ذكره، ص ص 150_151.

[31]_ عبد الرزاق بو زيدي، التنافس الجيوبوليتيكي والطاقوي بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط 2010 /2016،مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد15،الجزائر، جانفي 2017،ص 268.

[32]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل ، مصدر سبق ذكره ، ص 58.

[33]_ المصدر نفسه ، ص ص 107_ 108.

[34]_ سليم عشور، الامن الطاقوي: مقاربة مفاهيمية ونظرية وتطبيقية، مجلة افاق للعلوم، المجلد8،العدد3،جامعة محمد بوضياف _المسيلة، الجزائر،2023،ص ص 823_824.

[35]- أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل ، مصدر سبق ذكره، ص ص 153_154.

[36]_ محمد جاسم حسين الخفاجي، مصدر سبق ذكره ، ص ص147_148.

[37]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل ، مصدر سبق ذكره، ص 154.

[38]_ المصدر نفسه، ص ص 111_ 112.

[39]_ المصدر نفسه، ص ص 112_113.

[40]_ المصدر نفسه، ص ص ص 113_114_115.

[41]_ المصدر نفسه، ص 60.

[42]_ سليم عشور، مصدر سبق ذكره، ، ص 823.

[43]_ جميلة مرابط، مصدر سبق ذكره، بلا ص.

[44]_ سفيان بلمادي، جيو سياسية الطاقة والامن الدولي: افاق ورهانات، مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية، مخبر المؤسسات الدستورية والنظم السياسية ، العدد 3، الجزائر، أيلول 2017، ص 89.

[45]_ شهاب المكاحله : أمن الطاقة والأسواق العالمية، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنيت في يوم 2022/11/30 في تمام الساعة 12:34 مساء، تم اطلاع الباحثة عليه يوم 2025/8/14،بلاص متاح على الرابط التالي أخبارنا | د. شهاب المكاحله : أمن الطاقة والأسواق العالمية(akhbarna.net)

[46]_ سفيان بلمادي، مصدر سبق ذكره، ص 90.

[47]_عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الجيوبوليتيكي والطاقوي بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط 2010_2016، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد15،الجزائر، جانفي 2017،ص 271.

[48]_ مصطفى علوي، خريطة جديدة: تحولات امن اطاقة ومستقبل العلاقات الدولية،2016/6/21،مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنيت، تم اطلاع الباحثة عليه يوم 2025/8/12،متاح على الرابط التالي خريطة جديدة: تحولات أمن الطاقة ومستقبل العلاقات الدولية - مجلة السياسة الدولية(siyassa.org.eg) .

[49]_ أنور حامد حمد، اخلاص قاسم نافل، مصدر سبق ذكره، ص 177.

[50]_ بالغيثار مسعود، براهمية عمار،الحمائية الجديدة: ازمة الطاقة ودورها في مجابهة الهيمنة الامريكية على الاقتصاد العالمي، مجلة أبحاث اقتصادية معاصرة، المجلد 7،العدد2،الجزائر،2024،ص ص 351_352.

[51]_ عبد الرزاق بوزيدي، مصدر سبق ذكره، ص 269. للمزيد ينظر:جميلة زيغيم، إشكالية الأمن الطاقوي في العلاقات الدولية، دراسات استراتيجية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، المجلد27،العدد27، الجزائر، جوان 2018، ص ص 73_74.

التحوط السيبراني والفاعلية الإستراتيجية "الصين انموذجاً"

Cyber Hedging and Strategic Effectiveness: China as a Model

Sarmad Zaki Al-Jadir [1]

Zahraa Hassan Kadhim [2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

Many strategy scholars have disagreed with the logic of generalizing the objectives and drivers of state policies. Rather, they have valued the individual and historical characteristics of states as the basis for formulating strategy and acceptable alternatives for the state. This difference arises from factors: history، societal narrative، culture، and geography. especially since states' behavior varies. Over time، several approaches and theories have been developed to understand the origins and factors influencing strategies—especially those of great powers—and to explain the long-term objectives and hierarchy of these states. And that identify options and adopt acceptable policies that are appropriate to the reality of the ineffectiveness of military force alone. One such approach is known as "hedging،" as part of an approach that opens up more than one strategic option against the possibility of a future security threat، and to achieve strategic impact.

Cyber hedging is a form of coercive power and the foundation of the cyber escalation ladder. It leverages a combination of the latest technologies in applications، entertainment، news، discussion، social media، and ideas; effective command and control protocols; and، most importantly، significant technical and operational capabilities in cybersecurity; in addition to the ability to execute offensive actions. Audiovisual communications offer policymakers new capabilities and strategically mature concepts that enhance the competitiveness of the hedging state" China ".

Keywords: *Cyber Hedging, Effectiveness, China, Behavior, Major Powers.*

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-6

[1] Prof. Dr., Al-Alamein Institute for Postgraduate Studies, Al-Alamein Institute for Postgraduate Studies, Iraq
aljadirsarmad@gmail.com

[2] Dr., Al- Mustansiriyah Center for Arabic and International Studies, Mustansiriya University, Iraq
zahraa23@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

لم يتفق الكثير من دارسي الإستراتيجية مع منطق تعميم الأهداف ومحركات سياسات الدول، بل ثمّنوا الصفات الفردية والتاريخية للدول كأساس في صياغة الإستراتيجية والبدائل المقبولة للدولة، إذ يتولّد الاختلاف من عوامل: التاريخ، والسرد المجتمعي، والثقافة، والجغرافيا، خصوصًا أنّ تصرفات الدول مختلفة. إذ طُورت مع الوقت عدة مقاربات ونظريات لفهم الأصول والعوامل المؤثرة في الإستراتيجيات – بخاصة للدول العظمى – وشرح أهداف هذه الدول البعيدة المدى وتراتبيتها، وذلك لمعرفة الخيارات واتخاذ سياسات مقبولة وملائمة لحقيقة عدم فعالية القوة العسكرية وحدها. وإحدى هذه المقاربات ما يُعرف (التحوط)، كجزء من نهج يفتح أكثر من خيار إستراتيجي واحد ضد احتمال تهديد أمني في المستقبل، وتحقيقاً لتأثير إستراتيجي.

عّد التحوط السيبراني شكلٌ من أشكال القدرة على الإرغام وأساس سُلَّم التصعيد الإلكترونيّ، عن طريق الاستعانة بمزيجٍ من أحدث ما تمّ التوصل إليه في: التطبيقات، والترفيه، والأخبار، والنقاش، والتواصل الاجتماعيّ، والأفكار، بروتوكولاتٍ فعالةٍ في القيادة والتحكم، والأهم: قدراتٍ تقنيةٍ وتشغيليةٍ هامة في مجال الأمن الإلكترونيّ، بالإضافة إلى القدرة على تنفيذ تحركاتٍ هجومية. إن الاتصالات السمعية – البصرية تقدم لصناع السياسات إمكانات جديدة ومفاهيم ناضجة إستراتيجياً تُحسن القدرة التنافسية لدولة التحوط منها "الصين."

الكلمات المفتاحية: التحوط السيبراني، الفاعلية، الصين، السلوك، القوى الكبرى.

المقدمة:

"لكن كل جيوش العالم لن تستطيع إيقاف فكرة حان زمنها " كما يقول فيكتور هوغو" منذ آلاف السنين، شغلت البشرية نفسها باستكشاف الواقع والسعي للحصول على المعرفة، وقد استندت هذهِ العملية إلى الاعتقاد: بأن تطبيق العقل البشري على المشكلات، بحرص وتركيز، يمكن أن يؤدي إلى نتائج قابلة للقياس.

أهمية البحث

حقيقةً أن التقدم التقاني هو القوة الدافعة في تحديد وصياغة المفاهيم المرتكز عليها صانع القرار في مجمل أدائه الإستراتيجي، لتعد السيبرانية هي المحددة لنتيجة اضطرار الفكر والعقليات إلى التأقلم والتكيف مع سيرورة واقع جديد وأكثر تعقيداً. وانطلاقاً من فكرة أن الأمور التي لا يمكن التنبؤ بها أصبحت عاملاً دائماً في السياسة الدولية، وما لا يمكن التنبؤ به بحكم التعريف يجب التحوط لهُ سيبرانياً وذلك من خلال :

- ❖ آليات سيبرانية ذات توظيف متزامن تكميلي.
- ❖ القدرة على اختيار أساليب عمل مختلفة والمتابعة من خلال ما تم اختيارهُ.
- ❖ بناء سلسلة افتراضية من الأفعال المترابطة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود.

أهداف البحث

إن الافتراضات الأساسية لحقبة ما بعد الحرب الباردة تقول: إن الدول تستجيب للابتكارات بطرق تحقق لها الحد الأقصى من مصالحها في مجال السياسات الخارجية. وأن قرارات الدول تتأثر بسلسلة من الحوافز والقيود التي من شأنها تشكيل إستراتيجياتها في نهاية المطاف. "وإذا كانت السياسة صراعاً بين الأفكار، فإن صناع القرار يحتاجون إلى أفكار وبراهين مقنعة لكي يفوزوا"، هنا التحوط السيبراني عنصراً أساسي والمحدد للطريق الإستراتيجي وذات عواقب لم يتم الاستعداد للتعامل معها بطريقة تقليدية. بما يجنبهم – صناع القرار- إغراءات عقيدة الإستراتيجية الواحدة.

إشكالية البحث

كل دولة تعتبر نفسها استثنائية، لكن بشكل مختلف، إذ يشير كل من الدافع التبشيري للولايات المتحدة وإحساس الصين بالتفوق الثقافي إلى نوع من التبعية للآخر، وبحكم طبيعة اقتصاداتهما وتكنولوجياتهما المتقدمة، تتقاطع الدولتان، عن طريق الزخم. فتثير الفكرة أعلاه السؤالين المركزيين عّدا أساس إشكالية بحثنا- :

- ♣ ما هو المطلوب لتحقيق التعايش الدولي؟ وكيف يتأقلم العالم مع عودة التنافس بين القوى العظمى؟
- ♣ من هو المعنّي بتحويل عنصر القوة المحتمل "السيبرانية" إلى مؤثر دائم "التحوط السيبراني"؟

فرضية البحث: - فرضيتنا مؤداها- :

"لما كان التنافس على الأرض والموارد والأسواق – في عصر السيبرانية – ينطلق من صّوغ القواعد والمبادئ ووضع الإجراءات والتقاليد في إدارة السياسة الدولية، لذا صّاغ التحوط السيبراني الصيني فكرة "تعلم الجمع بين التنافس الإستراتيجي الحتمي ومفهوم التعايش وممارستهُ."

منهجية البحث

منهجياً اعتمدنا على المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي، كمرتكزين في تحليل عوامل وقوى بحثنا هذا.

هيكلية البحث

وّزعت هيكلية بحثنا إلى ثلاثة محاور، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة وهي :

المحور الأول: - الإطار النظري – المفاهيمي:

1. في معنى التحوط السيبراني
2. ماهية الفاعلية الإستراتيجية.

المحور الثاني: - التحوط السيبراني والأوجه المتعددة للإستراتيجية الشاملة.

المحور الثالث: - القوى الصاعدة والتحوط السيبراني "الصين أنموذجا."

المحور الأول: الإطار النظري - المفاهيمي

توطئة:

إذا أحكمت تحديد المصطلح، فقد أمسكت بزمام الخطاب، لهذا السبب فإنه ليس من المستغرب أن فوضى التعريفات وتحديد المعاني الدقيقة للمصطلحات تعد من سمات تلك الأعمال "الاعتذارية"" التي تمس المسوغات والمبررات، وتهدف إلى تحديد الهوية المعرفية. فحقيقة الأمر أن المفاهيم لأي علم تتسم بالمرونة الكبيرة لدرجة تجعلها قابلة للتوسع أو التضييق في معانيها لخدمة الأغراض المختلفة لمستخدميها [3]. انطلاقاً مما تقدم قسمنا محورنا الأول إلى:

1. في معنى التحوط السيبراني.
2. ماهية التفاعلية الاستراتيجية.

1. في معنى التحوط السيبراني:

تاريخياً : كان التحوط سمة من سمات اقتصاديات السوق في عصر المخاطر لبعض الوقت، فكان أول صندوق تحوط هو ما أسسه الفريد وينسلو جونز في عقد الأربعينيات، وإن تكن نشأته التاريخية هذه ليست محل اتفاق ؛ إذ إن البعض من الاقتصاديين يرجعون بداية صناديق التحوط إلى إستراتيجيات التداول التي مورست داخل شركات الوساطة والمصارف الاستثمارية، بينما يرجعها آخرون إلى التداولات الآجلة ؛ وبخاصة تداولات العملة في السبعينيات .إذ تدرك الشركات الخبيرة أن المخاطر المالية التي تنجم عن عملياتها تقدم لها الفرصة لتعزيز أسسها، وفي الوقت ذاته تقوي موقف الشركة في السوق على نحو لا تتأثر سلبياً بتذبذبات الأسعار. [4]

استجابةً لحقيقة أن ثمة نقطة تحول في كل عصر، طريقة جديدة لرؤية وفهم تماسك العالم، لذا عدّ التحوط الاستراتيجي مخرج للأنظمة أحادية القطب التي تعاني من انتشار القوة؛ لتوضيح سلوك الدول من المستوى الثاني التي تسعى إلى تطوير قدرتها التنافسية من أجل تقليل الفجوة مع قائد النظام، أو حتى سد هذه الفجوة، زيادةً للفرص وتقليلاً للتهديدات إلى الحد الأدنى، لذا تقبل التكاليف قصيرة الأجل لإنشاء منافع قصيرة وطويلة الأجل. من ناحية أخرى، يسعى

---

[3] - ينظر في ذلك: -
ديفيد ليفنجستون ، مسيرة الفكر الجغرافي: محطات في تاريخ مشروع علمي محل نزاع ، ط1 ، ترجمة: عاطف معتمد واخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة , 2018 ، ص 479.

[4] - كريستوفو كوكر، الحرب في عصر المخاطر، ط1، ترجمة وتحقيق: كريم عبد الله، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي ،2011، ص ص220 -222.

قائد النظام إلى الحفاظ على تفوقه ومنع أي محاولة لتغيير شروط النظام الدولي القائم. نتيجة لذلك يخلق سلوك التحوط الاستراتيجي إستراتيجيات التوازن الإيجابية والسلبية.[5]

إن النظر إلى التحوط كخيار إستراتيجي يمكن أن تقوم به أي دولة، يرتكن على عدة شروط: **مزيج من الأدوات الإستراتيجية، القدرة على نقل المخاطر للآخرين، الفصل بين مجالات القضايا وتنويع الأهداف / الشركاء.**[6]

تّعد التوجهات الحديثة التحوط إما أن يكون مزيجًا من التدابير القسرية والتعاونية أو مزيجًا من التوازن والاذعان. ومع ذلك لا يمكن عّده تعريف فاعل يجمع ببساطة بين أدوات مختلفة كدولة تحوط ، لأنه بهذا التعريف الفضفاض ، ستكون كل دولة تقريبًا محمية، لكن ثمة نقطة أساسيه أخرى في التحوط: هي أداة التحوط الأكثر تأثيراً التي تتلاءم وقضايا مختلفة من خلال الاستفادة من منافذها[7] .المنطق ذاته يتطابق مع **"التحوط السيبراني"** حيث الأليات المعقدة التي تتحكم في صياغة أشكال عدة للفعل الإستراتيجي المؤثر ، وإن فهم الأخير الذي يمرره الرقمي يشكل رهاناً في[8]: القدرات ، والتبعات في السياسات، والاعتبارات المتعلقة برأس المال البشريّ، والاتجاهات بحسبها على حكومة ما من جهة التهديدات الناشئة . إذ تملك الدول فرصةً للنظر بإحداث تغييرات في إستراتيجيها الاستثمارية؛ وتطوير قوى عاملةٍ تستخدم ممكناتها المعلوماتية بالاستناد إلى منطلقين: **التهديد، الفرصة.**[9]

باتجاه مقابل: عدّ التحوط السيبراني باعتباره تأصيلاً نظرياً يمثل مسلكاً لحقيقة تحويل الوسيلة - **ثورة المعلومات**- إلى عامل فعّال بذاته تارة او ذلك المفضي إلى **(عوامل، ظواهر)** مؤثرة في البيئة الإستراتيجية تارة اخرى لتفرض قواعد ومعايير لممارسة ممأسسة[10].

المخطط رقم (1) مكونات التحوط السيبراني.

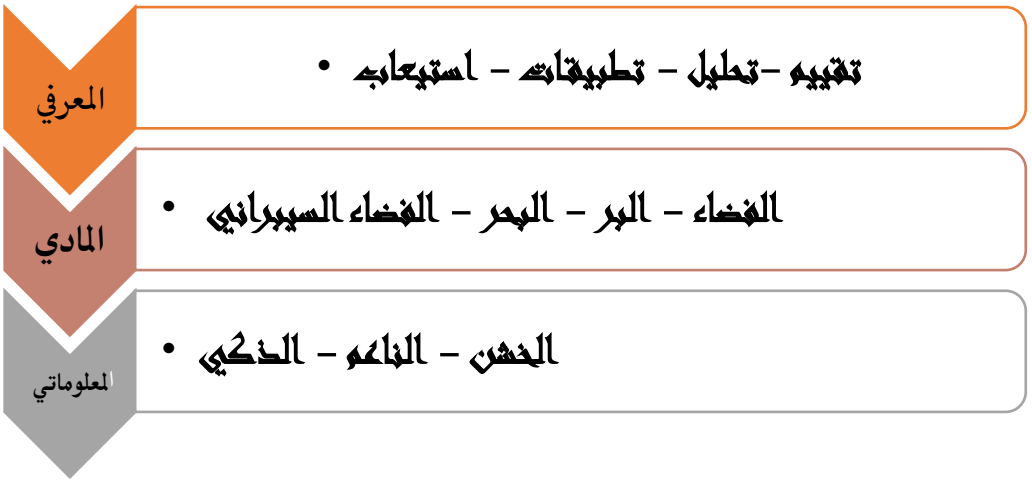

[5]- Mohammad Salman & Gustaaf Geeraerts, Strategic Hedging and Balancing Model under the Unipolarity, Paper was prepared for the Conference Midwest Political Science Association April 16-19,2015, Chicago,P:3.

[6] - S. Philip Hsu &Ryan Yu-Lin Liou , The Effectiveness of Minor Powers, Hedging Strategy: Comparing Singapore and the Philippines,2017, available at:.http://web.isanet.org/Web/Conferences/HKU2017-s/Archive/8be8a884-8037-4dcb-acbe-712562701219.pdf .

[7]- Ibid.

[8] - ريمي ريفيل ، الثورة الرقمية.....ثورة ثقافية ، ط1 ، ترجمة : سعيد بلمبخوت ، مراجعة : الزواوي بغورة ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، يوليو 2018، ص ص 28-29 .

[9]- Bruce Mc Clintock - Steven Berner & Cortney Weinbaum, Sigint for Anyone: The Growing Availability of Signals Intelligence in the Public Domain, perspective, Rand corporation , Santa Moinca-California , 2017, P.P: 1-2.

[10] - الصادق الحمامي، المشهد الثوري الافتراضي: نحو مقاربة للأصول التواصلية للثورة التونسية، في كتاب: ظاهرة ويكيليكس جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، سبتمبر 2013، ص211.

المخطط من إعداد الباحثين بالاستناد:

William Marcellino- Meagan L. Smith- Christopher Paul & Lauren Skrabala ، Monitoring Social Media: Lessons for Future Department of Defense Social Media Analysis in Support of Information Operations ، Report ، Rand corporation ، Santa Monica–California،2017،P:9. Stefan J.banach ، from Reagan to Entropy: the need for U.S. a national technology based strategy ، small wars Journal ، August 24 ، 2017، P: 6.

مرئياً: يجسد المخطط آنفاً مكونات التحوط السيبراني بوصفها مميزةً ولكنها مترابطة، فعلى سبيل المثال، قد يكون لخسارة القدرة المعلوماتيّة تأثيرات مهمّة على صنع القرارات في الدائرة المعرفية وعمل هندسة الشبكات في الدائرة المادّية. لقد وجدت الدول نفسها مستعينة بالأدوات الاصطناعية والتي تعتمد على إجراءات تعلّم خوارزمية أو مؤتمتة أو قائمة على البيانات، تتراوح هذه الأخيرة ما بين أجهزة جدّ عادية مثل روبوتات **(رومبا)** ومحركات تقديم التوصيات عبر شبكة الإنترنت **(واتسون)** وبين نظم معرفية أكثر تقدّمًا مثل **(آي بي إم)** ولا تنفكّ هذه الأدوات تصبح جزءًا لا يتجزأ من العمليات المنتظمة لصنع القرار[11]. من الناحية العملية يتميز التحوط السيبراني بثلاثة مبادئ رئيسة [12]:

المبدأ الأول: التكافؤ النسبي والتزامن: يتطلب ذلك اتباع نهج ثنائي المسار، متناسب، ومتساوٍ المسار كلما أمكن لتجنب الاعتماد المفرط على قوى واحدة من القوى العظمى المتنافسة سيبرانياً.

المبدأ الثاني: تدابير المعارضة والتصدي: يستلزم ذلك اتباع إستراتيجيات "**التفاعل والمقاومة** "المختلطة تجاه القوى المتنافسة لإبقاء الخيارات الإستراتيجية مفتوحة في أسوأ السيناريوهات.

المبدأ الثالث: تنويع المخاطر وخيارات السياسات: من خلال محاولة متابعة خيارات سياسية متعددة. وإذا نظّر إلى الابتكارات في عصر المعلومات على أنها أفكار غير ملموسة أو أفكار مجردة فإن ترجمتها إلى مؤثر أكثر كفاءةً يعتمد على طيفٍ من المرتكزات ذات الصلة بالفاعلية الإستراتيجية.

2: ماهية الفاعلية الإستراتيجية:

طالما أن الحديث عن الفاعلية الإستراتيجية بحث لهُ صلة بعلم دلالات الألفاظ، فإن الدقة تقتضي استخدام قاعدتين ارشاديتين متضاربتين نوعاً ما. تنص[13]:

❖ **القاعدة الأولى:** على أن المصطلحات يجب تعريفها تعريفاً صارماً ودقيقاً وبطريقة تفيد التحليل الاستراتيجي.

❖ **القاعدة الثانية:** ينبغي أن تكون التعاريف أقرب ما تكون لاستخدامات الكلمة عند العلماء والممارسين والجمهور العام. والأخيرة تتضمن احتمالات عالية للشك. خاصة أن القادة يعّدون للتعامل مع قضايا متشابكة بعد أن

[11]- Osonde A. Osoba & William Welser IV, The Risks of Artificial Intelligence to Security and the Future of Work, perspective, Rand corporation , Santa Moinca-California , 2017, P:1.

[12]- Alexander Korolev, Between Scylla and Charybdis Hedging and Australia's Foreign Policy Amid Intensifying US-China Rivalry, Journal of Indo -Pacific Affairs, SEPTEMBER-OCTOBER 2024 , P:66.

[13] - تيري ل. ديبل، إستراتيجية الشؤون الخارجية: منطق الحكم الأمريكي، ط1، ترجمة: وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009، ص 29.

تلاشت المسافات والحواجز، وأصبح ما يدور في اقاصي العالم لا يبعد عن أي شخص سوى بمسافة ضغط زر التحكم عن بعد "**الريموت كونترول**" أو من خلال الدخول على صفحة من صفحات الإنترنت [14].

الفاعلية لغة، تعني وصف في محل ما هو فاعل [15]. اما (**الفِعْلُ**) بالكسر حركة الإنسان أو كناية عن كل عمل متعدِ. وبالفتح مصدر فَعَلَ كمنع[16]. وإذا يتصل معنى الفاعلية بأسماء متعددة مثل (**الوسع**) وذلك عند قوله تعالى ﴿**وَلَا** نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[17]. ومثله (**الرباط**) و (**القوة**) وذلك من قولهُ تعالى ﴿**وَأَعِدُّوا** لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [18].

<u>والفاعلية في اللغة الإنكليزية مستمدة من كلمات / مفردات:</u>

authority – -Efficacy – efficiency – influence – performance – activity – effectiveness power clout – leverage. التي تعني فعالية – مؤثر – نافذ، كما جاء ذكره في قاموس المورد [19] . وفي طبعة أخرى تشير كلمة "efficacity" إلى مفهوم الفاعلية والقدرة على التأثير[20]. في حين تّرد الفاعلية (agency) بمعنى ممارسة السلطة. وتتم عادة مقارنة دور الوكلاء(agents) في الحياة الاجتماعية بدور الهياكل مثل المؤسسات او المعايير.[21]

وعلى أساس ما تقدم: تتّعدد الاختصاصات التي تتناول الفاعلية: جغرافياً [22]، ادارياً [23] ، اقتصادياً .... تبعاً لتّعدد مناحي معالجتها، إلا أن جميعها تصب في ثلاثية "الموارد / الأدوات، الهدف / النتيجة، الكلفة".

بكلمات موجزة: تعني العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج وذلك عندما تكون (**المخرجات** out put) أو النتائج التي يتم الحصول عليها أكثر وأفضل من (المدخلات In put) أي الجهود والتكاليف والموارد البشرية التي استثمرت [24]. المخطط رقم (2)

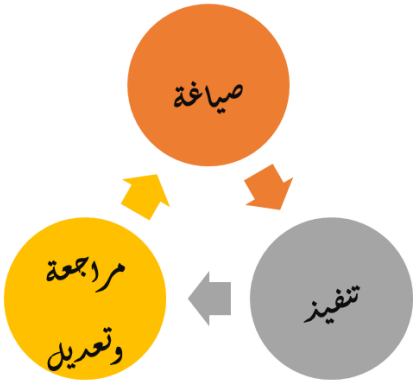

[14] - جاسم سلطان، التفكير الإستراتيجي والخروج من المآزق الراهن، ط2، مؤسسة ام القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، 2010، ص114.
[15] - المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص495.
[16] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، بلا سنة، ص32.
[17] - القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية 62.
[18] - القران الكريم، سورة الانفال، الآية 60.
[19] - روحي البعلبكي، قاموس المورد: قاموس عربي – انكليزي، ط23، دار العلم للملايين، بيروت، 2009 , ص 830.
[20] - منير البعلبكي، قاموس المورد: قاموس انكليزي – عربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2008، ص304.
[21] - انظر في ذلك: تيم دان واخرون " محررون "، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، ط1، ترجمة: ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، يناير 2016، ص 753.
[22] - امنة ابو حجر، المعجم الجغرافي، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، 2009، ص 540.
[23] - ابراهيم بدر شهاب الخالدي، معجم الادارة، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، 2011، ص 335.
[24] - ماجد عرسان الكيلاني، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر: بحث في الاصول السياسية للتربية والتعليم في الاقطار العربية، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، 2005، ص21.

المخطط بالاستناد إلى:

Todor Tanev, Efficiency and Effectiveness of Grand strategy, Public Policy, Vol:3، No:1، June، 2012، P:22.

يتركز التنفيذ الفعال للأولويات والأهداف الإستراتيجية المحددة في الخريطة الإستراتيجية. إذ توفر مرحلة المراجعة والتكيف فرصاً منتظمة لتكييف كل من الإستراتيجية ونهج التنفيذ لمواجهة الحقائق المتغيرة باستمرار. تشير النماذج الاستشارية للمراحل الواردة في المخطط أعلاه باسم "**التخطيط الإستراتيجي**" [25].

يضاف إلى ذلك: إن الفاعلية لا تختص بالأعداء فحسب بل بالحلفاء والشركاء والعلاقات فيما بينها كافة، وهو ما يدعوهُ أساتذة العلوم السياسية بـ لعبة "**الدافع المختلط**" حيث يكون لدى اللاعبين أهداف مشتركة وأهداف متعارضة في آن معاً كما هو الحال حيث تكون أوروبا والولايات المتحدة شركاء في المجال الأمني إنما متنافسين على الصعيد الاقتصادي، أو قد يتنافسان في التكنولوجيا المتقدمة أو المفاوضات التجارية [26]. **المخطط رقم (3) الفاعلية والكفاءة**

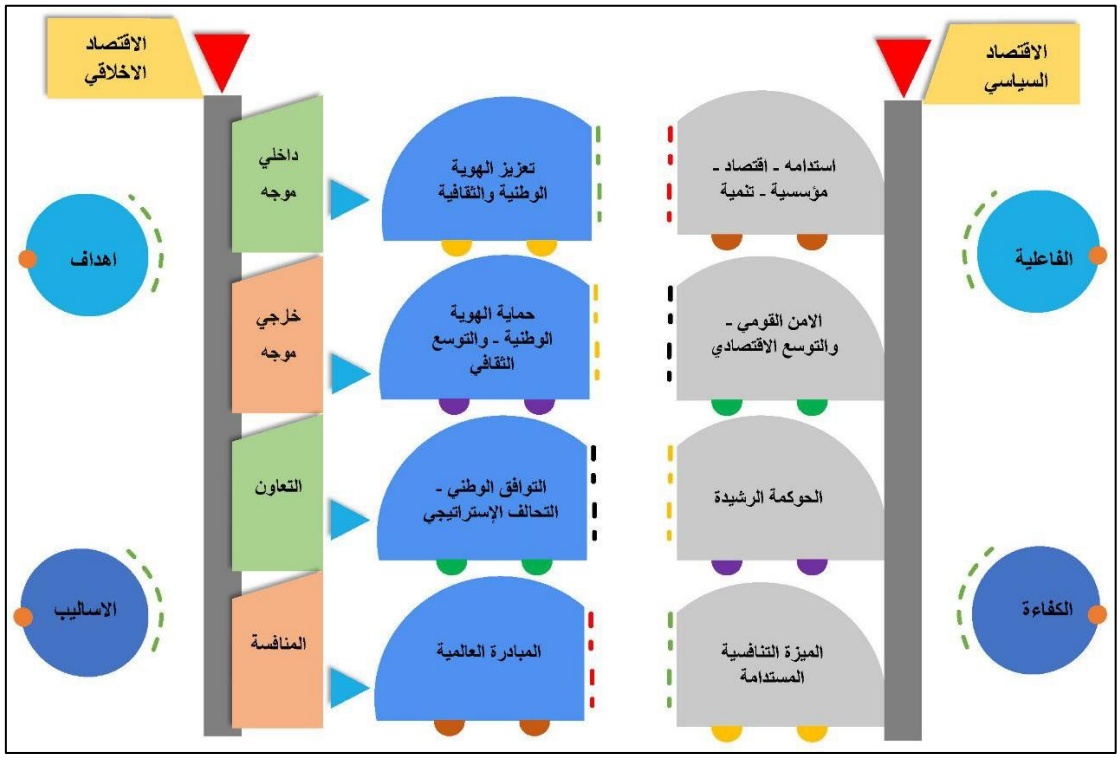

المخطط بالاستناد إلى:

Todor Tanev، Efficiency and Effectiveness of Grand strategy، Public Policy، Vol:3، No:1، June، 2012، P:30.

إن كل إستراتيجي يتعامل في واقع الأمر، مع فسيفساء لا متناهية من الوقائع، يجب عليه أن ينّظمها في فكرة واضحة إلى هذا الحد أو ذلك، تتكّشف لنا في حقيقتين [27]:-

---

[25] - Todor Tanev, Efficiency and Effectiveness of Grand strategy, Public Policy, Vol:3, No:1, June, 2012, P:22.

[26] - تيري ل. ديبل ، مصدر سبق ذكره ، ص 61.

[27] - هاري أر. يارغر، الإستراتيجية ومحترفو الامن القومي: التفكير الإستراتيجي وصياغة الإستراتيجية في القرن الحادي والعشرين، دراسات مترجمة (43)، ط1، ترجمة: راجح محرز علي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2011، ص ص51-263.

❖ **الحقيقة الأولى**: أساس المخطط الوارد أخيرا: أن الإستراتيجية مطالبة بأن تشدّد على الفاعلية، وتسبق في الأهمية الكفاءة، كون الأهداف الإستراتيجية تخلق أو تساهم في خلق تأثيرات إستراتيجية تؤدي إلى تحقيق الوضع / الهدف النهائي في المستوى المشمول بالتحليل، أما المفاهيم والموارد، فهي تخدم الأهداف، من دون مخاطرة غير مطلوبة باحتمال الفشل أو التعرض لنتائج غير مقصودة. ولذلك فإن الكفاءة بالضرورة مساندة للفاعلية في مجمل الإستراتيجية ككل.

❖ **الحقيقة الثانية**: في اللحمة البسيطة نجد أن الحداثة التقنية* تركت وتترك أثراً في تفسير جوانب السلوك الدولي، الدوافع، الدول، الأطراف الفاعلة الأخرى، تُحدد في النهاية الكيفية التي يُبنى بها التفاعل بين التحوط السيبراني والفاعلية [28]. وهو ما سوف نلاحظهُ في القادم من حديثنا.

المحور الثاني: التحوط السيبراني والاوجه المتعددة للإستراتيجية الشاملة

لا يخفى أن التحوط يهدف إلى منع تصاعد التوتر أو الصراع مع الدول الأكثر قوة سيبرانياً، والتي يحتمل أن تشكل تهديداً من خلال الحفاظ على موقف أكثر تعاوناً مع أي منها باعتباره "الاصطفاف مع مصدر الخطر" لكسب الفوائد وضمان الأمن على حساب الاستقلال الذاتي وفرص التعاون مع القوى الأخرى[29] .

المخطط رقم (4) الابعاد الإستراتيجية للتحوط السيبراني

المخطط من إعداد الباحثين.

ثمة إقرار **وفق المخطط أعلاه** أن السياقات المعلوماتية تدّخل الدولة في القرن الواحد والعشرين بقوة وبتأثير أعظم في المنظومة العالمية، كمرتكز للأمن، وكمحرك يقود تطور المنظومة العالمية في عصر التغييرات الضخمة [30]. أما

---

* للدلالة على ثورة المعلومات / السيبرانية.

[28] - هاري أر. يارغر، مصدر سبق ذكره، ص 91.

[29] İsmail Numan Telci and Mehmet Rakipoğlu , Hedging as a Survival Strategy for Small States: The Case of Kuwait , All Azimuth ,Vol :10, No:2, 2021, P: 218 .

كسلوك فإن التحوط يسعى من خلالهُ فاعل ما إلى موازنة المخاطر من خلال اتباع خيارات سياسة متعددة تهدف إلى إحداث آثار عكسية متبادلة في ظل حالة عدم اليقين الشديد والمخاطر العالية[31].

الجدول 1: التحوط السيبراني ونماذج التوازن الأكثر احتمالاً في ظل أحادية القطب

بواسطة نظام الزعيم	من قبل الدولة التحوط	
- إستراتيجية التوازن السلبي غير العسكرية" السيبرانية "	- إستراتيجية التوازن غير العسكرية الإيجابية	فجوة كبيرة في القدرات" السيبرانية "
- إستراتيجية التوازن العسكري السلبي "السيبرانية"	- إستراتيجية التوازن العسكري الإيجابي	تقليل الفجوة والتقارب في القدرات" السيبرانية "

الجدول بالاستناد إلى:

Mohammad Salman & Gustaaf Geeraerts، Strategic Hedging and Balancing Model under the Unipolarity، Paper was prepared for the Conference Midwest Political Science Association April 16-19،2015، Chicago، P:7.

وكما يصر **"روبرت سميث"** لم تبق الحرب أداة حل المشكلات يمكن تطبيقها على أية مشكلة معقدة، وإن التمسك الجامد بصيغة عامة وضعت في عصر آخر لمواجهة ظروف مختلفة في جوهرها عن حقبة ما بعد 11أيلول 2001 تنتج عوائد متناقضة في مجال إدارة الأهداف، أو تمكين درجة أقل من الاستقرار [32].

خاصة وإن التحوط السيبراني تمكّن الدولة من تحقق أهدافها بتكاليف معقولة [33].الجدير بالذكر يمكن أن تختلف المصالح الوطنية، بدءاً من الأمن القومي والاستقرار السياسي إلى الرخاء الاقتصادي. وكلها تتلاقى نحو الهدف الأساسي المتمثل في ضمان بقاء الأمة. إن الوزن الذي تحددهُ الدولة لكل من هذه المصالح يتطور بمرور الزمن. يؤكد هذا التباين السبب وراء ظهور التحوط في أشكال متنوعة [34].

الجدول رقم (2) التحوط السيبراني والإستراتيجية الشاملة نظرياً

المنظرون	الاتجاه	النظرية
1- دارين ج.ليم ، زاك كوبر .	الأمني	- تركز دراسات الانحياز بشكل أساسي على الامن "فخ الامن" وليس على السياسة الخارجية ككل.

[30] - أ . ني .اوتكين ، النظام العالمي للقرن العالمي الواحد والعشرين ، ط1 ، ترجمة : يونس كامل ديب – هاشم حمادي ، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2007 ، ص30 .

[31]- Kei Koga , The Concept of “Hedging” Revisited: The Case of Japan's Foreign Policy Strategy in East Asia's Power Shift, International Studies Review, Vol: 20, No: 4 December 2018, P:638.

[32] - كريستوفو كوكر، مصدر سبق ذكره، ص260.

[33] - أيمن ابراهيم الدسوقي، التحوط الإستراتيجي في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، المجلد 54، العدد 215، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2019، ص32.

[34]- Iván Gonzalez-Pujol, Theorising the Hedging Strategy: National Interests, Objectives, and Mixed Foreign Policy Instruments, All Azimuth, Vol :13, No:2, 2024,P: 194.

2- كويك	التكاملي	-التحوط السيبراني: إستراتيجية متعددة الابعاد تشمل المجالات الرئيسة للسياسة الخارجية: الاقتصاد، الدبلوماسية، الامن " -سلوكيات متناقضة.
3- فان جاكسون، فنسنت تشارلز كيتنغ ، جان روزيكا	العلائقي	- يفُسر التحوط بناء على العلاقات المتعددة بين الجهات الفاعلة الدولية، بناء على أفكار: السيولة، التسلسل الهرمي .بعبارة أخرى: التحوط السيبراني يدرس العلاقة بين صنع القرار في السياسة الخارجية "المستوى المحلي للتحليل " وعدم اليقين بشان الهيكل المستقبلي للنظام الدولي " على المستوى النظامي " .

الجدول من إعداد الباحثين بالاستناد إلى:

Iván Gonzalez-Pujol, Theorising the Hedging Strategy: National Interests، Objectives، and Mixed Foreign Policy Instruments، All Azimuth، Vol :13، No:2، 2024، P.P:194-196.

من الناحية التجريبية ووفقاً للجدول رقم **(2)** يعتبر الغموض فيما يتعلق بالمواءمة الأمنية المستقبلية تجاه القوى الكبرى شرطاً لأي ادعاء بأن الدولة تنخرط في سلوك تحوطي[35] هذا من ناحية. من ناحية أخرى يأخذ التحوط في الاعتبار متناقضات: السياسة الخارجية والإستراتيجية، الوسيلة والهدف، الصلب واللين، التوازن والتوافق، المنافسة والتعاون، التحوط الثقيل والخفيف، المفاضلة بين التبعية والاستقلال، ويرتبط كلاً من هذه العناصر بمجال من المجالات السيبرانية أما مخاطر الطوارئ أو تعظيم الفوائد[36]. وهذا ما نلاحظه في المحور الأخير من بحثنا.

المحور الثالث: القوى الصاعدة والتحوط السيبراني " الصين أنموذجاً "

يصح القول بدايةً إن الأداء الإستراتيجي الصيني تجاه الولايات المتحدة ليس وليد اللحظة أو انتهازية، بل مرتكن على إطار رؤية فكرية تنظر إلى العالم، بشكل مستقر على المدى المنظور[37]. لاحظ مضمون **(الكتاب الأبيض)** للسياسة الدفاعية الصينية نصف السنوي، وهو الوثيقة الرسمية الأكثر جدارة بالتعويل عليها، والتي تعرض جوهر الفكر الإستراتيجي الصيني فكره " إن التقدم نحو عصر المعلوماتية آخذ في التسارع في جميع أنحاء العالم، ما أثمر عن أتساع أطر الاعتماد الاقتصادي المتبادل ونشاطات التواصل والتفاعل بين بلدان العالم ..... وتتزايد، إضافة إلى ذلك تعدد مصالح الدول المشتركة في ميدان الأمن، وتزداد رغبتها في التعاون فيما بينها قوة؛ وهي بذلك تبقي مخاطر نشوب حروب واسعة النطاق على المستوى العالمي، عند أدنى مستوى لها..... ، وإن جاءت بقضايا أمنية غير تقليدية "[38]. ذلك أن النقطة الجوهرية في القوة السيبرانية التي تغير قواعد اللعبة الإستراتيجية ليست في مدى القفزة التي تقوم بها إلى الأمام

[35]-Adam P. Liff , Unambivalent alignment: Japan's China strategy, the US alliance, and the 'hedging' fallacy, International Relations of the Asia-Pacific , Vol. 19 No. 3 ,2019 , P: 460.

[36]-Iván Gonzalez-Pujol ,Op.Cit , P.P: 201-204.

[37] - عماد منصور، السياسة الخارجية الصينية من منظار الثقافة الإستراتيجية، مجلة سياسات عربية، العدد21، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، تموز2016، ص29.

[38] -بيتس جيل، الصين: مركز ناشئ للقوة العالمية، في كتاب: القوى العظمى والاستقرار الإستراتيجي في القرن الحادي والعشرين ، ط1 ، تحرير: جرايمي هيرد ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي ،2013 ، ص241 .

فقط، ولكن في فرض مجموعة التكاليف على المنافسين [39] .لذا تطبق الصين توليفة من التدابير ما دون الحربية لتحقق أهدافًا طويلة الأجل وليس الأهداف قصيرة الأجل ولقد كان الإيقاع المتغير لتصرفات الصين فعالاً بشكل خاص في إبقاء الخصوم الإقليميين والولايات المتحدة على حدّ سواء خارج المعادلة ،إذ لُوحظ إن القيمة الرئيسة للقوة السيبرانية يمكن أن تقدم أفضل مخرجات للإداء الإستراتيجي الصيني وذلك بدمجها في العمليات العسكرية الحركية التقليدية . فالسمة الرئيسية للتحوط السيبراني هي الاستخدام غير المُقَيَّد للتدابير، وليس للإستراتيجيات وللأهداف غير المُقَيَّدة والتي تحدد ب[40]:

- الاستثمار في الإمكانات المضادة لنُظُم منع الوصول وحظر المناطق—على سبيل المثال: الصواريخ الأرضية المتنقلة، والدفاع الجوي، وتبني نظم C4ISR (القيادة، والتحكم، والاتصالات، والحوسبة، والاستخبارات، والمراقبة، والاستطلاع).
- تقوية الشركاء وتقديم المشورة إليهم وتمكينهم من إنماء دفاع قوي.
- تقييم الأسلحة والأسهم التي يتزايد عليها الطلب في حالة حرب طويلة ضروس.
- صياغة خيارات لمنع الأخر من الوصول إلى واردات حاسمة الأهمية في الحروب (**الوقود**).

يبرر التقدم المستمر في العقول الإلكترونية والاتصالات فكرة أن التحليل الطيفي المتعدد من الأقمار الصناعية (**وهو نتاج جانبي لسباق الفضاء**) يعطي أملاً بتخطيط إستراتيجي صيني منطلق من برامج التحديث، وتنامي القدرات الوطنية بشكل عام، وتطور إمكانات البلاد اللازمة لتوطيد دعائم الأمن القومي" **أمن الطاقة** "، وجهدها التنموي. كما تقوي الإيمان بأن احتمال التهديدات يولد دفعاً كبيراً بهدف عقلنة المجتمعات فكل دولة تأمل في الحفاظ على استقلالها السياسي وأمنها القومي هي مضطرة لاعتماد منطلقات القوة السيبرانية لأعدائها ومنافسيها .سيما وأن المقاييس التي يبنى عليها التنافس الدولي تتغير في أكثر من اتجاه بناء ، وإن القوة السيبرانية لم تجعل من الوعي الصيني أكثر عمقاً وحسب ، كونهُ لا يمثل استجابة لمتغير ، بل عادة ما تصاحبه رغبة في توظيف تلك المكنّه . خاصة وإن الصين تتصف بالطموح ، والوعي لحقيقة أن تاريخها الفريد ليس إلا مدخلاً لمصيرها [41].

إن أمارات تكيف الصين مع عصر المخاطر أنها وصلت إلى استنتاج مفادهُ: أنها لا تستطيع احتواء الولايات المتحدة، وبدلاً من ذلك فإنها تسعى للتحوط ضد تراجعها (**إدارة التراجع**) بقدر ما تهتم الولايات المتحدة بإدارة صعود الصين، لذا نجد الأخيرة تكون ميالة إلى التصرف على نحو مختلف على الساحة الدولية [42]. يشير تحليل مختلف مبادرات القوة السيبرانية في بكين إلى أنها تسعى إلى الحد من أو استباق أي تحديات إستراتيجية، سيما وأنها ثقافة قديمة، لا تمثل أي تهديد، ويمكن أن توفر الفرص التعاونية الدولية. يضاف إلى ذلك أن الجيل الحالي من القادة الصينيين أيقن أن النمو الاقتصادي السريع هو مفتاح الاستقرار السياسي الداخلي، ليّركز على التنمية الاقتصادية وعلى ما سّماه بيئة دولية

---

[39] - بيتر سنجر، دروس الحروب الماضية والاتجاهات التكنولوجية المستقبلية، في كتاب: الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي ،2014، ص 103 .

[40] - ديفيد سي جومبرت واخرون، الحرب ضد الصين: التفّكر فيما لا يتقبلهُ العقل، وثيقة، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2016 ، ص xvi –xvii .

[41] - للتوسع: زبيغنيو برجنسكي ، رؤية إستراتيجية :أمريكا وأزمة السلطة العالمية ، ط1 ، ترجمة : فاضل جتكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،2012، ص96.

[42] - كريستوفر كوكر، مصدر سبق ذكره، ص227. وكذلك ينظر: كاظم هاشم نعمه، القوة الناعمة الصينية والعرب، مجلة سياسات عربية، العدد26، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، مايو 2017، ص 30.

متناغمة وليست معاكسة لنمو الصين[43] . بكلمات موجزة: إن التحوط السيبراني في جزء منه يعتمد على ترجمة الممكنّات الداخلية بسلوك خارجي. لذا نجد أن الصياغات الصينية للأهداف أكثر تلائماً مع تطور بيئة استراتيجية أكثر تعقيداً استناداً إلى عدة منطلقات[44] .المخطط رقم (5).

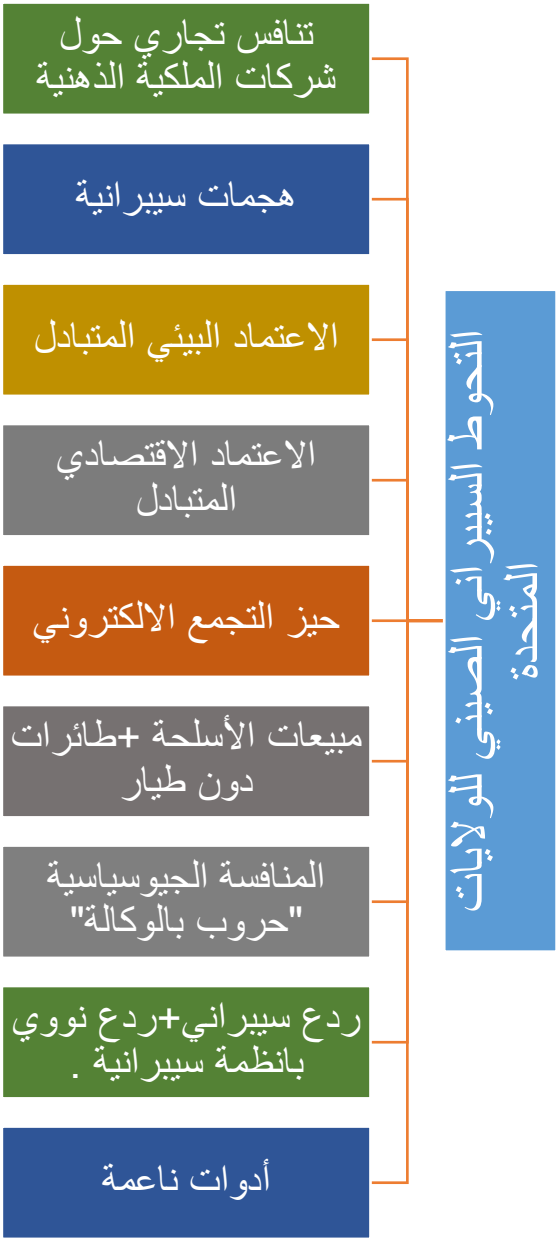

[43] - للتوسع في هذه الأفكار يراجع: جوزيف إس . ناي ، مستقبل القوة ، ط1 ، ترجمة : احمد عبد الحميد نافع ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2015 ، 216 .

[44] - كريستوفر كوكر ، مصدر سبق ذكره ، ص236 .

المخطط من إعداد الباحثين.

يقدم المخطط أعلاه مقاربات بديلة لتامين المصالح الصينية تشكل استكمالاً للأمن الصلب وتجعلهُ أكثر فعالية. في مضمار خيارات شاملة " تقليدية وغير وتقليدية " مع التأكيد أنهُ حتى الخيارات التقليدية إلا أنها ذات أدوات سيبرانية والعكس صحيح [45].

الجدير بالذكر: إن التفاعل الإستراتيجي بين الولايات المتحدة والصين بعيد كل البعد عن لعبة محصلتها صفر.[46]

المخطط رقم (6) التحوط السيبراني الصيني كتفاعل إستراتيجي

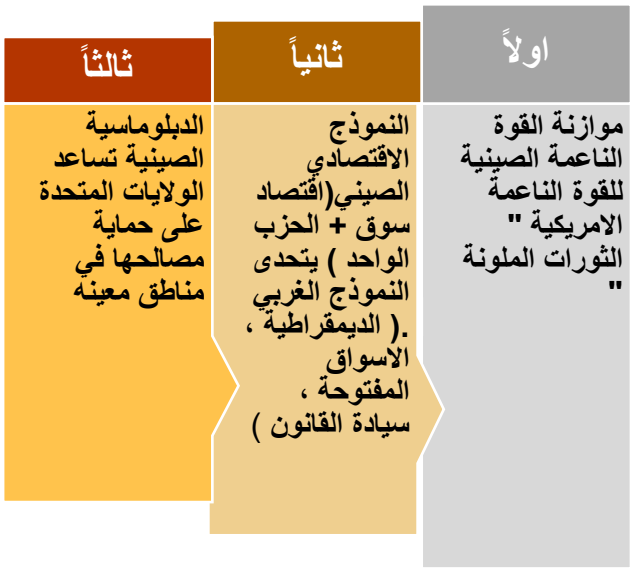

المخطط من إعداد الباحثين بالاستناد إلى:

Joseph S. Nye, Soft power and Great power Competition: Shifting sands in the Balance of power Between the United States and China, 1ed, Springer, U.S.A, 2023, P.P:104-105.

وفقاً للمخطط أعلاه إن فهم القوة: هي القدرة على التأثير على الآخرين للحصول على النتائج التي يريدها المرء، فمن المهم التمييز بين القوة على الآخرين والقوة مع الآخرين، وفي كلا الحالتين فأنهما يعتمدان على فكرة " إدارة الاعتماد المتبادل " لفهم الأهداف الاستراتيجية الصينية تارة[47]. والتعاطي مع الولايات المتحدة في مجالات: الذكاء الاصطناعي، والرقائق، والتكنولوجيا الحيوية، وتكنولوجيا البطاريات تحوطياً تارة أخرى.[48]

وانطلاقاً من فكره: إن الثورة التكنترونية تتضمن القيام بمجازفاتٍ أكبر في المستقبل من أجل تحقيق نفس الأغراض التي كانت في الماضي. ذلك ومن دون أن يُعرَفَ عن الولايات المتحدة قيامها بعملياتٍ انتقاميةٍ، يمكن أن تعانيَ

[45] - ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك ، القدرة على الارغام : مواجهة الأعداء دون حرب ، وثيقة ، مؤسسة راند ، سانتا مونيكا- كاليفورنيا ، 2016، صiii

[46]- Joseph S. Nye، Soft power and Great power Competition: Shifting sands in the Balance of power Between the United States and China، 1ed، Springer، U.S.A، 2023 , P:105.

[47]- Joseph S. Nye Jr , Power and Interdependence with China, The Washington Quarterly , Vol 43, No: 1, The Elliott School of International Affairs , SPRING 2020 ,P.P:7-21.

[48] -"سي آي إيه" : الصين تهديد وجودي لأميركا والسباق التكنولوجي معها أولوية قصوى ، صحيفة الشرق الأوسط ، بتاريخ 22 مايو 2025 ، على الرابط التالي : https://aawsat.com

الصين والولايات المتحدة على حد سواء من أعطالٍ مؤقتةٍ لكنْ كبيرةٍ في الشبكات المهمة، مما يسرّع الصدمات في أسواق الأسهم والعملات والائتمان والتجارة. مع أنّ كِلا الطرفَين قد يتفاديان التصعيد نحو القوة المسلحة، فإنّ الضرر الاقتصاديّ قد يكون كبيراً. لم تحصل خسارةٌ إنما ضررٌ واسعٌ فقط، واشتدادٌ في التنافر، وفقدانٌ للثقة في الأمن الشبكيّ.[49]

الجدول رقم (3) الخسائر العسكرية المستقبلية في الحالة الضروس

نوع النظام	الولايات المتحدة T_1	الولايات المتحدة T_2	الصين T_1	الصين T_2
الطائرات				
سفن السطح				
الغواصات				
القذائف				
C4ISR				

الجدول بالاستناد إلى:

ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك، القدرة على الارغام: مواجهة الأعداء دون حرب، وثيقة، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2016، ص39.

يدل اللون الأخضر على خسائر معتدلة، والأصفر على خسائر كبيرة، والبرتقالي على خسائر فادحة، والأحمر على خسائر فادحة للغاية. يدل اختلاط اللونين في خلية واحدة (على سبيل المثال، يعني اللون الأصفر الأخضر توقعنا لوجود خسائر كبيرة، لكن أقل من الفادحة، أو وجود عدم يقين بشأن نطاق الخسائر).

T_1 = لحظة التقييم خلال الأيام الأولى من بداية الصراع، التي يتوتر عندها الطرفان ما إذا كانا سيواصلان القتال أم لا. **T_2 =** ما بعد اشتباكات عنيفة لكن الدولتين ما تزالان ملتزمتين بالقتال.

لكل من T_1 و **T_2 وأنظمة C4ISR ($T_1 \rightarrow T_2$)**، يُتوقع أن التأثير الصيني سيكون أكبر نسبياً منه في جانب القوات الأمريكية الفاعلة.

واقتباسًا من الخبراء الإستراتيجيين الصينيين: " أصبح من المحتمَل تحقيق أهدافنا قَبْل أن يتمكن العدو من الاستجابة.... وإذا تَقاتَل جيش التحرير الشعبي وعدو عالٍ التقنيةُ وقوي، فلا بد لنا من تحقيق المفاجأة في الاستراتيجية "[50]. إن الجمع بين تلك الثقة والإلحاح قد يُعيِّن الصين على توقعات ما سيحدث فعليًا تارة وفي غير محله وخطيرًا وغير عادل بالنسبة إليها تارة أخرى. وهي الفكرة التي أخرجتنا بخلاصة بحثنا هذا.

الخاتمة:

[49] - جيمس دوبينز واخرون، إعادة النظر في الصراع مع الصين: احتمالات، ونتائج، وإستراتيجيات الردع، منظور تحليلي، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2017 ، ص ص 1-16 .

[50] - ديفيد سي جومبرت واخرون، مصدر سبق ذكره، ص X.3.

ختاماً من الناحية النظرية، يحاول التّحوط إدارة المصالح الوطنية المتنافسة في ظل ظروف من عدم اليقين بشأن كيفية تطور النظام الدولي. في جوهر الأمر، لكي يتسنى للتحوط أن يظهر، فإن عدم اليقين وحده قد لا يكون كافياً؛ بل يجب أن تؤدي إلى مصالح وطنية غير قابلة للتحقيق في نفس الوقت، وهي في أغلب الأحيان: الأمن القومي، والاستقرار السياسي، والازدهار الاقتصادي. وهكذا، وعلى النقيض من إستراتيجيات مثل التوازن أو الانحياز، يصبح التحوط السيبراني تعبيراً عن كيفية قيام الدولة بوزن كل مصلحة وطنية ضد المصالح الأخرى وإدارتها عند التفاعل مع الدول الأخرى.. الحقيقة التي أخرجتنا بالأفكار التالية:

أولا: على نحو عام يفهم التحّوط من خلال دمج الموازنة غير المباشرة ورفض الهيمنة، والبراغماتية، والمشاركة الملزمة، ومحدودية النطاق، وان أدوات الإستراتيجية "المواجهة" تساعد القوى الأصغر في تقليل المخاطر وزيادة العوائد.

ثانياً: كلما كانت المدخلات أقل من المخرجات، والوقت أقصر، كانت الفاعلية أقوى درجة وأعظم أثرا. يفيد تقويم الفاعلية في ثلاثية :

- تقديم تغذية راجعة Feed back تفيد في تقدير ما تم إنجازه بالفعل.
- تقديم القواعد واقتراح الشروط اللازمة لتحديد درجة التفعيل المطلوبة لتحقيق إنجاز أفضل.
- إمداد القيادة بالمعلومات المتعلقة بالخطط المستقبلية التي تتخذُ في ضوئها القرارات وترسم الإستراتيجيات.

الفكرة أعلاه تدفع بالتحوط كفكرة متبناة: أن كلاً من السيبرانية والفاعلية يبحثان عن الهدف بأقل تكاليف. وهنا تقاس أهمية الفاعلية السيبرانية أو بالأحرى خطورتها.

ثالثاً: أكد رئيس وزراء الصين "لي كه تشيانغ" توجهات بلاده لتعزيز القدرات العسكرية قائلاً" سنقوم بتعزيز الطبيعة الثورية للقوات المسلحة الصينية بشكل شامل، تحديثها وتحسين أدائها، ومواصلة رفع قدرات الردع والقتال في عصر المعلومات في مجالات الإنفاق العسكرية، الأسلحة الإستراتيجية المتطورة، واتفاقيات للحصول على تكنولوجيا متطورة."

رابعاً: يُنظر إلى التحوط السيبراني الصيني للولايات المتحدة على أنه لعبة لا ربح ولا خسارة، ومع تحول الصين إلى نّد منافس حقيقي، فإنها تتحول أيضا بشكل محتمل إلى شريك أقوى. فالولايات المتحدة بوصفها القوى العظمى الوحيدة في العالم، تحمل عبئاً في حفظ أمن المشاعات العالمية، حماية التجارة الدولية، حفظ الأمن الدولي. بالمقابل الصين على غرار معظم العالم هي تلك الباحثة عن الاستفادة من الصفقات المجانية. ومع سعي الولايات المتحدة على امتداد العقود القادمة لإدامة التزاماتها الدفاعية والدفع بمصالحها في شرق آسيا، فإنها ستملك مصلحة في تشجيع القوى العالمية الأخرى في الاضطلاع بمسؤوليات أكبر من أجل الأمن والسلم الدوليين. ليشكل بذلك قاعدة لتعاون أمريكي – صيني معزز. إذ يّعد التحوط السيبراني أساسا لتعاون وصراع في مجالات تقليدية تارة "كوريا – تايوان"... الخ، وأخرى غير تقليدية الفضاء الإلكتروني، الردع السيبراني... الخ تارة أخرى والعكس بالعكس.

خامساً: إذا ما أعدنا الأفكار أعلاه بكلمات موجزة نقول: إن صراعات أخرى مع خصوم يختلفون كثيراً عن الصين، ويرجح أن تستدعي هذهِ الصراعات قدرات تختلف كثيراً عن تلك اللازمة للتعاطي مع منافس نّد حقيقي، لتشكل بشكل جماعي البيئة الدولية "منطق غير صفري" التي يتفاعل بها البلدان كلاهما. وستؤثر بصورة أساسية على تصورات الصين بشأن القوة والتصميم الأمريكي، والتعامل بنجاح مع هذهِ التحديات الأصغر حجماً قد يكون أحد أفضل الطرق لضمان عدم خوض صراع أكبر من البلدين.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم.

أولا: المعاجم والقواميس:

إبراهيم بدر شهاب الخالدي، معجم الإدارة، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.

آمنة أبو حجر، المعجم الجغرافي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

روحي البعلبكي، قاموس المورد: قاموس عربي – إنكليزي، ط 23، دار العلم للملايين، بيروت، 2009.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، بلا سنة.

منير البعلبكي، قاموس المورد: قاموس إنكليزي – عربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2008.

ثانياً: الوثائق:

ديفيد س. غومبرت وهانس بيننديك، القدرة على الإرغام: مواجهة الأعداء دون حرب، وثيقة، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2016.

ديفيد سي جومبرت وآخرون، الحرب ضد الصين: التفّكر فيما لا يتقبلهُ العقل، وثيقة، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2016.

ثالثاً: الكتب العربية والمترجمة:

ني. أوتكين، النظام العالمي للقرن العالمي الواحد والعشرين، ط 1، ترجمة: يونس كامل ديب – هاشم حمادي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007.

بيتر سنجر، دروس الحروب الماضية والاتجاهات التكنولوجية المستقبلية، في كتاب: الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، ط 1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي،2014.

بيتس جيل، الصين: مركز ناشئ للقوة العالمية، في كتاب: القوى العظمى والاستقرار الإستراتيجي في القرن الحادي والعشرين، ط 1، تحرير: جرايمي هيرد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي،2013.

تيري ل. ديبل، إستراتيجية الشؤون الخارجية: منطق الحكم الأمريكي، ط1، ترجمة: وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009.

تيم دان وآخرون "محررون"، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، ط1، ترجمة: ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، يناير 2016.

جاسم سلطان، التفكير الإستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، ط 2، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، 2010.

جوزيف إس. أي، مستقبل القوة، ط1، ترجمة: أحمد عبد الحميد نافع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

ديفيد ليفنجستون، مسيرة الفكر الجغرافي: محطات في تاريخ مشروع علمي محل نزاع، ط1، ترجمة: عاطف معتمد وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.

ريمي ريفيل، الثورة الرقمية..... ثورة ثقافية، ط 1، ترجمة: سعيد بلمبخوت، مراجعة: الزواوي بغورة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يوليو 2018.

زبيغنيو برجنسكي، رؤية إستراتيجية: أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ط1، ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت،2012.

الصادق الحمامي، المشهد الثوري الافتراضي: نحو مقاربة للأصول التواصلية للثورة التونسية، في كتاب: ظاهرة ويكيليكس جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي، ط 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، سبتمبر 2013.

كريستوفو كوكر، الحرب في عصر المخاطر، ط1، ترجمة وتحقيق: كريم عبد الله، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي،2011.

ماجد عرسان الكيلاني، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر: بحث في الأصول السياسية للتربية والتعليم في الأقطار العربية، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، 2005.

هاري أر. يارغر، الإستراتيجية ومحترفو الأمن القومي: التفكير الاستراتيجي وصياغة الإستراتيجية في القرن الحادي والعشرين، دراسات مترجمة (43)، ط1، ترجمة: راجح محرز علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2011.

رابعاً: البحوث والدراسات:

أيمن إبراهيم الدسوقي، التحوط الاستراتيجي في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، المجلد 54، العدد 215، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2019.

جيمس دوبينز وآخرون، إعادة النظر في الصراع مع الصين: احتمالات، ونتائج، وإستراتيجيات الردع، منظور تحليلي، مؤسسة راند، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، 2017.

عماد منصور، السياسة الخارجية الصينية من منظار الثقافة الإستراتيجية، مجلة سياسات عربية، العدد 21، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، تموز 2016.

كاظم هاشم نعمة، القوة الناعمة الصينية والعرب، مجلة سياسات عربية، العدد 26، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، مايو 2017.

خامساً: الصحف:

سي آي إيه": الصين تهديد وجودي لأميركا والسباق التكنولوجي معها أولوية قصوى، صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 22 مايو 2025، على الرابط التالي.https: //aawsat.com :

سادساً : المصادر الإنكليزية :

Mohammad Salman & Gustaaf Geeraerts , Strategic Hedging and Balancing Model under the Unipolarity, Paper was prepared for the Conference Midwest Political Science Association April 16-19,2015, Chicago.

Adam P. Liff , Unambivalent alignment: Japan's China strategy, the US alliance, and the 'hedging' fallacy, International Relations of the Asia-Pacific , Vol. 19 No. 3 ,2019.

Alexander Korolev, Between Scylla and Charybdis Hedging and Australia's Foreign Policy Amid Intensifying US-China Rivalry , Journal of Indo -Pacific Affairs , SEPTEMBER-OCTOBER 2024 .

Bruce Mc Clintock - Steven Berner & Cortney Weinbaum, Sigint for Anyone: The Growing Availability of Signals Intelligence in the Public Domain, perspective, Rand corporation , Santa Moinca-California , 2017.

İsmail Numan Telci and Mehmet Rakipoğlu , Hedging as a Survival Strategy for Small States: The Case of Kuwait , All Azimuth ,Vol :10, No:2, 2021.

Iván Gonzalez-Pujol, Theorising the Hedging Strategy: National Interests, Objectives, and Mixed Foreign Policy Instruments, All Azimuth, Vol :13, No:2, 2024.

Joseph S. Nye Jr , Power and Interdependence with China, The Washington Quarterly , Vol 43, No: 1, The Elliott School of International Affairs , SPRING 2020.

Joseph S. Nye، Soft power and Great power Competition: Shifting sands in the Balance of power Between the United States and China، 1ed، Springer، U.S.A، 2023 .

Kei Koga, The Concept of "Hedging" Revisited: The Case of Japan's Foreign Policy Strategy in East Asia's Power Shift, International Studies Review, Vol: 20, No: 4, December 2018.

Osonde A. Osoba & William Welser IV, The Risks of Artificial Intelligence to Security and the Future of Work, perspective, Rand corporation, Santa Moinca-California , 2017.

S. Philip Hsu &Ryan Yu-Lin Liou , The Effectiveness of Minor Powers, Hedging Strategy: Comparing Singapore and the Philippines,2017, available at: http://web.isanet.org/Web/Conferences/HKU2017-s/Archive/8be8a884-8037-4dcb-acbe-712562701219.pdf .

Stefan J.banach ، from Reagan to Entropy: the need for U.S. a national technology based strategy ، small wars Journal ، August 24 ، 2017.

Todor Tanev, Efficiency and Effectiveness of Grand strategy, Public Policy, Vol:3, No:1, June, 2012.

المؤسسات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني بين الاستقلالية والتبعية للدولة العثمانية 1518- 1830 م

Military, Economic, and Social Institutions in The Eyalet of Algiers During The Ottoman Era Between Independence and Subordination to The Ottoman State, 1518-1830 AD

El-Amir Boughedada [1]

Ali Ayada [2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract:

This study examines the military, economic, and social institutions of Ottoman Algeria (1518–1830), which formed the backbone of the regency and ensured its continuity.

The army, composed of Janissaries, artillery, cavalry, and a strong navy, was the state's primary pillar, supported by the Makhzen tribes that maintained internal order. Economically, the Treasury emerged as the main financial authority, while the Bayt al-Māl focused on managing estates and supporting the poor, On the social and religious side, Waqf (endowment) institutions played a vital role in funding education and building mosques and zawiyas, while the Fatwa institution served as a legal and religious authority that guided society.

The study concludes that, despite its nominal dependence on the Ottoman Empire, these institutions retained relative autonomy, consolidating Algeria's political, social, and economic foundations and granting it significant regional influence until the end of the Ottoman era.

Keywords: *Ottoman Institutions, Regency of Algiers, Janissary Army, Treasury, Waqf, Bayt Al-Māl, Fatwa, 16th–19th Centuries.*

http://dx.doi.org/10.47832/RimarCong13-7

[1] Dr, College of Humanities University of Mohamed Khider – Biskra, Algeria boughedada.elamir@univ-biskra.dz

[2] Dr, College of Humanities University of Mohamed Khider – Biskra, Algeria ali.ayad63@yahoo.com

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة المؤسسات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830)م(، والتي شكّلت الركيزة الأساسية لبناء الدولة وضمان استمراريتها

فقد كان الجيش بمختلف فروعه –الانكشارية، المدفعية، الفرسان والبحرية –الدعامة الأولى للإيالة، مدعومًا بقبائل المخزن التي عززت الأمن الداخلي.

على الصعيد الاقتصادي، برزت مؤسسة الخزينة باعتبارها الجهاز المالي الرئيس، إلى جانب بيت المال الذي اهتم برعاية الفقراء وتسيير الأملاك .أما في المجال الاجتماعي والديني، فقد اضطلعت مؤسسة الأوقاف بدور حيوي في تمويل التعليم وبناء المساجد والزوايا، في حين شكّلت مؤسسة الإفتاء مرجعية دينية وقضائية أثّرت في توجيه المجتمع.

خلصت الدراسة إلى أن هذه المؤسسات، رغم تبعيتها السمية للسلطة العثمانية، احتفظت باستقلالية نسبية في التسيير، وأسهمت في ترسيخ كيان سياسي واجتماعي واقتصادي جعل من الجزائر قوة إقليمية معتبرة حتى نهاية العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات العثمانية، إيالة الجزائر، الجيش الانكشاري، الخزينة، الأوقاف، بيت المال، الإفتاء، القرن 16-19 م.

المقدمة:

يعتبر العهد العثماني من أهم العهود التاريخية في الجزائر، ولا يمكن أن نرجع تلك الأهمية إلى طول فترتها الزمنية فحسب، وإنما أيضا بسبب اعتبارات أخرى، من أهمها وجود مؤسسات قوية وفعالة مستوحات بشكل عام من مؤسسات الحكم بالدولة العثمانية كان لها دور فعال في تثبيت دعائم الحكم وتعزيز سلطة الدولة، وجعل الجزائر خلال هذا العهد تظهر كأنها دولة مستكملة الشروط وأمة مستوفية المقومات لها مكانة مرموقة وهيبة إقليمية ودولية جعلت الدول الأجنبية تعاملها معاملة الدولة المستقلة بشؤونها الداخلية والخارجية رغم أنها إيالة، كما كان لهذه المؤسسات دور في تسيير المجتمع وتوجيهه، إلا أنها لم تحظ بعد بالقدر الكافي والوافي من البحث والدراسة رغم كونها حافظت على دورها هذا حتى أواخر العهد العثماني بالجزائر، بل منها من واصل نشاطه حتى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، مثلما هو عليه الحال بالنسبة لمؤسسة الإفتاء والأوقاف، وهذا ما جعلنا نحاول أن نميط اللثام عن بعض منها من خلال هذا البحث أو الدراسة.

وسنتطرق إلى أهم هذه المؤسسات على النحو الآتي:

أولا: مؤسسة الجيش:

قبل أن نتطرق إلى الجيش كمؤسسة خلال العهد العثماني، هناك سؤال لابد من إيجاد جواب له، ألا وهو:

أيهما كان له الفضل في إيجاد الآخر هل الجزائر كإيالة خلال العهد العثماني هي التي أوجدت وأنشأت مؤسسة الجيش؟ أم أن الجيش كنواة لمؤسسة دفاعية-بداية العهد العثماني-هو الذي كان له الفضل في إيجاد وإنشاء هذه الإيالة؟

هنا نقول إن الجيش كنواة[3]لمؤسسة دفاعيه هو الذي كان له الفضل في إيجاد هذه الإيالة خلال العهد العثماني، وذلك لما استنجد علماء وأعيان مدينة بجاية بالأخوين عروج وخير الدين لحماية المدينة من هجمات الإسبان الذين كانوا حينئذ يحتلون مدينة وهران، ويحتفظون بحامية في جزيرة صغيرة مقابل مدينة الجزائر، بل وفي بجاية ذاتها (احمد توفيق المدني، صفحة 162)، كما أن نظام الحكم لهذه الإيالة بني على الجيش الذي كان يشكل القاعدة الأساسية له مما دفع المؤرخين إلى القول بأنها كانت جمهورية عسكرية.

ويمكن أن نشير هنا إلى سببين رئيسين جعلا من الجيش النواة الأولى في تكوين هذه الإيالة وإعطائها الصبغة العسكرية (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 29)، أولهما يتمثل في تلك الظروف الحرجة التي كانت تحيط بسواحل المغرب العربي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، كونه عرضة وهدفا لغارات متتالية (مولود قاسم نايت بلقاسم، 1985، صفحة 76)، وثانيهما يتمثل في كون الجزائر إيالة من إيالات الدولة العثمانية، فاستمدت منها خاصيتها العسكرية (وليام شالر، 1982، صفحة 42).

أما فيما يتعلق بهياكل مؤسسة الجيش أواخر العهد العثماني، فإننا سنبني دراستنا لها على ضوء ما ذهب إليه خليفة حماش في بحثه المقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م (خليفة حماش، 1988م.).

لقد كان الجيش في الجزائر أواخر العهد العثماني يتكون من:

[3]- قلنا الجيش كنواة لمؤسسة دفاعية لأن القوة التي استنجد بها أهل بجاية لم تكن في المستوى الذي يجعل منها مؤسسة عسكرية من حيث العدد والعدة، والتخصص كما هو الحال عليه في أواخر العهد العثماني.

الجيش النظامي:

إن الجيش النظامي للإيالة كان يتكون من قسمين رئيسين وهما: الفرسان والمشاة التي بدورها تنقسم إلى فرقتين هما (يكيجري أوجاغي)[4] أي الفرقة الانكشارية، و(طوبجي اوباغي) أي الطوبجية أو رجال المدفعية.

1-1- المشاة:

1-1-1- الانكشارية:

تعتبر هذه الفرقة أهم فرق الجيش النظامي إذ كانت بمثابة القلب الذي يحرك المؤسسة العسكرية، ويحقق لها معظم انتصاراتها، ليس بالنسبة للإيالة فحسب وإنما بالنسبة لجميع مقاطعات الدولة العثمانية، وذلك راجع إلى القوة والشجاعة والنفوذ الذي كان يميز أفرادها (خليفة حماش، 1988م.، صفحة 93) ، بل إن هذه الفرقة كانت بمثابة حجر الزاوية في نظام الحكم والإدارة هنا بإيالة الجزائر (وليم سبنسر، 1981، صفحة 54).

كما أن هذه الفرقة هي النواة الأولى التي تأسس منها الجيش النظامي للإيالة، وذلك حينما أرسل السلطان سليم الأول (918هـ/1512م-926هـ/1520م)، عام (926هـ/1520م)، ألفين من الجنود الانكشاريين[5]، كما أرسل أربعة آلاف متطوعا من مختلف مناطق الدولة العثمانية بعدما منحهم نفس امتيازات الجنود الانكشاريين (مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، 1964، صفحة 53).

وبما أن الجزائر أصبحت رسميا إيالة من إيالات هذه الدولة منذ سنة (926هـ/1520م)[6]، فقد كان لها وكلاء في القسطنطينية، وأزمير، يسهرون على تجنيد الإنكشاريين وإرسالهم إلى عاصمة الإيالة على متن سفن مستأجرة (وليام شالر، 1982، صفحة 52)، على هذا المنوال تم تجنيد حوالي ثمانية آلاف وخمس مائة وثلاثة وثلاثون جنديا جديدا بين سنوات (1215هـ/1800م-1245هـ/1829م) (André Raymand, 1985, p. 70).

وقد كان هؤلاء المجندين يعودون بأصولهم إلى أسر مسلمة، أو مسيحيين أعلنوا إسلامهم (جون.ب.وولف، 1986، الصفحات 99-100).، على خلاف المجندين في إنكشارية السلطان العثماني، الذين هم في الأصل شبان غير مسلمين أسروا أثناء الحرب ثم ربوا تربية إسلامية صالحة، ودربوا على القتال (André Raymand, 1985, p. 70)

من المؤكد أن هؤلاء المجندين للعمل في إنكشارية الإيالة هم من أبناء الطبقات الدنيا في بلدانهم الأصلية، ومن أبناء الفلاحين الذين ضاقت بهم الدنيا في قراهم، وبطبيعة الحال فإن هذا التجنيد الذي كان حيويا بالنسبة للإيالة ما كان ليتم دون موافقة الحكومة العثمانية، وعند وصولهم إلى مدينة الجزائر يتم تدوينهم في سجل الجند الذي يطلق عليه اسم دفتر يكيجري مع ذكر اسم الأب والمدينة التي جاء منها كل واحد منهم، والعمل الذي كان يمارسه قبل التحاقه بصفوف

---

[4]- يكيرجي أوياغي: تنطق الكلمة الأولى ينيتشري ومعناها العسكر الجديد، وأما الكلمة الثانية فأصلها أوجاق وقد قلب حرف القاف غينا بعد تحركه حسب قواعد اللغة التركية، ومعناها في الأصل موقد، فحرفت وأصبحت تطلق على وحدات الجيش العثماني. يراجع:

- CH. SAMY- BEYFRASCGERY, Dictionnaire Français- Turc, Imprimerie Mihran, Constantinople 1911, P.1355.

[5]- هؤلاء الجنود أرسلهم السلطان سليم الأول إلى خير الدين لكي يستعين بهم هذا الأخير في جهاده ضد الإسبان الذين كانوا يحتلون السواحل الجزائرية، وللحفاظ على الأمن داخل الإيالة، ولم يرسلهم لتأديب الأهالي كما ادعى القنصل الأمريكي وليام شالر، للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة، انظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص.41، ويراجع أيضا: عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط.1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص-ص. 88-91.

[6]- يعتبر هذا التاريخ (926هـ/1520م)، هو التاريخ الحقيقي لانضمام الجزائر للدولة العثمانية، كما تدل على ذلك الرسالة التي بعث بها أعيان مدينة الجزائر للسلطان العثماني سليم الأول. يراجع: عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 6، تونس 1976م، ص-ص.116-120.

الإنكشارية، وفي بعض الأحيان بعض الخصوصيات الجسدية (Venture de Paradis, 1983) ، ثم يعلم ذراعه الأيسر بعلامة تحمل رقم حجرته، فيصبح بحكم ذلك جنديا في الجيش ويحمل اسم يكيجري ((وليم سبنسر، 1981، صفحة 53))

وقد كان للجيش الإنكشاري الجزائري وحدات عسكرية يوزعون عليها تعرف باسم أورته وهي مرقمة ترقيما تسلسليا من واحد إلى أربعمائة وعشرين، وهذا العدد ما هو في الحقيقة، إلا عدد الوحدات التي يتكون منها هذا الجيش. (Venture de Paradis, 1983, pp. 160-176)

وكانت في مدينة الجزائر ثمان معسكرات مبنية في الجهة السفلى من المدينة، يقطنها الإنكشارية تعرف كل واحدة منها باسم دار اليكيجارية (André Raymand, 1985, p. 70)، أو قشلا (خليفة حماش، 1988م.، صفحة 97).

وهذه المنشآت العسكرية واسعة تتوسطها باحة، وأقواس مفتوحة عليها الغرف التي يسكنها الجنود، وكل غرفة تعرف باسم غالبا ما يكون اسم قائد الغرفة اوده باشي (André Raymand, 1985, p. 70).

بعد أن يلتحق هؤلاء المتطوعين بثكناتهم يكونون قد دخلوا رسميا في الخدمة العسكرية مما يسمح لهم بالتدرج في الرتب والترقيات، وأول هذه الرتب التي يحملها المتطوع الجديد هي رتبة اليولداش[7] وهو جندي بسيط (Diego de Haëdo,، 1998، صفحة 74)، ويعرف بين أصحابه بـ: يكي يولداش[8]وبعد مرور ثلاث سنوات يصبح اسكي يولداش[9]، ثم باش يولداش أي رئيس اليولداش، وهو رئيس فرقة خيمة(صوفره) تتكون من ستة عشر إلى عشرين جنديا، وهذه الرتبة يرقى إليها اسكي يولداش بعد مرور ثلاث سنوات أخرى (وليم سبنسر، 1981، صفحة 56).

وعلى هذا المنوال فإن الترقية كانت تتم بالتدرج وبتعيين أقدم الجنود في رتبة وكيل حرج، وكانت مهمته هي مراعاة مصالح الوحدة من توفير المواد الغذائية وغيرها لجنودها (Thomas Show , 1980, pp. 158-162)، ويرقى بدوره - بعد أقدمية معينة- إلى رتبة أوده باشي ثم إلى بلوك باشي، والذين لهم هذه الرتبة هم من توكل إليهم قيادة الحاميات العسكرية في المدن، وتأتي بعد هذه الرتبة رتبة يايا باشي وقد يزيد عدد أولئك الذين يحملون هذه الرتبة عن عشرين فردا، ويعدون ضباطا سامين، حيث أنهم يقومون بمرافقة الباشا إلى المسجد أيام الجمعة وفي العيد، كما توكل إليهم بعض المهام الدبلوماسية داخليا وخارجيا، وقيادة الحملات العسكرية التي تخرج كل ستة أشهر لتقوم بجمع الضرائب من مختلف المناطق (Diego de Haëdo,، 1998، الصفحات 74-76).

كما أن الذي يرقى إلى هذه الرتبة فحظوظه كبيرة جدا في الترقية السريعة، إلى رتبة باش بلوك باشي إذ أن القانون المعمول به في الترقية ينص على أن يرقى في كل شهرين قمريين إلى رتبة باش بلوك باشي. وباش بلوك باشي كانت وظيفته تتمثل بالدرجة الأولى في الحفاظ على الأمن داخل المدينة، كما كان بمثابة نائب للأغا إذ كان يأخذ مكانه أثناء مرضه أو عزله، لأن الإنكشاريين يعزلون عادة الأغا إذا قام بشيء يغضبهم أو غاب عن وظيفته (Diego de Haëdo,، 1998،

---

[7]- يولداش، كلمة تركية تعني رفيق أو زميل وتطلق على رفيق الشخص في سفره، يراجع:

- CH. BEYFRASCHERY-SAMY, Op.cit, p.1367.

[8]- (يكي يولداش) بلفظ حرف الكاف في الكلمة الأولى نونا، أي (يني) وهي كلمة تركية تعني جديد، أما اسكي فهي تعني في اللغة التركية قديم، يراجع:

-CH. BEYFRASCHERY-SAMY, Op.cit, p.1355.

[9]- في حقيقة الأمر هاتين الرتبتين لم نجد لهما في المصادر التاريخية أي دليل يوحي على أنهما من بين الرتب الرسمية المعمول بها في الترقية، مما يدفعنا إلى القول بأنهما تسميات يطلقها الجنود على بعضهم البعض وذلك للتمييز بين المجند الجديد والمجند القديم، والدليل على ذلك ما ذهب إليه وليم سبنسر حيث قال أن يكي يولداش يحييه رفقاؤه بمثابة اسكي يولداش بعد مرور ثلاث سنوات على تجنده، يراجع: وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.56.

صفحة 77)، وكان باش بلوك باشي يرقى إلى رتبة أغا إنكشارية التي هي أعلى الرتب العسكرية آنذاك في الإيالة (Venture de Paradis, 1983, p. 77).

ويعتبر أغا الإنكشارية بمثابة القائد العام لفرق الإنكشارية ولقبائل المخزن التابعة لدار السلطان والمحيطة بمدينة الجزائر، إذ كان تحت إمرته سبعة من قواد تلك القبائل وهم، قائد بني خليل، قائد بني موسى، قائد الخشنه، قائد بني جعد، قائد بني سليمان، قائد عريب، قائد حجوط (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 48)، كما أنه يعمل على توطيد الأمن واستقراره وذلك بتجريد الحملات ضد الناقمين والثائرين على السلطة المركزية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 27)، ليس هذا فحسب بل كان أيضا يتولى منصب قاضي العسكر إذ يصدر الأحكام فيما يقوم به بعض هؤلاء الإنكشاريين من مخالفات، ويصهر على تطبيق تلك الأحكام بنفسه (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 122).

وبعد ما كان باش بلوك باشي الذي يقلد رتبة الأغا يبقى في هذه الرتبة لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة، وذلك خلال العهود الأولى من تاريخ الإيالة (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 104)، فقد أصبح فيما بعد -أواخر العهد العثماني- غير مسموح له أن يبقى في هذا المنصب أكثر من شهرين قمريين، لذا كان يعرف بـ: أغا الهلالين ويضاعف مرتبه (وليم سبنسر، 1981، صفحة 56) أثناء تلك المدة التي يقضيها على رأس الإنكشارية، لكونه أقدم جندي في صفوفهم، كما أنه يلتزم بتطبيق القوانين الحقيقية للإنكشارية حيث يقيم بمقر خاص له خارج دار الإمارة، ويمنع من رؤية أفراد أسرته، أو مغادرة مقره إلا إذا كانت هناك ضرورة تستدعي ذلك، كأن يحضر جلسة الديوان، وفي هذه الحالة لا يخرج بمفرده بل في موكب بهيج يدل على عظمة منزلته في الإيالة، ويجلس إلى يسار الباشا، ويليه الكاهيا وبقية الضباط بالترتيب حسب رتبهم (Venture de Paradis, 1983, pp. 158-159).

بعد هذه المراحل المتتابعة في الخدمة ضمن صفوف الإنكشارية، وبعد التدرج في مختلف الرتب العسكرية، يكون الجندي الإنكشاري قد أنهى مشواره العسكري، فيحال على التقاعد، ويطلق عليه اسم معزول أغا لكنه يحتفظ بعضويته في الديوان، كما له الحق في اختيار المكان أو المنطقة التي يرغب العيش فيها، وله أيضا أن يمارس أي نشاط يراه مناسبا له (Thomas Show , 1980, p. 160).

والشيء الملاحظ هنا أن أعلى الرتب العسكرية لم تكن تمنح إلا للإنكشارية من أصول تركية، أو مسيحيين اعتنقوا الإسلام، أما الأهالي الذين سمح لهم بالالتحاق بصفوف هذه الفرقة فلم يكن بإمكانهم الارتقاء إلى هذه الرتب العليا، بل حتى الكراغلة –أي من أب تركي وأم جزائرية- لم يكن مسموحا لهم اعتلاء هذه الرتب، وذلك انتقاما منهم لكونهم أيدوا فرقة الرياس في صراعها ضد الإنكشارية سنة (1042هـ/1633م)[10].

وبما أن الإنكشاري في الجزائر يعتبر امتدادا لنظيره في استنبول، فقد كانت له نفس الحقوق التي كانت لهذا الأخير، وأهمها المرتب الذي يطلق عليه اسم علوفة[11].

فقد كانت مرتبات المجندين الجدد في إنكشارية الجزائر تحسب لهم من تاريخ وصولهم إلى الإيالة، فإن صادف وصولهم يوم الدفع فإنهم يتلقون أجورهم كزملائهم القدماء (Venture de Paradis, 1983, p. 160)، إلا أن المرتب الذي يتقاضاه كل واحد من هؤلاء المتطوعين الجدد عقب انخراطه في الجيش ضئيل (وليام شالر، 1982، صفحة 53) ، ولا يتعدى ثماني صيمات (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 128) ويرتفع تدريجيا، أو يتضاعف عند توفر بعض

[10]– للمزيد من المعلومات فيما يتعلق بهذا الصراع بين فرقة اليولداش وفرقة الرياس، راجع: مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص.164.

[11]– علوفه: مصطلح تركي يعني الأجر أو الراتب، يراجع:

-CH. BEYFRASCHERY- SAMY, Op.Cit, p.857.

المناسبات كتحقيق انتصارات كبيرة، أو تولي سلطان لحكم، أو ازدياد مولود عند السلطان، إلى أن يصل بعد خمسة عشر سنة إلى ثمانين صيمة، ويعتبر حد أقصى لا يمكن لأحد أن يتجاوزه مهما بلغت درجته (Degrammant. H.D, 2002, p. 47)، ما عدا أغا الهلاليين الذي يضاعف مرتبه ويعتبر ذلك امتياز يتمتع به كل أغا يتولى هذا المنصب لمدة شهرين قمريين (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 128).

وقد كانت هذه المرتبات توزع على الجنود كل شهرين قمريين، وتسلم لهم شخصيا، فإذا كان أحدهم غائبا في محلة أو لسبب من الأسباب الأخرى فعليه أن ينتظر حتى يوم الدفع الذي يكون مرتين في الشهر ليستلم مرتبه، (وليم سبنسر، 1981، صفحة 59) ولا تصرف الرواتب إلا بحضور أغا الهلاليين (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 122)، ونظام الدفع يكون حسب الرتبة والأقدمية، فالضباط توزع عليهم رواتبهم في قاعة الديوان، بينما الجنود فتوزع عليهم في ساحة القصر (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 129)، وأول من يتقاضى مرتبه هو الداي الذي يأتي مثله مثل بقية الجنود لهذا الغرض (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 122).

وبما أن دفع الرواتب يعتبر من القضايا التي يستحق العناية والاهتمام من طرف الباشاوات لأن أي تأخير في دفع الأجور قد يؤدي إلى تمرد الإنكشارية وإحداثهم للفوضى التي قد تصل إلى حد عزل الباشا وإعدامه في غالب الأحيان، فقد خصصوا لأجل ذلك ديوان ضخم يعقد في ربيع كل سنة، ويترأسه الخزناجي بدل الباشا، في خيمة تنصب خارج العاصمة، وخصصا لهذا الغرض، ومن واجب كل جندي حضوره، حتى وإن كان في أقصى الإيالة، وتدوم مدة هذا الديوان أربعين يوما (Venture de Paradis, 1983, p. 40)، وكان الراتب الذي يتلقاه الجندي في هذا الديوان غير الراتب الذي يتقاضاه في المناسبات الأخرى، إذ كان يمنح إلى جانب مرتبه مواد غذائية مختلفة، أو ما يعادلها نقدا ليتولى شراؤها بنفسه (خليفة حماش، 1988م.، صفحة 112).

وزيادة على هذا فهم يتمتعون ببعض الامتيازات التي تخولهم الحق في شراء ما يحتاجونه من مواد غذائية، أو مواد مصنوعة بأثمان منخفضة أو زهيدة، بل تخولهم الحق في استضافتهم من طرف أهل المدينة التي تقيم بها الحامية مدة معينة، مثلما كان يحدث مع حامية بسكرة (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 130).

ليس هذا فحسب بل الإنكشاري معفى من مختلف الضرائب والرسوم، التي تفرض على غيرهم من أفراد الرعية (مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، 1964، صفحة 124)، ولعل هذا ما زاد في تكبرهم وإحساسهم بأنهم الأفضل في الإيالة، ومن يجب على الجميع احترامه وطاعته. كما أنهم منحوا أيضا حق المشاركة في العمليات التي تقوم بها البحرية أو فرقة الرياس، مما يعطيهم فرصة لتوفير أموال طائلة جراء الغنائم التي يتحصلون عليها خلال هذه العمليات (Paradis، صفحة 40).

بالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت أيضا للإنكشارية حقوق أدبية، منحتهم ما يمكن أن نسميه بالمصطلح الحديث-حصانة-حتى أنه ليس بإمكان أي شخص مدني– حتى وإذا كان القاضي الحنفي ذاته-أن يصدر أمرا بإلقاء القبض أو معاقبة أحدهم في حالة ارتكابه لمخالفة أو جناية، بل كان الذي يحق له إصدار تلك الأوامر في حقهم أو محاكمتهم هو أغا الهلاليين، وتنفيذ الأحكام فيهم يكون بطريقة سرية وفي مقر الديوان (حمدان خوجة، صفحة 122).

1-1-2- المدفعية:

فبالإضافة إلى فرقة الإنكشارية التي كانت أهم فرق الجيش النظامي، كانت هناك فرق أخرى كان لها هي الأخرى دورا فعالا في جعل المؤسسة العسكرية الجزائرية أهم وأقوى من غيرها في حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك.

ومن بين هذه الفرق فرقة المدفعية (فرقة الطوبجية) التي لفتت انتباه كثير من الملاحظين الأجانب بتنظيمها ونوعيتها، وقوة ضرباتها، فمنذ البداية كانت الإيالة مجهزة بتنظيم دفاعي قوي يتكون من أعضاء هذه الفرقة، وذلك لرد هجمات الأساطيل الأوربية التي كانت تهدد سواحلها (Belhamissi, Alger la ville aux mille canons, 1990, p. 93).

فكثير من المعارك التي خاضتها الإيالة في البر والبحر كان الفضل فيها لصالحها بفعل قوة هذه الفرقة، وهذا باعتراف الأجانب ذاتهم، فهذا القنصل الفرنسي في الجزائر اسمه "ديكرسي" Dekercy، لاحظ أن الإسبان مرغت أنوفهم في التراب- على حد قوله- أثناء الهجوم الذي قاموا به على الإيالة سنة (1189هـ/1775م)، بواسطة قلعة صغيرة تعرف باسم باب عزون حيث كانت كل ضربة مدفع تقتل خمسين رجلا منهم، وكان بإمكان هؤلاء الإسبان أن يقوموا بعملية إنزال لـ: ألفين رجلا على الشاطئ فيسيطرون على القلعة لكن يجب عليهم أن يقضوا على المدافع أولا (Belhamissi).

ليس هذا فحسب بل إن هذه الفرقة بقت من أهم الفرق العسكرية إلى آخر يوم من تاريخ الإيالة، وهو ما جعل بعض من حضروا سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين سنة (1246هـ/1830م)[12]، أمثال حمدان خوجة[13] يرجع أحد أسباب هذا السقوط إلى عدم حضور المدفعية في سيدي فرج ما عدا اثني عشر مدفعا نصبت بداية إعلان الحرب (خوجة).

ولكن رغم ذلك فقد استمرت المدفعية في دفاعها عن المدينة بقذفها للفرنسيين إلى آخر لحظة مما جعلهم يتراجعون عنها لعدة مرات قبل أن تستسلم (أحمد الشريف الزهار، 1974، الصفحات 173-174)، ثم إن الشيء الذي صعب من مهمة الفرنسيين في السيطرة على مدينة قسنطينة – فيما بعد- وأفشل محاولتهم الأولى للاستيلاء على المدينة سنة (1252هـ/1836م)[14]، هو قوة هذه المدفعية التي كانت تحصن المدينة.

---

[12]- للمزيد من المعلومات حول تفاصيل هذه الحملة التي أدت إلى سقوط مدينة الجزائر واحتلالها من طرف الفرنسيين، راجع: احميده عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827–1840م)، ط.1، دار البعث، الجزائر1987م.

[13]- حمدان بن عثمان خوجة كاتب وزعيم سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ولد بمدينة الجزائر حوالي سنة (1186هـ/1773م). حفظ القرآن وتلقى تعليمه الأول على يد والده، كان مطلعا على شتى العلوم في عصره كالمنطق والفلسفة والتاريخ والطب. كما كان يتقن إلى جانب اللغة العربية، التركية، الفرنسية والإنجليزية. كان مستشارا للديوان خلال العهد العثماني وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر تولى منصب مستشار في البلدية. وحين أخل الفرنسيون ببنود وثيقة الاستسلام التي على إثرها سلمت لهم مدينة الجزائر نظم حمدان خوجة ما يمكن أن نعتبره كأول حزب وطني سياسي جزائري لمقاومة الاحتلال عرف باسم لجنة المغاربة أو حزب المقاومة فجهر بالمطالب السياسية وطالب السلطة بالجلاء العسكري، وراسل الملك لويس شخصيا يشرح له المظالم الفرنسية، ويطالب بإعطاء الحقوق للجزائريين مما جعله عرضة للاضطهاد الاستعماري.

وقبل أن نختم هذه النبذة عن حياته لابد أن نذكر أن حمدان يعتبر من دعاة الإصلاح أواخر العهد العثماني إذ دعا إلى نبذ التعصب. ودعا إلى ضرورة الإقبال على الأخذ بالعلوم التجريبية، ونبه إلى سلوك المرابطين الخاطئ وخطره على المجتمع ومن أهم مؤلفاته المرآة الذي ألفه في باريس سنة(1249هـ/1833م) وكذلك إتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء، ألفه سنة (1252هـ/1836م). توفي على الأرجح في الفترة ما بين سنة (1256هـ/1840م–1257هـ/1841م).

للمزيد من المعلومات يراجع: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط.1، دار الآداب، بيروت 1969، الفهرست، ص.541. احميده عميراوي، المرجع السابق. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج1، إسطنبول 1951–1955م، ص.335. أبو عمران الشيخ ومجموعة من المؤلفين، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر 1995، ص–ص.169-170. إبراهيم لونيس، مقالة "حمدان بن عثمان خوجة"، جريدة المساء الجزائرية، الأحد 4ديسمبر1988م، ص.10.

[14]– للمزيد من المعلومات حول هذه المعركة انظر: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر (د.ت)، ص– ص. 55-60، ويراجع أيضا:

-Charles- André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation, Presses universitaires, France1964, p.132.

وفيما يتعلق بالمدافع التي كانت تستعملها هذه الفرقة، فقد كانت عثمانية الصنع، حيث تحتوي على نقوش عديدة ومختلفة كالأشجار وبعض النباتات، وبعض الأدعية، إلى جانب تاريخ صنعها واسم السلطان الذي كان يحكم آنذاك (خليفة حماش، 1988م.، الصفحات 130-131).

كما كانت هناك أيضا مدافع جزائرية الصنع، حيث أن الإيالة اهتمت بصناعة مختلف الأسلحة بما فيها المدافع، وأنشأت دورا لأجل ذلك (حماش)، وقد كانت معظم المدافع الجزائرية مصنوعة من البرونز، وقيمتها معتبرة جدا (Belhamissi).

1-2- الفرسان:

فبالإضافة إلى فرقتي الإنكشارية والطوبجية، توجد فرقة الفرسان التي تتكون من كبار السن من جنود الإنكشارية أو فرسانا من الأهالي، إلا أن غالبيتهم كانوا من الأهالي، وكانوا يعملون كحلفاء للباشا في الحملات الداخلية لجمع الضرائب أو أثناء رد الهجمات الخارجية على الحدود (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 109)، كما كانوا يشكلون حرسا خاصا للبايات (Venture de Paradis, 1983, p. 176).

ويتولى قيادة هذه الفرقة أغا الدائرة (Eugène Vayssettes, 2002, p. 25)، ويعرف في بعض المقاطعات بأغا العرب أو الباش أغا أو خوجة الخيل وهو الذي يقوم بتعيين البايات عندما يصدر إليه الباشا أمر بذلك، ويراقب تعاملهم مع السلطة المركزية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 20-21).

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى القول إن عددهم الصغير بالمقارنة مع فرقة الإنكشارية أبعدهم عن لعب الأدوار الهامة في مؤسسة الجيش.

وزيادة عن الفرق الثلاثة السابقة الذكر كانت هناك فرق أخرى تكوِّن الجيش النظامي إلا أنها صغيرة العدد ومحدودة المهام، إذ كانت مهامها تقتصر على حفظ الأمن والخدمة داخل دار الإمارة، ونذكر منها فرقة صولاق التي تشكل الحرس الخاص للباشا، وفرقة بيكلر التي تقوم بمهام المراقبة في الأحياء الصغيرة، بالإضافة إلى فرقة الجاوشية ومهمتها تتلخص في مراقبة الجنود والقبض على المتهمين منهم، أما آخر هذه الفرق هي فرقة زباندو التي تتكون من الجنود الذين ارتكبوا مخالفات ثم صدر العفو في حقهم، ومهمة هذه الفرقة هي مباغتة العدو أثناء المعارك (حماش).

1-3- القوات البحرية:

بما أن مؤسسي الدولة الجزائرية، وهما الأخوان عروج وخير الدين بربروسا كانا بحاران من الدرجة الأولى، كما أن الخطر الصليبي الذي يهدد آنذاك المغرب الإسلامي بصفة عامة -والجزائر بصفة خاصة- كان قادما من السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى طول مساحة شواطئنا، وتمركز معظم سفن القراصنة من مختلف الجنسيات بالبحر الأبيض المتوسط (احمد توفيق المدني، 1976، صفحة 96)، فان حكام الإيالة –منذ البداية- عملوا على إنشاء أسطول بحري حربي قوي يقف من جهة في وجه كل هذه التحديات التي كانت تتربص بأرض الإسلام والمسلمين لاسيما الجزائر، ومن جهة أخرى يضمن مصالح الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط[15].

[15]- كان هذا هو الهدف الأسمى الذي أنشئ من أجله الأسطول البحري الجزائري، ولم يكن الغرض منه هو الاعتداء على السفن التجارية الأوروبية مثلما ادعى بعض المؤرخين الغربيين أمثال جون.ب. وولف في كتابه: الجزائر وأوروبا، ص.189.

ومن الطبيعي أن إنشاء قوة بحرية بهذا الحجم –لأجل تحقيق تلك الأهداف السامية- كان يتطلب إيجاد جهاز إداري محكم يتولى تسييرها، وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد حيث كان على رأسها وكيل حرج الذي كانت وظيفته تتمثل في الاهتمام بأمور البحرية، حيث يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال هذه الترسانة بالإضافة إلى توزيع الغنائم (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 50). كما كان يتولى الشؤون الخارجية، حيث يستقبل في بعض الأحيان قناصل ومبعوثي الدول الأوروبية ويتصل بهم (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 152).

فقد كانت وظيفته تلك تعادل وظيفة وزير البحرية ووزير الخارجية على أيامنا هذه، بل كان يعرف في تلك الفترة عند حكومات الدول الأوروبية باسم وكيل حرج وزير البحرية والشؤون الخارجية (خليفة حماش، 1988م.، صفحة 64)، ويليه في الرتبة ضباط آخرون أهمهم القبودان أو الكابتن وهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى الجهاد (Thomas Show , 1980, p. 174)، ويأتي بعده ليمان رئيسي أي قائد المرسى الذي يتفقد بسفينته الخاصة شواطئ مدينة الجزائر ويراقب حركة السفن الداخلة والخارجة منها للتعرف عليها وعلى مهامها (Thomas Show , 1980, p. 173)، كما أنه يقوم بكتابة تقارير حول المستجدات الدولية التي تتناقلها السفن القادمة إلى ميناء الجزائر، ويرفعها إلى الباشا شخصيا، بالإضافة إلى تبليغه إياه أو إلى أحد وزرائه الرسائل التي كانت تحملها هذه السفن (أحمد الشريف الزهار، 1974، الصفحات 152-153).

وكذلك من أهم الوظائف وأبرزها وظيفة واردیان ياشي المكلف بمراقبة الأعمال التي يقوم بها الخدم في الميناء وتنظيمها، كما يقوم بتعيين هؤلاء الخدم للعمل على متن السفن وذلك حسب حاجة كل رئيس منها (Thomas Show , 1980, pp. 47-179-190).

وكانت قيادة المركب الحربي تتركب من:

رئيس -رايس- يعينه الباشا في وظيفته إما لصالح سفن الإيالة أو لصالح سفن الخواص (Venture de Paradis, 1983, p. 43)، وكان يعين من بين جنود الوجاق، أو من بين أفراد الرعية الذين يعملون في البحرية (Venture de Paradis, 1983)، ويساعده في مهامه عدد من البحارة من بينهم الباش رئيس وهو بمثابة نائبه على قيادة المركب، ثم رئيس العسة والوارديان والمكلف بالتموين الذي يدعى وكيل حرج وعددهم ثلاثة في كل مركب، بالإضافة إلى سكرتير أو أمين رئيس يطلق عليه اسم خوجة يتولى مهام الأمانة (مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، 1964، صفحة 126)، كما يوجد هناك ضباط آخرون يطلق عليهم اسم رئيس الطريق يتولون قيادة السفن التي تؤسر أثناء المعارك (مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، 1964، صفحة 126)، وكل مركب يتوجه للجهاد يأخذ معه عددا من جنود الطوبوجية بقيادة طوبجي باشي، وآخر يحمل جنود الانكشارية بقيادة بلوك باشي أي أغا (Venture de Paradis, 1983, p. 150).

والملاحظ أن لقب رئيس لا يعطى إلا بعد امتحان يتم اجتيازه أمام ديوان الرياس، هذا الأخير يتكون من كل الرياس الذين لهم القيادات في ذلك الوقت (وليم سبنسر، 1981، صفحة 61)، وعلى خلاف ما كان معمولا به في الجيش البري أو فرقة اليولداش فإن الترقية في القوات البحرية كانت مفتوحة أمام الجميع بما فيهم البحارة من السكان الأصليين للإيالة، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر الرئيس حميدو الذي هو من أصول أمازيغية وبدأ كخادم في غرفة الضباط ثم تدرج في الرتب إلى رتبة رئيس ثم قائد للأسطول (وليام شالر، 1982، صفحة 52).

وفيما يتعلق بطريقة التجنيد في القوات البحرية فكانت تتم من خلال أربعة مصادر أساسية تتمثل في: المسلمون من مختلف إيالات الدولة العثمانية آنذاك، ومن بعض الأوربيين الذين يشاركون في العمليات الجهادية قصد الحصول

على الغنائم والأرباح، بالإضافة إلى سكان الإيالة (وليم سبنسر، 1981، الصفحات 60-61)، دون أن ننسى الأسرى المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام واستقروا في الجزائر (وليم سبنسر، 1981، الصفحات 60-61).

أما فيما يخص أنواع السفن التي كانت تكون الأسطول الجزائري أواخر العهد العثماني فهي عبارة عن سفن صغيرة تتميز بخفتها وسرعة حركتها، وقدرتها على المناورة مثل القليوطات، والفرقطون، والبريكات، هذا بالإضافة إلى سفن مستديرة المقدمة وذلك للملاحة في أعالي البحار من صنف (Galères) (وليام شالر، 1982، الصفحات 62-69-701)، وهي كلها نماذج من سفن صغيرة كانت معروفة في السابق بعضها ذات مجاديف وبعضها الآخر ذات أشرعة طويلة وهذه الأخيرة تكون مسلحة بعدد من المدافع يتراوح بين ثمانية عشر وخمسين أو ستين مدفعا (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 194).

ومعظم هذه السفن كانت تصنع في الجزائر إذ أن جل الموانئ الجزائرية كانت تتوفر على دور لصناعة السفن والقوارب أو لإعادة تجهيزها وإصلاحها (وليام شالر، 1982، صفحة 62)، ومن أهم هذه الموانئ ميناء الجزائر وشرشال وعنابة، حيث تصنع فيها السفن من نوع الفرقطات مجهزة بعشرين إلى ثلاثين مدفعا، وتتجاوز طاقة حمولتها ثلاثمائة طن (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 65)، وهذا يعكس مدى التقدم التقني والفني الذي بلغه المجتمع الجزائري آنذاك (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 192).

وفيما يتعلق بالمواد الأولية التي كانت تستخدم في صناعة هذه السفن فكان بعض منها كالخشب يجلب من بجاية وشرشال وغيرهما، أما بعضها الآخر كالأشرعة والحبال والطلاء والقطران كان يؤتى بها من أماكن متعددة، منها ما كان يأتي على شكل هدايا وإتاوات من قبل الدول الأوربية التي كانت لها معاهدات مع الإيالة، ومنها ما يؤخذ من السفن المحتجزة غير الصالحة للاستعمال (جون.ب.وولف، 1986، الصفحات 192-193).

واليد العاملة التي كانت تستغل في هذه الصناعة تتمثل في الأسرى الأوربيين بالدرجة الأولى (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 66)، أما الإشراف الفني فكان يتولاه في غالب الأحيان مهندسون أوربيون، قد يكونون هم الآخرون من الأسرى وإما متعاونون فنيون مع الإيالة (وليام شالر، 1982، الصفحات 61-62).

لكن هذا لا ينفي وجود مهندسين وفنيين محليين متفوقين، إذ نعلم جيدا أن سكان الإيالة استفادوا كثيرا من هجرة الأندلسيين إليهم (احمد توفيق المدني، 1976، صفحة 74)، كما استفادوا من احتكاكهم بغيرهم من الشعوب، وذلك بفضل العلاقات التي كانت تربط الإيالة ببعض الدول الأجنبية، وبفضل التجارة، وتجنيد البحارة وغيرهم من أقطار مختلفة بالدولة العثمانية.

إلا أن هذه القوة البحرية التي أرعبت الدول الأوربية وهزتهم في عقر دارهم لقرون، قد خرت قواها أواخر العهد العثماني (عمورة، صفحة 111)، بسبب قدم معظم سفن أسطولها، وعدم مواكبتها للتطور الحضاري الذي بدأ يظهر في العالم الغربي، بالإضافة إلى تفكك معظم وحداته، بفعل الهجمات المتكررة من قبل أساطيل الدول الأوروبية، مثل الحملة التي قادها اللورد أكسموث عام (1232هـ/1816م)، التي أحرقت أغلب سفن الأسطول ودمرت جزء من مرسى الجزائر (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 45).

كما أن ما تبقى من سفن الأسطول الجزائري بعد هذه الهجمة الشرسة، قضي عليه في معركة نافارين (1243هـ/1827م)[16]، مما سهل للفرنسيين مهمتهم في الاستيلاء على مدينة الجزائر سنة (1246هـ/1830م)، التي لم يجدوا في موانئها سوى خمسة وثلاثون قاربا صغيرا وثلاث قاليوطات في طريق الإنجاز، بالإضافة إلى عدد قليل من البحارة ممن تقدم بهم الدهر، وأصبحوا غير قادرين على ركوب البحر (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 106).

2- الجيش الاحتياطي (قبائل المخزن):

فبالإضافة إلى الجيش النظامي السابق الذكر، كان هناك ما يسمى بالمصطلح الحديث الجيش الاحتياطي ويتكون من قبائل المخزن وقد عمل الحكام الأتراك منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر جاهدين للحفاظ[17] على امتيازاتها ووظائفها التي كانت تتمثل في بداية الأمر في معاقبة المتمردين، وإخضاع القبائل الثائرة (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 111.)، ثم وسعت صلاحياتها في أواخر العهد العثماني، وبالضبط في القرن الثامن عشر (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 106)، حيث أصبحت تشارك في المحلات الفصلية لاستخلاص الضرائب (Degrammant. H.D, 2002, p. 319)، كما كانت تلعب دور شرطة الحدود – بالمصطلح الحديث- حيث تراقب تنقلات وتحركات القبائل الجبلية والصحراوية وتحول دونها ودون اجتياحها لملكيات البايلك في السهول الخصبة، بل تراقب أيضا أماكن العبور والمسالك الرئيسة الرابطة بين مراكز الباياليكات، والمطاحن الهوائية والمائية والأسواق الموسمية، وإبعاد الخطر عن مطامر البايلك ومحطات الطرق –حيث يستريح المسافرون- وتعمل على مراقبة الجسور والحفاظ على سلامتها. كما تراقب نقاط التقاء المحلات الفصلية عند جمعها للضرائب (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 106).

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى القول إن هذه القبائل عبارة عن مجموعات سكانية تتكون من عائلات غير متقاربة، ولا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك، فهم خليط من العبيد والموالي وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال قامت السلطة المركزية بتجميعهم في نقاط ومواطن معينة للأغراض السالفة الذكر (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 48)، ومقابل امتيازات وحقوق تقدم لهذه القبائل تتمثل في حصولهم على استقلال محلي، بالإضافة إلى اقتطاعهم أراضي في تلك المناطق التي ينزلون بها، يقومون بحرثها واستغلالها دون إلزامهم بدفع الضرائب كاللزمة والغرامة والحكور والمعونة باستثناء ضريبة العشر التي هي واجبة على كل مسلم تتوفر فيه شروط إخراجها[18]، بالإضافة إلى ذلك فهم يجهزون بالخيل والسلاح مجانا (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 48).

والمتتبع لتتطور هذه القبائل وعلاقتها بالسلطة المركزية يلاحظ أنها كانت بمثابة الخزان الذي يمد هذه السلطة بما تحتاجه من المحاربين –خاصة أواخر العهد العثماني- إذ أن عدد مخازينها في غالب الأحيان كان يفوق أو ضعف عدد أفراد الجيش النظامي، إذ لم يكن عدد أفراد هذا الأخير يتجاوز أربعة آلاف محارب في أوقات السلم، ونادرا ما يزيد عن مائة وعشرون ألف محارب في أوقات السلم بينما ما توفره القبائل قد يصل في بعض الأوقات إلى ثلاثين ألف محارب (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 100)، وكمثال على ذلك نلاحظ أن مخزن الزمالة التابع لبايلك الغرب كان به في سنة

---

[16]- للمزيد من المعلومات حول أسباب هذه المعركة وتفاصيلها، يراجع: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص- ص. 426- 427، ويراجع أيضا: عمار عمورة، المرجع السابق، ص.111.

[17]- قلنا للحفاظ ولم نقل لإيجادها لأن هذه القبائل كانت موجودة في عهد الموحدين والزيانيين بتلمسان وبنو حفص ببجاية وقسنطينة، ولم تكن من صنع وإيجاد الأتراك، للإيضاح أكثر يراجع: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.106.

[18]- لمعرفة هذه الشروط يراجع: محمد ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، ط.4، مطبعة مصطفى البابي، مصر 1975، ص.245.

(1207هـ- 1792م) ثلاث مائة وسبعة عشر فارسا، ومخزن العزابة التابع لنفس البايلك كان به ثلاث مائة وثلاثة عشر فارسا (مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، 1964، صفحة 298).

وما يمكن أن نقوله عن هذه القبائل أنها كانت بمثابة الرباط الوثيق بين السلطة المركزية في المدينة وبين الأهالي من سكان الأرياف، بل إنها ما لبثت أن تحولت في أواخر العهد العثماني إلى الحارس الأمين الذي يعمل على الحفاظ على مصالح سيده، والقوة التي لا يمكن الاستغناء عنها إذ يلجأ إليها الحكام كلما أحسوا بخطر يهدد نفوذهم ويقلل من مداخيلهم وثرواتهم، وبقدر ما حافظت هذه القبائل على نفوذ السلطة المركزية في بعض المناطق الداخلية والريفية، وكانت عاملا أساسيا في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والاقتصادي، بقدر ما كانت أحد الأسباب الذي ساهم في زرع بذور زوال هذا النظام وعجل برحيله، لأنها ساهمت في إثارة السخط الشعبي ونقمته على الحكام مما قضى على تماسك كيان الدولة وهيبتها ومهد الطريق أمام الاحتلال الأجنبي.

بل أكثر من ذلك أنها كانت السبب في استفحال وانتشار ظاهرة البداوة بين سكان الأرياف إذ هاجروا حياة الزراعة وانتقلوا إلى الرعي، كما أن هذه القبائل كان لها الدور الفعال في انحصار واختفاء بعض اللهجات إذ ساعدت على انتشار اللغة العربية في بعض المناطق والجهات كالهضاب العليا القسنطينية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 107).

ثانيا: مؤسسة الخزينة وبيت المال:

إن المتعارف عليه لدى كل المؤرخين أن الشؤون المالية في الدولة الإسلامية تتولاها مؤسسة تعرف باسم: بيت المال وذلك منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي استحدثها وأوكل إليها مهمة تسيير مداخيل ونفقات الدولة (علي بن أبي الكرم ابن الأثير، 1980، صفحة 31) إلا أن الشيء الذي حدث في عهد الخلافة العثمانية – وهي آخر خلافة إسلامية- هو استحداث مؤسسة ثانية إلى جانب مؤسسة بيت المال تعرف باسم: الخزينة هذه الأخيرة استحوذت على جزء هام من صلاحيات بيت المال وأصبحت هي التي تتولى تسييره، مما قزم أهميته ودوره، وأصبحت مهمته مقتصرة على بعض الأمور الثانوية.

وقد أصبحت هذه الطريقة في تسيير الأموال مثالا اقتدت به كل إيالات الدولة العثمانية، وخاصة إيالة الجزائر، وسنستعرض هنا مهمة هذين الجهازين في إيالة الجزائر وعلاقة بعضها ببعض.

1- مؤسسة الخزينة:

فيما يتعلق بخزينة الإيالة الجزائرية، التي جلبت إليها أنظار الطامعين والحاقدين من الأوروبيين والمتعطشين لأموال غيرهم، فقد كانت تقع داخل دار الإمارة، وهي عبارة عن غرف أو دهاليز مقوسة تحت الأرض وبابها مفتوح على صحن الدار التي يجتمع بها الديوان، إنها على اليمين عند الدخول إلى هذه القاعة، يتولى حراستها ستة عشر نبتوجيا أو حرس الخزانة يجلسون على مقاعد خشبية مقابلين ظهورهم للحائط الكبير (Venture de Paradis, 1983, pp. 106-107).

وكان الخزناجي (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 61) هو الشخص الوحيد الذي يسمح له بالدخول إلى الخزينة (Venture de Paradis, 1983, p. 107)، ويعتبر بمثابة النائب الأول للباشا (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 127)، أما مفتاحها فيحتفظ به الداي في الأوقات التي تكون فيها مغلقة، أي بعد الزوال ويومي الثلاثاء والجمعة، ثم يسلمه للخزناجي كل صباح من يوم العمل (Venture de Paradis, 1983, p. 107)، ولا تفتح إلا بحضور هذا الأخير (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 127) الذي يعين بدوره مجموعة من الموظفين من الأهالي يطلق عليهم اسم الصبايحي لعد المبالغ التي تدخل وتخرج، ومراقبة صحة النقود (Venture de Paradis, 1983, p. 108).

1-1- مصادر الدخل: وفيما يتعلق بمصادر الدخل فهي متعددة ومتنوعة، وقد قسمها ناصر الدين سعيدوني إلى رسوم تتعلق بالحياة الاقتصادية في المدن، وضرائب ورسوم تؤخذ على قطاع الريف (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 86) ونحن بصفتنا باحثين في التاريخ العثماني نوافقه على هذا التقسيم.

1-1-1- رسوم اقتصادية في المدينة:

أ- غنائم الجهاد البحري: يسميها بعض المؤرخين- خاصة الفرنسيين- بأرباح القرصنة، فقد كانت عمليات الجهاد التي تقوم بها البحرية الجزائرية تشكل المورد الأساسي لمداخيل الخزانة (وليام شالر، 1982، صفحة 58) إذ تأخذ الدولة من غنائمها حصة الخمس وفي بعض الأحيان تأخذ السبع 7/1 أو أكثر (Diego de Haëdo,، 1998، صفحة 232)، بالإضافة إلى استحواذها على كل الأسلحة التي يغتنمها الرياس، واستفادتها من نسبة هامة من المبالغ التي تؤخذ بعد إعادة بيع السفن المحتجزة (ناصر الدين سعيدوني، 1985)، ليس هذا فحسب بل لها نسبة معينة من مبالغ افتداء الأسرى (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 113).

إلا أنه ابتداء من سنة(1231هـ/1815م) لم يعد الجهاد البحري يشكل موردا هاما للإيالة بصفة عامة (وليام شالر، 1982، صفحة 580)، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قدم وحدات الأسطول الجزائري التي أصبحت لا تواكب تطور العصر، مما جعل كثيرا منها غير صالح للاستعمال، بالإضافة إلى تلك الحملات (وليام شالر، 1982، صفحة 155) التي قادتها الدول الأوروبية ضد الجزائر، فتحطم العديد من سفنها، ثم جاء الحصار الفرنسي للسواحل الجزائرية سنة (1243هـ/1827م)، الذي قضى نهائيا على ما تبقى من نشاط البحارة الجزائريين فانقرض بذلك هذا المورد الهام.

ب- الإتاوات والهدايا: لقد كانت الإتاوات التي تقدمها الدول الأوروبية للإيالة، تحت تدابير اتفاقيات مختلفة نظير الحصول على موافقة تضمن لها حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، تمثل دخلا محترما للخزينة، بالإضافة إلى الهدايا التي كان يقدمها القناصل والمبعوثون الأوروبيون للباشا وأعضاء الديوان، إلا أن هذه الهدايا والإتاوات لم تعد كذلك بالنسبة للخزينة خلال العهود الأخيرة من تاريخ الإيالة والسبب بطبيعة الحال يعود إلى عدة عوامل أهمها ضعف وحدات الأسطول الجزائري مما لا يسمح لها ببسط نفوذها على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثلما هو الحال عليه في الماضي، وكذلك تهرب الدول الأوروبية من مثل هذه الالتزامات (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 114-115).

ج- المصادرات: بالنسبة للمصادرات كانت هي الأخرى من الموارد التي ساهمت في إثراء الخزينة، وبقيت كذلك إلى آخر يوم في تاريخ الإيالة، إذ كانت تعمد إليها الإيالة في غالب الأحيان ولسبب من الأسباب، كأن تعلن إحدى القبائل تمردها عن السلطة المركزية، أو ترفض أن تدفع ما عليها من مستحقات تجاه الخزينة، فيجهز لها الباشا حملة عسكرية لتأديبها، غالبا ما تعود بانتصارات ساحقة فيقوم قادتها بمصادرة أموال المتمردين من أغنام وبقر وخيول وجمال وغيرها (Diego de Haëdo,، 1998، صفحة 32)، وقد تكون المصادرة في حق أحد موظفي السلطة المركزية كالخزناجي أو الباي أو غيرهما، وذلك عقابا لهم عما بدر منهم من مخالفات لأوامر الباشا (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 114-115).

د- الرسوم المترتبة على أنظمة التعامل التجاري: وتتمثل في حقوق الجمركة المقدرة بـ:11%، ورسوم المكس على الأسواق، والضريبة المفروضة على السلع والمواد المستوردة أو المصدرة (Diego de Haëdo,، 1998، صفحة 32)، بالإضافة إلى الرسوم التي تدفعها السفن نظير السماح لها بالرسو في الميناء (وليم سبنسر، 1981، الصفحات 12-130.).

هـ الجزية: الجزية ليست بضريبة مستحدثة في العهد العثماني كما يتوهم بعض الناس، بل هي منصوص عليها شرعا، وبما أن الإيالة مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية التي تمثل الخلافة الإسلامية آنذاك وتدين بديانتها، فهي لم تفرط يوما في هذا الحق الذي يعتبر حقا للمسلمين جميعا، نظير الأمن الذي يوفرونه لأهل الذمة القاطنين بينهم (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 109).

و- رسوم النقابات المهنية والدكاكين التجارية: قد كانت الدكاكين على العهد العثماني تساهم بمبلغ معين من المال كل شهر يوجه للخزينة، وهذا المبلغ إجباري وليس اختياري (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، الصفحات 109-110)، كما كانت النقابات المهنية تساهم هي الأخرى وذلك بما تدفعه من منتوجاتها المختلفة، التي قد تكون عبارة عن أسلحة، أو سروج وألجمه وغيرها، وكل ذلك مجانا (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 106).

ز- الدنوش: يعتبر الدنوش (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 100) من المصادر الرئيسة لدخل الخزينة منذ أن وطأت أقدام العثمانيين أرض الجزائر إلى أن تم القضاء على حكمهم للإيالة سنة(1246هـ/1830م)، فهو عبارة عن مساهمات فصلية وسنوية لبايليكات الشرق والغرب والتيطري، ومردود أوطان دار السلطان، وقيادة ساباو (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 35)، فقد كان كل باي ملزم بأن يبعث بما جمعه من ضرائب من المناطق التي هي تحت سيطرته مع خليفته إلى مدينة الجزائر ويكون ذلك مرتين في السنة (في فصل الخريف وفي فصل الربيع) (Eugène Vayssettes, 2002, p. 31)، كما كان كل باي مطالبا بأن يحضر شخصيا إلى دار الإمارة ومعه مردود مقاطعته وذلك بعد مرور سنة على تعيينه في منصبه، ثم يصبح مطالبا بذلك كل ثلاث سنوات (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 100).

1-1-2- رسوم اقتصادية في الريف: إذا تفحصنا الوثائق التاريخية، وأمعنا النظر في تلك الدراسات التاريخية التي اهتمت بأواخر العهد العثماني في الجزائر فإننا سنجد دون شك أن المصادر الرئيسة لدخل الخزينة كانت تتمثل في تلك الضرائب، والرسوم المفروضة على القطاع الريفي، والسبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى نقص -إن لم نقل انعدام- عائدات الجهاد البحري، وزيادة النفقات، وهو ما يعرف بالمصطلح الحديث بعجز ميزان المداخيل، وزيادة ميزان المدفوعات، وهو ما دفع دون شك بالسلطات المركزية إلى اللجوء، إلى هذا النوع من الضرائب والرسوم، وإن كان بعض من هذه الأخيرة منصوص عليها شرعا، بل قد يكون ركن من أركان الإسلام، وواجب عيني على كل مسلم توفرت فيه شروط أدائه، ومن ثمة فلا يجوز إسقاطه كالزكاة. إلا أن كثيرا من تلك الضرائب لا سند شرعي لها، مما يجعل منها إجحافا في حق الرعية.

وبعض تلك الضرائب والرسوم هي:

أ- العشور والزكاة: فلما كانت الزكاة واجبة في الإسلام بدليل قوله تعالى: "فأقيموا الصلاة واتوا الزكاة (سورة الحج الاية 78)"- حيث أن الآية تضمنت فعل أمر وهو آتوا، والأمر يقتضي الوجوب- كما أنها الركن الثالث من أركان الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان"[19].

لهذه الأسباب اجتهد الحكام الأتراك العثمانيين في الحفاظ عليها ورأوا عدم إسقاطها، إذ بسقوطها يسقط ركن من أركان الإسلام وهذا ينقص من إيمانهم في نظر الرعية بالإضافة إلى كونها تمثل مصدرا هاما لدخل الخزينة لا يمكن التخلي عنه أو إهماله.

[19]- متفق عليه.

غير أن الشيء الذي لم يحافظ عليه هؤلاء الحكام يتمثل في المقدار الواجب أخذه شرعا، إذ أن الشريعة الإسلامية حددت المقدار الواجب إخراجه من الحبوب والثمار بالعشر إذا كان السقي طبيعي دون تكلفة، وإلا نصف العشر في حالة التكلفة (رشد، صفحة 265)، بينما المعمول به في تلك الفترة أنها كانت تؤخذ على الملكيات الخاصة حسب عادة الجابدات أو الزويجات (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 88)، بحيث كان يؤخذ على كل جابدة صاع من القمح وصاع من الشعير (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 144)، وهناك من القبائل من يفرض عليها أن تزيد على ذلك حمولتين من التين ومقدار من الزبدة وبعض الدواجن كالدجاج (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 90).

والسبب الذي جعل السلطة المركزية تلجأ إلى هذه الطريقة في جباية الزكاة، هو كي يتسنى لها الحد من التجاوزات التي كان يقوم بها الجباة ضد الأهالي (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 90).

ب- فوائد ورسوم أراضي البايلك: أغلب هذه الأراضي آلت إلى السلطة عن طريق المصادرات التي يقوم بها ممثلوها في البايليكات ودار السلطان مثلما حدث مع عديد من القبائل في بايلك الشرق (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 90)، أما الرسوم التي يخضع لها هذا النوع من الأراضي فهي تختلف فقد تكون عبارة عن محصول عيني في حالة استغلالها مباشرة من طرف الباي، أو عن طريق نظام الخماسة، وقد يؤخذ عنها رسم سنوي معين مقابل كرائها وهو ما يعرف بالحكور (احميده عميراوي، 1984، صفحة 28).

جـ- الغرامة: وهذه الضريبة استحدثتها السلطة المركزية مكان العشور حيث كانت مفروضة على سكان المناطق الخارجة عن السيطرة المباشرة للباي، كالهضاب العليا والصحراء والمناطق الجبلية كبلاد القبائل. وقد تأخذها السلطة المركزية عينا في شكل عروض مختلفة كالمواشي والمواد الغذائية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 95)، غير أنها عادة ما تكون نقودا فضية (احميده عميراوي، 1984، صفحة 27).

د- حق البرنوس: وهي ضريبة عينية بالنسبة لكل شيخ تسند له مهام في إطار حدود قبيلته (Henni، صفحة 46).

هـ- المشيخة: وتشبه إلى حد كبير ضريبة حق البرنوس إذ كانت هي الأخرى تفرض على شيخ القبيلة حينما تسند إليه زعامة قبيلته (احميده عميراوي، 1984، صفحة 27)، ومن المؤكد أن هاتين الضريبتين لم يكن الشيوخ يقدمونها من أموالهم الحرة، بل يستخلصونها من أفراد قبائلهم، مما يجعل منها ضريبة إضافية تثقل كاهل البسطاء والفقراء.

و- اللزمة: وهي رسوم عينية أو نقدية تفرض على القبائل المقهورة والمغلوبة تستخلص منهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، كتمويل الجند في المناطق الريفية والبعيدة (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 96-97).

2-1- نفقات الخزينة: يمكن القول إن نفقات الخزينة كثيرة أولها يتمثل في دفع أجور الإنكشارية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 129)، إلى جانب بعض المكافآت التي تمنح لهم لسبب من الأسباب كانتصارهم في بعض المعارك، أو تنصيب باشا جديد وتلقيه خلعة من استنبول، أو لرفع معنوياتهم أثناء المعارك، بالإضافة إلى تلك المعونات التي تقدم لهم أثناء المناسبات الدينية كالأعياد وحلول شهر رمضان (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 129).

بالإضافة إلى ذلك فالخزينة كانت ملزمة وملتزمة بدفع أجور ورواتب العمال والموظفين في قطاع الدولة، كما كانت تستورد بعض المواد الأولية الضرورية في بناء السفن وإعادة ترميمها كالخشب والحبال ومختلف اللوازم (وليام شالر، 1982، صفحة 60).

إلا أن جرايات هؤلاء الموظفين غير العسكريين لم تكن تكلف الخزينة أعباء كثيرة، لكونها كانت متواضعة بالمقارنة مع مرتبات الجنود (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 137)، بل حتى هذه الأخيرة لم تكن قبل منتصف القرن الثامن

عشر ميلادي من النفقات التي ترهق كاهل الدولة (جون.ب.وولف، 1986، صفحة 105)، غير أن الشيء الذي كان كثيرا ما يكلف الخزينة أعباء مالية طائلة هي تلك الهدايا التي يبعث بها الباشاوات إلى الباب العالي بإسطنبول أثناء توليهم للمنصب الجديد ويحملها أغا الهدية (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 132).

وكمثال عن هذه الهدايا تلك التي أرسل بها الداي عمر (1230هـ/1814م- 1232هـ/1816م) (أحمد الشريف الزهار، 1974، الصفحات 115-128) في فركاطة[20] بريطانية سنة (1231هـ/1815م) بمناسبة توليه الملك إلى السلطان العثماني محمود[21] (1223هـ/1808م-1255هـ/1839م) وقد قال عنها نقيب الأشراف أحمد الشريف الزهار إنه لم يبعث بمثلها أمير قبله ولا أمير بعده، وذلك نظرا لما تحويه من أموال ثمينة (أحمد الشريف الزهار، 1974، الصفحات 119-121).

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت الخزينة تتولى معظم الإنشاءات العمرانية كترميم الحصون والقلاع وثكنات الجيش، وبناء المساجد (أحمد الشريف الزهار، 1974، الصفحات 127-128).

2- مؤسسة بيت المال: لقد ظهر هذا الجهاز لأول مرة في عهد الخليفة -أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أطلق عليه اسم بيت مال المسلمين، وجعله بمثابة الخزينة العامة للخلافة الإسلامية حيث أوكل إليه تسيير شؤون المالية عامة، وبقي كذلك إلى غاية العهد العثماني أين قزم دوره، وفقد العديد من صلاحياته التي تولتها الخزينة، بل أصبح ذاته فرعا منها.

كذلك كان حاله في الإيالة حيث أصبحت مهامه تنحصر في رعاية مصالح الفقراء والغائبين وتسيير أملاكهم، وضمان حصة الدولة من التركات حسب الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى التكفل بنفقات دفن الفقراء، وتوزيع الصدقات على المحتاجين (Eugène Vayssettes, 2002, p. 28) والاعتناء بعتق المسلمين الأسرى بالبلاد المسيحية (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 140).

أما مداخيله فقد كانت متنوعة أولها هي تلك التركات التي يخلفها كبار رجال الدولة ممن لا وريث لهم[22]، بالإضافة إلى مردود مؤسسات الأوقاف والأملاك العقارية التي هي ملك للدولة (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 33)، وكان يتولى مسؤوليته موظف برتبة وكيل بيت المال بيت مالجي يعين من طرف الداي مباشرة (أحمد الشريف الزهار، 1974، صفحة 142).

أما علاقة بيت المال بالخزينة فهي علاقة أصل بفرع، حيث كان يساهم في مصادر دخلها، كما كان يشاركها أعباء الإنفاق (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 140)، فقد كان يزودها عشية الاحتلال بمبلغ هام من المال يقدر بحوالي أربع مائة بوجو شهريا (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 33).

---

[20]- فركاطة، نوع من السفن كما سبق وذكرنا ذلك.

[21]- السلطان محمود هو الذي ألغى طائفة الإنكشارية نهائيا من الجيش العثماني سنة (1242هـ/1826م). للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، يراجع: فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص- ص.429-430.

[22]- لقد ورد عن بعض المؤرخون أن التركات التي تبقى شاغرة ليس لها وريث شرعي تؤول للخزينة العامة، وهذا ما يؤكد بأن بيت المال كان تابعا لها بمعنى فرعا منها، يراجع: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.33، ويراجع أيضا: مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، المرجع السابق، ص.292.

من هذا الجانب يمكن أن نقول أن بيت المال أدى دورا اقتصاديا واجتماعيا في آن واحد، بما كان يساهم به من تحمل الأعباء رفقة الخزينة العامة، والاعتناء بالطبقات المحرومة من فقراء ومساكين، وهو ما ساعد على إبقاء العلاقة قائمة بين السلطة والمجتمع عشية الاحتلال.

من خلال دراسة مؤسسة الخزينة وبيت المال، والاطلاع على مصادر الدخل وأوجه الإنفاق لهما، نلاحظ أن هذه الخزينة التي كانت قبل منتصف القرن الثامن عشر ميلادي، تضم ثروات ضخمة من الأموال والمقتنيات الثمينة (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 113)، ونفقاتها لا تزيد عن مصادر دخلها إذ كانت تقدر بأربعمائة وخمسون ألف دونه (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 28).

لكن مع مطلع القرن الثامن عشر ميلادي تزايدت هذه النفقات بصورة مدهشة، وأصبحت تشكل عبئا على الخزينة (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 28)، إلى درجة أصبح فيه تسديد أجور حوالي ثلاثون ألف أو أربعون ألف إنكشاري يتم كل أربعة أو ستة أشهر بدل الشهرين في الماضي (Abdel Jelil Temimi، 1980، صفحة 38).

والدليل على هذا العجز في الميزانية ما أورده شالر عن ميزانية (1238هـ/1822م)، حيث انخفضت المداخيل بالنسبة لوجوه الإنفاق بما يقدر بحوالي ست مائة وثلاثة وسبعون ألف وخمس مائة قرش إسباني (وليام شالر، 1982، الصفحات 60-61)، وكل هذا دفع بالخزينة إلى الاستنجاد بأموال بيت المال والاقتراض منه لسد هذا العجز (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 140)، كما أن السبب في هذا العجز يعود إلى عدة اعتبارات سبق وأن ذكرناها عندما تطرقنا إلى مصادر الدخل للخزينة.

ثالثا: مؤسسة الأوقاف:

1- تعريف الوقف:

1-1- لغة: هو الحبس يقال وقفت الدابة إذا حبستها على مكانها، ومنه الموقف لان الناس يوقفون للحساب (الإمام الحنفي، 1981، صفحة 7).

1-2-اصطلاحا: هو حبس العين على حكم ملك الواقف أو عن التمليك، والتصديق بالمنفعة (الإمام الحنفي، 1981، صفحة 7).

من خلال التعريف الاصطلاحي يتضح لنا أن الوقف نوع من أنواع الصدقات بل هو -في نظري- صدقة جارية.

فمن هذا المنطلق وبدافع التقرب إلى الله عز وجل اقر السلطان العثماني بايزيد (886هـ/1481م-918هـ/1512م) المعروف بالتقي حق الأوقاف، ووضع لها قوانين تنظمها وتحميها من كل ما يهددها ويقضي عليها كالاستيلاء عليها أو مصادرتها، أو فرض ضرائب باهضة عليها تعجز عن تسديدها مما يؤدي في آخر المطاف إلى حجزها ومصادرتها (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 141).

ولما أصبحت الجزائر فيما بعد مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية، وتدين بالولاء لخلافتها الممثلة في شخص السلطان، فقد سارت على خطاها، وأنشأت مؤسسة الأوقاف بغرض التكفل والاعتناء بالطبقات المحرومة كالفقراء والمساكين، والتخفيف من آلامهم (خوجة حمدان بن عثمان، 1979، صفحة 269).

إلا أن الفترة التي عرفت فيها هذه المؤسسة انتشارا واسعا في الجزائر وزادت مداخيلها هي الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر، وبالضبط في منتصف القرن الثامن عشر ميلادي. (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 175) ولعل السبب في توسعها وانتشارها هذا يعود إلى أمرين رئيسين، أولهما يتمثل في الدافع والوازع الديني ورغبة معظم ميسوري الحال في التقرب إلى الله تعالى بوقف ممتلكاتهم أو جزء منها في سبيل الله (التميمي، 1980، صفحة 20).

وثانيهما هو محاولة الإفلات من الإجراءات التعسفية التي كانت تلجأ إليها السلطة في هذه الفترة من مصادرة الأراضي والممتلكات، أو الرفع من قيمة الضرائب عليها في حالة ما لم يوقفها صاحبها (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 141)، وهذا بطبيعة الحال بغرض سد العجز الذي كانت تعاني منه الميزانية كما سبق ورأينا.

كما أن الانتشار الواسع والزيادة في المداخيل لهذه المؤسسة أدى بالمسؤولين في الإيالة إلى تنظيمها تنظيما محكما بهدف المحافظة عليها ورعاية شؤونها، فكان أن انبثقت عن هذه المؤسسة عدة هيئات إسلامية منها:

2- مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة المنورة):

وقد كان عدد الأوقاف التابع لهذه المؤسسة يقدر بحوالي ألف وأربعمائة وتسعة عشر وقفا خيريا، أي أكثر من نصف الأملاك الموقوفة، مما جعل منها تتبوأ صدارة المؤسسات الوقفية من حيث الأهمية (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 176).

وكانت مداخيل الأوقاف تقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم ينفق على القائمين على إدارتها ورعايتها وحفظها، وبعض المحتاجين، وقسم ينفق على بعض المساجد كمسجد ميزو مورتو، وجامع علي باشا ومسجد علي مغرين (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 25)، أما القسم الثالث والأخير يبعث به إلى الحرمين الشريفين لينفق على الفقراء والمساكين في تلك البقاع المقدسة، أو ليصرف على الخدمات التي يحتاج إليها كل من المسجدين (الحرام والنبوي الشريف)، بالإضافة إلى الإنفاق على العلم والمعرفة وغيرهما (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 145-146).

3-مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

تأتي هذه المؤسسة في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين، إذ أن مداخيلها من الوقف تفوق غيرها في بقية الجوامع والمساجد الأخرى، وبفضل هذه المداخيل تتولى الإنفاق على كل موظفي الجامع من مدرسين وأئمة ومؤذنين وغيرهم، بالإضافة إلى الطلبة ومؤدبي الصبيان، بل أكثر من ذلك أنها توفر نفقات الدفن للطلبة والعلماء، والفقراء، والمساكين (التميمي، 1980، الصفحات 20-21).

4- مؤسسة أوقاف سبل الخيرات:

وتتولى الإنفاق على المساجد الحنفية، البالغ عددها أربعة عشر (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 176) مسجدا، مثل جامع كتشاوة، وجامع القصبة، وجامع سفير، وجامع دار القاضي، والسبب في ذلك يعود الى كون مؤسسها هو شعبان خوجة التركي سنة (999هـ- 1584م) (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 142).

أما أوقافها فهي تعود في الأصل إلى أولئك الذين ينسبون إلى المذهب الحنفي كالأتراك والكراغلة (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 25).

5- مؤسسات أوقاف الأولياء والمرابطين:

مهمة الإشراف على هذه المؤسسة موكلة إلى وكيل المرابطين (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 142)، وأوقافها موزعة على عدد من الأضرحة والأولياء، أهمها ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الذي قدرت أوقافه بتسعة وستون وقفا ذات مدخول سنوي يقدر بحوالي ستة آلاف فرنك (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 25).

وقد تكاثرت أوقاف هذه المؤسسة لاسيما في مطلع القرن التاسع عشر، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام الحكام بهذه الزوايا والطرق تقربا من الله تعالى –في نظرهم- واستمالة لشيوخها إلى صفوفهم (ناصر الدين سعيدوني، 1985، الصفحات 142-143)

6- مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:

هذه المؤسسة كانت مهمتها تتمثل في الاعتناء والإنفاق على مهاجري الأندلس، إلا أنها تضاءلت أهميتها أواخر العهد العثماني، حيث لم يعد بحوزتها من الأوقاف في أواخر العهد العثماني، سوى مائة وواحد وقفا، تساهم بمردود مالي يقدر بخمسة ألاف فرنك سنويا، توزع على المحتاجين من الأسر المنحدرة من أصل أندلسي (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 177).

7- مؤسسة أوقاف الأشراف:

وهي مؤسسة تتولى الإنفاق على حوالي ثلاثمائة أسرة من الأشراف، وبحوزتها كثيرا من الأوقاف، لكنها ليست ذات أهمية كبقية المؤسسات السابقة لها لاسيما مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم.

هذا بالإضافة إلى مؤسسات وقفية أخرى ذات صبغة عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، كأوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة كالطرق والآبار والقنوات والسواقي والعيون، بحيث أن أوقاف العيون بالجزائر اكتسبت أهمية كبيرة مع مرور الوقت بسبب تزايد العيون المنشاة (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 24).

مما تقدم نلاحظ أن الأوقاف في أواخر العهد العثماني كثرت وتنوعت الجهات الموقوفة لحسابها، وهو ما دفع بالقائمين على الجهاز القضائي في تلك الفترة إلى إحداث هيئة علمية خولت الحق في اتخاذ كل الإجراءات التي من شأنها أن تحافظ على ممتلكات الوقف من الضياع أو الإلغاء، وقد عرفت هذه الهيئة العلمية باسم المجلس العلمي الذي ينظر في القضايا التي يعرضها عليه وكيل الأوقاف ثم يصدر أحكامه فيها (ناصر الدين سعيدوني، 1990، الصفحات 177-178).

والذي يتولى تطبيق هذه الأحكام جهاز خاص مكلف بإدارة ورعاية مصالح الأوقاف يترأسه وكيل الأوقاف أو يسمى ناظر الأوقاف (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 24)، الذي هو بمثابة المسؤول الأول بمصلحة الأوقاف، وغالبا ما يتم تعيينه من طرف الداي شخصيا فيما يتعلق بأوقاف مدينة الجزائر ودار السلطان، ومن طرف الباي فيما يخص أوقاف الباليليكات ويساعده في مهامه مجموعة من الأعوان (وليام شالر، 1982، صفحة 50) ، يعينون بموافقة من أعضاء الديوان أو باقتراح من ذوي الرتب السامية في الدولة (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 179).

غير أن الشيء الذي يمكن للباحث أن يلاحظه فيما يتعلق بهذا الجهاز، رغم كونه ذو أهمية كبيرة بدليل تعيين أعضائه الذي يتم من أعلى المستويات في الدولة، وكذا أهمية وضخامة الأوقاف التي يتولى رعايتها، إلا انه كثيرا ما يحدث أن يتهاون أعضاؤه أو أحدهم في أداء مهامه على أتم وجه وحسب ما ينص عليه القانون الداخلي لهذا الجهاز، مثلما ورد في أحد دفاتر محكمة المدية الذي يعود إلى أواخر العهد العثماني (1237هـ/1821م-1255هـ/ 1839م) (أبو القاسم سعد الله، "دفتر محكمة المدية (الجزائر) أواخر العهد العثماني (1821- 1839)"، تونس- 1985، الصفحات 134-156)، حيث ذكر في إحدى وثائقه أن وكيل الوقف -دون تحديد السنة- شهد عند القاضي على أن أحد مساعديه، لم يعمل سوى مدة ثلاثة أشهر سنة (1247هـ/1831م)، وشهرين ونصف في السنة الموالية أي سنة (1248هـ/1832م).

ولعل السبب في هذا الإهمال يعود –حسب رأينا- إلى كون هؤلاء القائمين على مؤسسات الأوقاف لم تكن لهم نفقات أو رواتب قارة، يقتاتون بها أنفسهم، عدا وكيل الأوقاف الذي كان له عطاء سنوي يقدر بمايزيد عن أربعين ريال بوجو (ناصر الدين سعيدوني، 1990، صفحة 183)، وهذا المبلغ ذاته غير كاف في تلك الفترة لسد متطلبات المعيشة التي كانت تزداد غلاء يوما بعد يوم، وهو ما دفع دون شك بهؤلاء إلى التهرب من مهامهم اتجاه هذه المؤسسات حتى يتمكنوا من العمل في محلات أخرى تتيح لهم الفرصة للحصول على ما يحتاجون إليه من أموال.

مهما يكن السبب هذا أو ذاك فالشيء الذي يجب على الباحث أن يعترف به، هو أن هذه المؤسسة كان لها أثر كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية للإيالة، إذ بمداخيلها كان ينفق على العلم الذي يكاد يختفي نهائيا لعدم وجود من يتولى الإنفاق عليه -لولا فضل هذه المؤسسة– كما كان لها الفضل في الحفاظ على الديانة الإسلامية ببناء المساجد والزوايا والاعتناء بها وترميمها.

ليس هذا فحسب بل ساهمت أيضا في الحفاظ على الروابط الاجتماعية وتقويتها بفضل إحسانها للفقراء والمحتاجين، وتقديم العون للمعوزين والغرباء وأبناء السبيل، بالإضافة إلى هذا فهي عملت على تماسك الأسرة الجزائرية بحفاظها على حقوق الورثة الشرعيين.

كما ساعدت هذه المؤسسة في الحد من المظالم والأحكام التعسفية، التي كانت غالبا ما تتسبب في مصادرة أراضي القصر والعجزة وغيرهم ممن لا حول ولا قوة له إلا بالله.

وزيادة على ما تقدم كله فإن أحكام الوقف كان لها عظيم الفضل في انتشار التعليم والثقافة الدينية في القرى والأرياف والجبال –لاسيما الخارجة عن سلطة الأتراك- بواسطة الزوايا التابعة لمختلف الطرق الصوفية التي كانت تنشط بفضل مداخيل هذه المؤسسة.

رابعا: مؤسسة الإفتاء:

لقد أدت مؤسسة الإفتاء دورا كبيرا في الحياة الدينية والثقافية والقضائية، للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وهذا ليس بالشيء الغريب ليستوجب على المرء أن يتمعنه ويتفحصه، إذ إن الديانة الرسمية للإيالة هي الإسلام، كما أن الأتراك العثمانيين حين أسسوا قواعد نظام حكمهم هنا أسسوها في الإطار العام للشريعة الإسلامية.

وعليه فإذا أخذنا مؤسسة من المؤسسات المعروفة في تلك الفترة وحاولنا أن ندرسها بمنأى عن مؤسسة الإفتاء فلا يمكننا ذلك، إذ كان المفتي -غالبا- أحد أعضاء الهيئة المشكلة لتلك المؤسسة، فقد رأينا على سبيل المثال في مؤسسة الأوقاف التي يتولى الإشراف عليها مجلس علمي كيف أن المفتي يعتبر أحد أعضائه الأساسيين (ناصر الدين سعيدوني، 1985، صفحة 24).

كذلك بالنسبة لمؤسسة القضاء فرغم كونها تستمد تشريعاتها وأحكامها من الشريعة الإسلامية، إلا أنها كانت مزدوجة الهياكل والأحكام القضائية، فيها قاضي حنفي يمثل الأقلية الحاكمة، وقاضي مالكي يمثل الأغلبية المحكومة، والى جانبهما يوجد مفتي حنفي ومفتي مالكي[23]، والسبب في هذه الازدواجية يعود بطبيعة الحال إلى طبيعة القضايا التي تطرح على القاضي، والتي تستوجب معرفة غزيرة لعلوم الشريعة، وهو ما كان يفتقد إليه اغلب القضاة خاصة في أواخر العهد العثماني (وليام شالر، 1982، صفحة 49).

حتى أن مكانة المفتي بلغت من الأهمية الروحية والقانونية ما يجعل استئناف الحكم الصادر عن القاضي لديه بالشيء المسموح به (وليم سبنسر، 1981، صفحة 108)، ويعتبر حكمه نهائيا لا رجعة ولا استئناف فيه (وليام شالر، 1982، صفحة 48)، بل إن الفتوى أصبحت أكثر من ضرورة ملحة في مجتمع ينتشر الجهل والأمية في أغلب طبقاته، وفشت في أوساطه مظاهر وعادات غريبة عنه وعن قيم دينه.

إلا أن الشيء الذي يجب أن نشير إليه هنا هو أن الإفتاء كمؤسسة دينية روحية فقد مصداقيته في أوساط الطبقة الاجتماعية أواخر العهد العثماني، لما أصبحت وظيفته -على حد تعبير خليفة حماش– عرضة للمزايدات والمناقشات بين العلماء وذوي الجاه والسلطان بدل الكفاءة العلمية، والنزاهة الأخلاقية (خليفة حماش، 1988م.، صفحة 77)، خلاف ما كان عليه من قبل حينما كان صاحب هذا المنصب يتصف بالعلم والتفقه، والورع، والتقوى، ولا يخاف فيما يصدره من فتاوي لائمة لائم، أو بطش سلطان، أمثال شيخ الإسلام عبد الكريم الفقون الذي أفتى بقتل اليهودي الذي تطاول على الرسول صلى الله عليه وسلم، رغم تمتعه بحماية السلطة المحلية بقسنطينة (أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الربع عشر الهجري (16- 20م)، 1981م).

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تناولت المؤسسات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، يتضح أن هذه المؤسسات كانت بمثابة الركائز الأساسية التي قامت عليها بنية الإيالة الجزائرية، وساهمت بشكل فعّال في استقرارها وتماسكها الداخلي، رغم التبعية الشكلية للباب العالي، وتمكّنت إيالة الجزائر من بناء كيان شبه مستقلّ بإرادة محلية وتكييف ذكي مع الإطار العثماني، ما مكّنها من الظهور بمظهر الدولة ذات السيادة في كثير من المواقف.

لقد لعب الجيش بمختلف تشكيلاته، لا سيما الإنكشارية والبحرية، دوراً محورياً في تأمين البلاد والدفاع عن حدودها ومصالحها، بينما تولّت مؤسسات الخزينة وبيت المال تسيير الموارد وضبط الإنفاق بما ينسجم مع متطلبات المرحلة، أما الأوقاف والإفتاء، فكان لهما دورا بالغ الأهمية في حفظ النسيج الاجتماعي، ودعم التعليم، ورعاية الفئات الهشة، مما يعكس عمق التفاعل بين الدولة والمجتمع في تلك الفترة.

غير أنّ هذه المؤسسات، على أهميتها، لم تكن بمنأى عن عوامل التآكل والضعف، حيث بدأت ملامح الانهيار تظهر مع مطلع القرن التاسع عشر، نتيجة تفاقم الأعباء المالية، وتهالك المؤسسة العسكرية، وتراجع فعالية الإطار الإداري، ما فتح المجال أمام التدخل الأجنبي وعبّد الطريق نحو الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

وعليه، فإن فهم هذه المؤسسات لا يُعدّ فقط غوصًا في الماضي، بل هو مدخل أساسي لفهم بنية الدولة الجزائرية الحديثة، والإرث التاريخي الذي شكل هويتها ومؤسساتها، وهو ما يجعل من إعادة قراءة هذا العهد ضرورة علمية لفهم التراكمات السياسية والاجتماعية التي ما زال أثرها قائماً إلى اليوم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

01- الكتب

1. ابن الأثير علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، راجعه وعلق عليه نخبة من العلماء، ج3، ط.3، دار الكتاب العربي، لبنان 1980.

2. ابن رشد محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، ط.4، مطبعة مصطفى البابي، مصر 1975.

3. البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج1، إسطنبول 1951-1955م، ص.335.

4. الحنفي الإمام، الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي، لبنان 1981م.

5. الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الزهار 1754م1830م، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974.

6. المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط.2، دار النفاس، بيروت 1983م.

7. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر1976.

8. الميلي مبارك بن محمد الهيلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائر للنشر، الجزائر 1964.

9. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب: محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر 1975م.

10. سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر 1981.

11. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ط.1، دار الآداب، بيروت 1969.

12. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الربع عشر الهجري (16- 20م)، ج2، ش.و.ن.ت، الجزائر1981م.

13. سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

14. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

15. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا (1816- 1824)، ترجمة إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982.

16. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر (د.ت).

17. عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائر، ط.1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

18. عميراوي احميده، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، ط.1، دار البعث، الجزائر 1984.

19. عميراوي احميده، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840م)، ط.1، دار البعث، الجزائر1987م.

20. نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج.1، ط.1، دار البعث، الجزائر 1985.

21. وولف جون.ب، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

02- المجلات

1. سعد الله أبو القاسم، "دفتر محكمة المدية (الجزائر) أواخر العهد العثماني (1821- 1839)"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 37- 38، تونس- جوان 1985.

2. التميمي عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 6، تونس 1976م.

3. التميمي عبد الجليل، "وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 65، تونس 1980م.

4. سعيدوني ناصر الدين، "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 57- 58، تونس - جويلية 1990.

5. لونيسي إبراهيم، مقالة "حمدان بن عثمان خوجة"، جريدة المساء الجزائرية، الأحد 4 ديسمبر 1988م.

03- المعاجم والقواميس

1. الشيخ أبو عمران ومجموعة من المؤلفين، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر 1995.

04- الرسائل الجامعية

1. حماش خليفة، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830، ماجيستر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية-1988م.

ثانيا: باللغة الأجنبية

1. Diego de Haëdo, Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de D^{r} Monnereau et A.Burbrugger, présentation de Jocelyne dalahlia, Editions Bouchène, Paris 1998.

2. Moulay Belhamissi, Alger la ville aux mille canons, E.N.A.L, Alger 1990.

3. Abdel Jelil Temimi, Recherches et documents d'histoire maghrébine, l'Algérie La Tunisie et Tripolitaine (1816-1871), 2ème Edition, Publications de La Revue D'histoire maghrébine, Tunisie 1980.

4. CH. SAMY- BEYFRASCGERY, Dictionnaire Français- Turc, Imprimerie Mihran, Constantinople 1911.

5. Degrammant. H.D, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Présentation de lemnouar merouche, Editions Bouchène, 2002.

6. Eugène Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination turque de (1517-1837), Présentation de Ouarda Siani, Editions Bouchène, Tengour 2002.

7.Le Menouar Merouche, Recherches sur l'Algérie à L'époque Ottomane -I-, Monnaies, Prix et Revenus (1520-1830), Editions BOUCHENE, Paris 2002.

8. Thomas Show (Docteur), Voyage Dans La Regena d'Alger, 2ème Edition, Bouslma,Tunis 1980.

9.Ahmed Henni, Etat, sur plus et société en Algérie avant 1830, Entreprise nationale du livre, Alger 1986.

10.André Raymand, Grands villes arabes à l'époque Ottomane, Collections éditées par Pierre Bernard, 1985.

11.Charles- André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation, Presses universitaires, France1964.

12.Kamal cherhit, Les janissaires (Origines et histoire des milices turques des provinces Ottomenes et tout spécialement celle d'Alger), Textes sélectionnés par Kamal Cherhit, Editions Grand-Alger livres (G.A.L, ex.M.L.P.), Alger 2005.

13.Venture de paradis, Alger au 18eme siècle, Mémoires et observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq, saind bad, Paris 1983.

Références

Diego de Haëdo,. (1998). *Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de Dr Monnereau et A.Burbrugger, présentation de Jocelyne dalahlia.* Paris : Editions Bouchène.

علي بن أبي الكرم ابن الأثير. (1980). *الكامل في التاريخ* (الإصدار ج3، ط.3). لبنان : دار الكتاب العربي.

Abdel Jelil Temimi. (1980). *Recherches et documents d'histoire maghrébine, l'Algérie La Tunisie et Tipolitaine (1816-1871), Publications de La Revue D'histoire maghrébine* (éd. 2ème Edition). Tunisie .

André Raymand. (1985). *, Grands villes arabes à l'époque Ottomane.* Collections éditées par Pierre Bernard.

Degrammant. H.D. (2002). *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Présentation de lemnouar merouche.* Editions Bouchène,.

Eugène Vayssettes. (2002). *Histoire de Constantine sous la domination turque de (1517-1837), Présentation de Ouarda Siani.* Tengour: Editions Bouchène.

Thomas Show . (1980). *Voyage Dans La Regena d'Alger Bouslma* (éd. , 2ème Edition,). Tunis.

Venture de Paradis. (1983). *Tunis et Alger au 18e siècle, Mémoires et Observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq.* Paris : Saindbad.

-16)*تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الربع عشر الهجري* .(م1981) .أبو القاسم سعد الله
ت.ن.و.ش :الجزائر .(2ج .éd)، *(م20*

-1821)*أواخر العهد العثماني (الجزائر)دفتر محكمة المدية* " .(1985 -تونس) .أبو القاسم سعد الله
.المجلة التاريخية المغربية، :تونس .(،38 -37العدد .éd)، *"(1839*

أحمد الشريف الزهار. (1974). *مذكرات أحمد الزهار 1754م1830م، تحقيق أحمد توفيق المدني،*. الجزائر : ش.و.ن.ت.

احمد توفيق المدني. (1976). *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)* (الإصدار ط2). الجزائر: ش.و.ن.ت.

احميده عميراوي. (دار البعث, 1984). *جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)*، (الإصدار ط.1). الجزائر: دار البعث.

الإمام الحنفي. (1981). *الاسعاف في الاحكام و الاوقاف*. لبنان: دار الرائد العربي .

جون.ب.وولف. (1986). *الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

خليفة حماش. (1988م.). *العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830*. ماجيستر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

:الجزائر .*محمد العربي الزبيري، :المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب* .(1979) .خوجة حمدان بن عثمان
.ت.ن.و.ش

سورة الحج الاية 78. (بلا تاريخ).

20"*وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر*" .(1980) .عبد الجليل التميمي،
.المجلة التاريخية المغربية :تونس .(éd. 65)

مبارك بن محمد الهيلالي الميلي. (1964). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، (الإصدار ج1). الجزائر: ج3، مكتبة النهضة الجزائر للنشر.

(éd. *1830شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة* .(1985) .مولود قاسم نايت بلقاسم
.دار البعث :الجزائر .(1ط

ناصر الدين سعيدوني. (1985). *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م* (الإصدار ط.2). الجزائر: م، المؤسسة الوطنية للكتاب.

éd.)*م، 1830-م1792النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني* .(1985) .ناصر الدين سعيدوني
.المؤسسة الوطنية للكتاب :الجزائر .(2.ط

ناصر الدين سعيدوني. (1985). *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م*، (الإصدار ط.2،). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،.

موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال " .(1990) .ناصر الدين سعيدوني
.المجلة التاريخية المغربية :تونس ."*وثائق الأرشيف الجزائري*

وليام شالر. (1982). *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا (1816- 1824)*، ترجمة إسماعيل العربي. الجزائر: ش.و.ن.ت.

وليم سبنسر. (1981). *الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية*. الجزائر: ش.و.ن.ت.

Références

Diego de Haëdo,. (1998). *Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de Dr Monnereau et A.Burbrugger, présentation de Jocelyne dalahlia.* Paris : Editions Bouchène.

علي بن أبي الكرم ابن الأثير. (1980). *الكامل في التاريخ* (الإصدار ج3، ط.3). لبنان : دار الكتاب العربي.

Abdel Jelil Temimi. (1980). *Recherches et documents d'histoire maghrébine, l'Algérie La Tunisie et Tipolitaine (1816-1871), Publications de La Revue D'histoire maghrébine* (éd. 2ème Edition). Tunisie .

André Raymand. (1985). *, Grands villes arabes à l'époque Ottomane.* Collections éditées par Pierre Bernard.

Degrammant. H.D. (2002). *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Présentation de lemnouar merouche.* Editions Bouchène,.

Eugène Vayssettes. (2002). *Histoire de Constantine sous la domination turque de (1517-1837), Présentation de Ouarda Siani.* Tengour: Editions Bouchène.

Thomas Show . (1980). *Voyage Dans La Regena d'Alger Bouslma* (éd. , 2ème Edition,). Tunis.

Venture de Paradis. (1983). *Tunis et Alger au 18e siècle, Mémoires et Observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq.* Paris : Saindbad.

-16)*تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الربع عشر الهجري* .(م1981) .أبو القاسم سعد الله
ت.ن.و.ش :الجزائر .(2ج .éd)، *(م20*

-1821)*أواخر العهد العثماني (الجزائر)دفتر محكمة المدية* " .(1985 -تونس) .أبو القاسم سعد الله
.المجلة التاريخية المغربية، :تونس .(،38 -37العدد .éd)، *"(1839*

أحمد الشريف الزهار. (1974). *مذكرات أحمد الزهار 1754م1830م، تحقيق أحمد توفيق المدني،*. الجزائر : ش.و.ن.ت.

احمد توفيق المدني. (1976). *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)* (الإصدار ط2). الجزائر: ش.و.ن.ت.

احميده عميراوي. (دار البعث, 1984). *جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)*، (الإصدار ط.1). الجزائر: دار البعث.

الإمام الحنفي. (1981). *الاسعاف في الاحكام و الاوقاف*. لبنان: دار الرائد العربي .

جون.ب.وولف. (1986). *الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

خليفة حماش. (1988م.). *العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830*. ماجيستر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

:الجزائر .*محمد العربي الزبيري، :المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب* .(1979) .خوجة حمدان بن عثمان
.ت.ن.و.ش

سورة الحج الاية 78. (بلا تاريخ).

20"*وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر*" .(1980) .عبد الجليل التميمي،
.المجلة التاريخية المغربية :تونس .(éd. 65)

مبارك بن محمد الهيلالي الميلي. (1964). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، (الإصدار ج1). الجزائر: ج3، مكتبة النهضة الجزائر للنشر.

(éd. *1830شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة* .(1985) .مولود قاسم نايت بلقاسم
.دار البعث :الجزائر .(1ط

ناصر الدين سعيدوني. (1985). *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م* (الإصدار ط.2). الجزائر: م، المؤسسة الوطنية للكتاب.

éd.)*م، 1830-م1792النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني* .(1985) .ناصر الدين سعيدوني
.المؤسسة الوطنية للكتاب :الجزائر .(2.ط

ناصر الدين سعيدوني. (1985). *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م*، (الإصدار ط.2،). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،.

موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال " .(1990) .ناصر الدين سعيدوني
.المجلة التاريخية المغربية :تونس ."*وثائق الأرشيف الجزائري*

.، ترجمة إسماعيل العربي(1824 -1816)مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا .(1982) .وليام شالر

.ت.ن.و.ش :الجزائر

وليم سبنسر. (1981). *الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية،*. الجزائر: ش.و.ن.ت،.

Rimar Academy
Publishing House

ISBN 978-625969657-7